مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanarb.com
رابط بديل

الجمهورية التونسية
كتابة الدولة للتربية القومية
الديوان التربوي

نصوص أدبية

السنة الثانية من التعليم الثانوي

نشر
الشركة التونسية للتوزيع

1969

الجمهورية التونسية
كتابة الدولة للتربية القومية
الديوان التربوي

نصوص ادبية

السنة الثانية من التعليم الثانوي

نشر
الشركة التونسية للتوزيع

1969

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَب
أ. علاء الدين شوقى
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com
twitter
مكتبة لسان العرب
facebook
مكتبة لسان العرب
instagram
مكتبة لسان العرب

المحـــــور الاول

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

1 ـ حياة الانسان الاول

كان الإنسان يعيش في الأدغال، يعيش على صيد الوحوش ويلتهم لحومها نيئة. يسكن البراري والمغاور، وينزع الى القتال متّخذا من الحجارة سلاحا. فعصره كان عصر الحجر، لا آلات فيه غير الآلات الحجرية. ولم يكن جدّنا هذا لسِنًا. فاللّغات لم تكن موجودة بعد. كان يتفاهم مع أقرانه بمقاطع ونبرات صوتية وإشارات. وعلى الجملة فلم تكن ثمة إنسانية في الإنسان الأول.

وعندما أخذ الإنسان يخطو الى المعيشة الاجتماعية، كان لابد من قيام أفراد يتولون السّلطة والسّلطان. فكان يتزعم القوم أكثرهم قوّة وشجاعة وبأسا فيقضي فيهم ويكتسب طاعتهم وثقتهم.

لم يكن للدين أثر في حياة تلك الجماعة البشرية. غير أن طوارىء غريبة كانت تطرأ عليهم فتزعج ذهنيتهم الفطرية. من هذه الطوارىء مثلا الأشباح التي كانت تتراءى لهم في أحلامهم، فتصوّر لهم أن هناك قوة خارقة تسيطر عليهم، وما

تلبث هذه القوى الخفية أن تتجسد أحيانا بشكل إنسان وأحيانا بشكل حيوان، فيفزعون إليها في كروبهم، ويستنجدون بها في محنهم، وينسجون حولها الأساطير والخرافات، فتستحيل هذه إلى عقائد دينية وغيبية، وتُوَطّد فيهم فكرة العبادة والدّين.

هكذا بقي الإنسان الأول أجيالا وقرونا يعيش في الأدغال يقتات من الصّيد وأكل الأعشاب البريّة، إلى أن أدرك أن الأرض تنبت العشب في بعض فصولها السنوية بينما تجدب في فصول أخرى. فلَجَأَ الى زرع الأعشاب في الفصول الخصبة تدفعه إلى ذلك غريزة البقاء. ثم علّمه الاختبار أن خصب الأرض وجدبها رهينان بحالة الطّقس والجو. فتلهب القوم نشوة الفرح لهذا الاكتشاف الاختباري ويقيمون الأعياد في بدء المواسم الخصبة. وبقيت هذه حالهم آلاف السنين حتى أدرك الإنسان أن العلوم الطبيعية هي التي يجب أن يستجير بها في معرفته لأزمنة الخصب والجدب.

جورج حنا.

2 ـ اعرابى فى عرس

حدث أعرابى قال : مررت بفريه عاصم بن بكر الهلالى ، فاذا أنا بدور متباينة ، واذا أخصاص منظم بعضها الى بعض واذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون وعليهم ثياب حكوا بها ألوان الزهر فقلت لنفسى « هذا أحد العيدين : الاضحى ، أو الفطر » ثم ثاب الى ما عزب عنى من عقلى فقلت : « خرجت من أهلى فى صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك . »

فبينما أنا واقف ومتعجب أتانى رجل ، فأخذ بيدى فأدخلنى دارا قوراء وأدخلنى بيتا قد نجد فى وجهه فرش قد مهدت . وعليه شاب ينال فروع شعره كتفيه ، والناس حوله سماطان فقلت فى نفسى « هذا الامير الذى يحكى لنا جلوسه ، وجلوس الناس حوله . » فقلت ـ وأنا ماثل بين يديه ـ : « السلام عليك ايها الامير ، ورحمة الله وبركاته . » فجذب رجل بيدى وقال : « اجلس ، فان هذا ليس بالامير . » فقلت : « ومن هو ؟ » قال « عروس . » قلت : « وا ثكل أمه ! زب عروس رأيت بالبادية اهون على اصحابه من قلامة . »

فلم ألبث اذ دخلت الرجال ، عليها هنات مدورات من خشب وقضبان أما ما خف فيحمل حملا ، وأما ما ثقل فيدحرج . فوضعت أمامنا ، وتحلق القوم حلقا حلقا ، ثم أتينا بخرق بيض . فالقيت بين أيدينا فظننتها نيابا . وهممت عندها أن أسأل القوم خرقا أقطع منها قميصا . وذلك انى رأيت نسجا متلاحما لا تبين له سدى ولا لحمة . فلما بسط القوم أيديهم اذا هو يتمزق سريعا ، واذا هو ـ فيما زعموا ـ صنف من الخبز لا أعرفه . ثم أتينا بطعام كثير من حلو وحامض ، وحار وبارد ، فاكثرت منه . ثم أتينا بشراب أحمر . فقلت لا حاجة لى فيه ، فانى أخاف أن يقتلنى . فنصح لى رجل فشربت وجعلت أكثر منه ، فتداخلنى من ذلك صلف لا أعرفه من نفسى ، وبكاء لا أعرف سببه ولا عهد لى بمثله . واقتدار على امر أظن معه انى لو أردت نيل السقف لبلغته .

فبينما نحن كذلك اذ هجم علينا شياطين أربعة : أحدهم قد علق فى عنقه جمجمة فارسية منتفخة الطرفين دقيقة الوسط ، قد شبحت بالخيوط شبحا منكرا والبست قطعة فرو ، كأنهم يخافون عليها القر . ثم بدر الثانى فاستخرج من كمه هنة سوداء كخرطوم الفيل ، فوضع طرفها فى فيه ، فنفخ فيها فاستتم بها أمرهم ، ثم حسب على

أجحرة فيها ، فستخرج منها صوتا ملائما مشاكلا بعضه بعضا ، كأنه ـ علم الله ـ ينطق . ثم بدر الثالث عليه قميص وسخ ، وقد غرق شعره فى الدهن ، معه مرآتان، فجعل يمرى احداهما على الاخرى مريا . ثم بدر الرابع عليه قميص قصير ، وسراويل قصيرة ، وخفان أجدمان لا ساقين لهما ، فجعل يقفز ، كأنه يثب على ظهور العقارب، ثم التبط بالارض ، فقلت : « معتوه ورب الكعبة ! » ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندى ، ورأيت الناس يحذفونه بالدراهم حذفا منكرا .

وكان معنا فى البيت شاب لا آبه له ، فعلت الاصوات له بالدعاء ، فخرج فجاء بخشبة عينها فى صدرها فيها خيوط أربعة . فاستخرج من جنبها عودا ، فوضعه على اذنه ، ثم زم الخيوط الظاهرة . فلما أحكمها ، وعرك آذانها حركها بمجسة فى يده فنطقت ، ورب الكعبة ! واذا هى أحسن قينة رأيتها . وغنى عليها فاستخفنى فى مجلسى حتى قمت ، فجلست بين يديه ، فقلت :« بأبى أنت وأمى ! ما هذه الدابة ؟ فلست أعرفها للأعراب ، وما أراها خلقت الا حديثا . فقال : « هذا البربط الذى سمعت به . » فقلت : « بأبى أنت وأمى ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ » قال : « الزير . » قلت : « فالذى يليه ؟ » قال : «المثنى .» قلت : « فالثالث ؟ » قال: « المثلث . » قلت : « فالأعلى ؟ » قال : « البم .» فقلت « آمنت بالله أولا ، وبك ثانيا ، وبالبرط ثالثا ، وبالبم رابعا ! ...»

ابو الفرج الاصبهانى وابن قتيبة

(الاغانى ـ عيون الاخبار)

3 ـ البدو اقرب الى الشجاعة من الحضر

1 ـ والسّبب في ذلك أنّ أهل الحَضَر ألقَوْا جُنوبهم على مِهاد الـرّاحة والـدّعة وانغَمسوا في النّعيم والتّرف. وَوَكلوا أمرهم في المـدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم، والحـاكم الـذي يسوسهم. والحامية التي تولّت حراستهم، واستناموا إلى الأَسوار التي تحوطهم، والحِرْزِ الذي يحول دونهم فلا تهيجهم هَيْجَة، ولا ينفر لهم صيدٌ :فهم غارّون آمنون. قد ألقوا السّلاح. وتوالت عـلى ذلـك منـهم الأَجـيـال. وتـنـزّلوا منزلـة النِّساء والولدان الذين هم عيال على أبي مثواهم. حتى صار ذلك خُلُقا يتنزّل منزلة الطبيعة.

2 ـ وأهل البدو لتفرُّدهم عن المجتمع وتوحُّشهم في الضّواحي. وبعدهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عـن آنفسهم لا يـكلونها إلى سـواهم. ولا يثقون فيها بغـيرهم : فـهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطّرق،ويتجافَوْن عـن الهجوع إلاّ غرارا في المـجالس، وعلى الرّحال، وفوق الأَقتاب،ويتوجّسون للنّبات والهَيْعات، ويتفردون في القفر والبيداء مُدلين ببأسهم واثقين بأنفسهم. قد صار لهم البأس خُلُقا، والشجاعة سجيّة يرجعون إليها متى دعاهم داعٍ ، أو استنفرهم صارخ.

ابن خلدون (المقدمة)

4 - في حياة البادية

يا عاذِرًا لامرِىءٍ قد هـــام في الحضــر
وعــاذِلاً لمُحبِّ البـــدو والقَفَـــــرِ

لا تَـذمُمَنَّ بُيـــوتـا خَفَّ مَحْمِلُهـــا
وتمدَحَـنَّ بيـوتَ الطِّيـنِ والحَـــجَـــرِ

لو كنتَ تعلَـــم ما في البدو تعذِرنـي
لكنْ جهلْـــتَ وَكـم في الجهـــل من ضَـررَ

أو كنتَ أصبحْتَ في الصحـراء مرتقِيًـا
بِســـاطَ رَمـــل به الحَصبـــاءُ كالـــدُّرَر

أو جلتَ في رَوضـــةٍ قد راق منظـرُها
بِكـــلِّ لَون جَميـــل شيِّق عَطـــرِ

رأيت في كلّ وجـهٍ من بسائِطِهَـــا
سِرْبا من الوَحش يَـرعَى أطيب الشـــجَـر

فيا لهَا وَقْفَـــةٌ لم تُبْقِ من حَـــــزَن
في قلـــبِ مُضْنًى و لا كَـــدًّا لِـــذِي ضجَرِ

قَـال الأُلى قـد مضَـوْا قولا يُصَدِّقُـــه
نَقْـــــلٌ و عقـــل ومـــا لِلـــحَقِّ من غِيَـرِ

الحُســـــن يَظْهَرُ في بَيْتَيْنِ رونقـــهُ
بيتٌ مـــن الشِّعـــرِ أَو بيت من الشَّعَـــــرِ

مـــا في البداوةِ من عيب تُذَمُّ بـــهِ
إلاّ المـــروءةُ والإحســـــانُ بالبِـــــدَرِ

وصحّـــةُ الجِســـم فيها غيرُ خـافيـــةٍ
والعَيْب والـــــداءُ مقصـورٌ عـــلى الحَضَـــرِ

من لم يمُتْ عِندنا بالطعن عاش مـدًى
فنحـــــن أطـــولُ خلَـــق الله في العُمُـــــرِ

الامير عبد القادر الجزائري

في بلاد « التوارق »

ان الحياة بين التوارق بسيطة جدا · حصير تفترشه وآخر تلتحفه ليقيك من البرد · فلا مائدة للاكل ، ولا كراسي ولا أسرة ، ولا خزائن للثياب ، ولا صحون ، ولا أشواك · ومع ان النوم في الخيام لم يكن بالجديد علي ، فطالما اصطحبت خيمتي الصغيرة في رحلاتي ، كما نمت في الدائرة القطبية في خيام « اللاب » (I) المدببة وانضويت شاكرا تحت خيام الشعر البدوية القاتمة ، فانني لم أجد قط خيمة أكثر راحة من خيام التوارق الحمراء ·

ان السقوف الحمراء زاهية جميلة ، ومع ذلك فان منظرها يذوب من بعيد في الصحراء الجوية المظلمة · انها تصنع واطئة كي تقاوم الريح في سهولة · وجوانبها وسيلة طيبة لتكييف درجة الحرارة ···

كنا نجلس مسنده أمام خيمتنا نراقب الشمس وهي تختفي خلف الافق شيئا فشيئا بينما تبدو الجبال منتصبة في الافق تغشاها غشاوة من الحمرة الحمرية البنفسجية . وتتلألأ الرمال في شيء من الخضرة ، وفي مثل هذا الوقت تبدو سقوف الخيام رائعة الجمال · انها الساعة التي يعود فيها الشبان بأغنامهم فتدب الحياة في الحي ويستفيق من فيه من الكلال الذي غشيهم من حرارة الشمس · ويعود صغار الاولاد طليقة ايديهم باغصان شائكة للنار ، وتشرع الفتيات والنساء في حلب الغنم التي كانت تهيم طيلة النهار بحثا عما تاكل · انها تدر الآن في صبر كوبا أو كوبين من لبنها السائل الازرق الخفيف ···

كان الاطفال الصغار يلعبون في الرمل ، وكانت احدى النساء تقف امام الهاون الكبير الخشبي وفي يديها مدق ثقيل ترفعه وتهوي به على مافي الهاون من الحب ثم ترفع يدها من حين الى آخر تزيح اللفاع الذي تلف به رأسها الى الوراء · وبعد ان تم حلب الغنم جمعت بقرب الخيام · وبدا أبريق الشاي يغني ابتهاجا فوق النار ·

انها حياة هادئة آمنة ، ولكنها فقيرة فقرا مدقعا ، حياة ملؤها الجمال الساذج· ولكنه جمال يعاني الحرمان أيضا · ان حياتهم كفاح لا ينتهي ضد قوى الطبيعة في سبيل البقاء ·

ان التوارق قوم بدائيون ، ولكنهم سعداء كما يبدو · انهم لا يسألون من

الحياة سوى القليل فعيشتهم كعيشة اغنامهم تقريبا ، ولكنهم لا يتذمرون · اننا لم نسمع كلمة قاسية أو غير ودية طيلة بقائنا فى الحى · وان نساءهم لا يهتجن ولا يغضبن على اطفالهن ، فكل واحدة منهن تتحدث ـ اذ تتحدث الى غيرها ـ فى مرح وبشاشة ، يخالطهما قسط من المزاح والمرح ·

وعندما تغرب الشمس خلف الافق ويتقدم الظل الاسود من الجبال زاحفا الى الامام ، تحمل النساء والاطفال حزم الاعواد والاغصان والجذور والاشواك الى أمام خيمتنا ، ثم يجلسون بعد ذلك على الرمل أمام النار يتدفأون ويتبادلون أطراف الحديث بصوت منخفض ، ويتضاحكون ضحكا ناعما ، ويراقبون ما نصنع من زوايا عيونهم · وهن متدثرات فى مثل تلك الحال فى اردیتهن الزرقاء · وتلعب النار على وجوههن لعبة الظل والنور ·

ثم عندما يشتد الظلام بعد ذلك يأخذن فى الغناء فيغطى احد الاولاد فوهة هاون بجلد طرى من جلود الغنم ويوقع عليه لحنا مؤثرا بأطراف أصابعه متابعة للمغنين · ان المرء ليحس بالرضا يغمر حياته اذ يستلقى على حصير قريبا منهم يتطلع الى النجوم ويداه خلف رأسه مشبوكتان ، يستمع الى أغانيهم الغريبة ·

عن مجلة « صوت البحرين » باختصار

1 ـ في قريـــتي

هي قريةٌ صغيرةٌ . إذا حلَلْتَ بها نسيت كلَّ شيء وشغَلَك جَمَالُها عن كلِّ شيءٍ فهذه حُقولٌ واسعةٌ تتزيَّنُ في كلِّ مَوْسم بلباسٍ خاصّ. فهو إمَّا أَخْضَرُ سُنْدُسِيٌّ مُوَشًّى بِالأَبيض اللاَّمع والأَصفرِ الفَاقِعِ في موسم البرْسِيم الجَميل وإمَّا ذَهبيٌّ برَّاق عندما تنضج سنابلُ القمح والشَّعير إيذاناً بالبَرَكة والخير الجزيل وهذه دُورٌ ساذجةٌ تقرأُ فـيها كلّ أخلاق القرَوِيِّ من بساطة العيش وَوَداعة النَّفس يُشرِف عليها جميعِها مِئْذَنَةُ مسجد صغير ينبعَث منها كلّ وقت صلاة صوتٌ مُسترسَلٌ عذب يدعوالمؤمنين إلى ربِّهم، تُوقظُك في الصّباح الباكر صيحاتُ الدِّيَكَة المُتَنَاوبة المتجاوبة وزقزقةُ العصافيرالمَرِحة. فاذا أَطلَّت الشّمس من خِدْرها مُؤذِنة بالحياة والكَدّ والعمل خرج الفلاَّحون من دُورِهم إلى حيث أَنعامُهم فَجهَّزُوها وَرَوَّوْها بالماء وقادوها إلى العمل طِوَال النَّهار.

وعلى ضَفَّة النُّهير الذَّهَبِية ذاتِ الرَّمل المبلُول اللاَّمع ترى

الفتيات النَّواهدَ الحِسانَ في جلابيبهن السوداء وقد بدوْنَ سافرات الوجه في زينة طبيعيَّة جميلة وحملْن فوق رُؤوسهنّ الجرار. هذه تغسل جرَّتَها وقد ارتسم جِسمُها الجميلُ على صَفحة الماء الصَّافي وتلك تغترف من الماء ما هي في حاجة إليه. وكأنَّ ضفَّةَ النهر في هذه الفترة من كلّ يوم ناد لأُولئك الفتيات يَتَقابلن فيه ويتحدثن حوله ويستعرضن أخبار فتيات القرية وقد يُغنّين أغانيَ قَرَويَّةً طريفةً بصوت متناسق جميل.

عبد الرّحمان فهمي

2 ـ من مرافق المدينة

في يوم من الأَيّام حول سنة 1900 رأَيت الحارة قد مُزِّقت وحُفِرت فيها الحُفَر طولا وعرضا ومدّت المواسير وأُدخلت في بيتنا الحنفية واسْتَغْنَيْنَا عن السَّقاء وأَراحنا الله من سماع النّزاع حولنا وأَصبح الماء في كل طبقة من بيتنا : في أَسفله وأَوسطه وأَعلاه، وشعرت أَنّ البيت قد دبّت فيه الحياة فالله يقول : « وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ » وما أَنسى لا أَنسى خادما أَتت منزلنا اذذاك من قرية من قرى الفلاّحين فعجبت أَشد العجب من الماء يخرج من الحائط ثم لا ينقطع الا اذا شئنا وحارت في تعليل ذلك. وأَظنها حائرة الى اليوم ان كانت على قيد الحياة.

وأَلِفْنا الماء يخرج من الحائط وذهب الإلْف بالعجب، ولكن ظللنا نستظيء « بالكاز » وهو ما يسمّيه سادتنا العلماء زيت البترول. وكان لمضايقاته أَشكال من العذاب وأَلْوان، فَيَوْمًا ضُرِبت لأَنّي أُرسلت لأَشتري زُجاجةً « لمبةً » فكُسِرت منّي في الطّريق، وكثيرًا ما فسد مفتاحها فاذا أَدرناه يمينًا أَخَذَ يَرْتَفِعُ اللّهب ثمّ

يرمينا بالهباب، وإذا أدرناه شمالا أخذ يهبط حتى لا نَرَى، وهكذا دواليك، حتّى يضيق الصّدر ونذهب إلى النّوم قبل الموعد. وكثيرا ما نكون في سَمَر لذيذ أو حديث ظريف أو قراءة مُلِحَّة، ثم نسمع الزجاجة كُسِرت فينكسر قلبنا لأنّ الوقت ليس وقت بيع وشراء، أو ننظر فاذا « الكاز » قد فرغ ولا كاز لنا !

ثُمَّ رأيت الأسلاك تحزم البيت، وتحزم كلّ حجرة فيه وتدخل بيتنا الكهرباء، فنذير المفتاح مرّة أيضا فَتُضِيءُ الحجرة ونذيره مرَّة لتُظْلِم. وأبى الله إلاَّ أن يرزقنا هذه المرة أيضا بخادم خُطِبَت في قريتها وأرادت السَّفر لتتزوج، فطلبت منّا أن نعطيها لمْبةً من اللّمبات الكهربائية أو لَمْبَتَيْنِ لتنيرها في حجرتها ليلة زفافها. وكان لهذه الخادم فصل أظرف من هذا وألطف، فقد نظرت أول ما أتت من قريتها إلى السّقف فلم تَرَ فيه عُرُوقًا محمل ألْواح الخشب (لأنه كان من الإسمَنْت المسلّح) فصعدتْ إلى السّطح تتحقق الأمر لعل السّقف مقلوب. وأن العروق من فوقُ والأخشاب من تحتُ، فلمّا لم ترَ عُرُوقًا فوقَ ولا تحتَ أحسّت بالخيبة في تعليلها وفوّضت إلى الله أمرها.

أحمد أمين

(فيض الخاطر)

3 ـ الحيـــــرة

كان بعض ولاة الكوفة يذمّ الحيرة في أيّام بني أميـــة، فقال له رجل من أهلها ـ وكان عاقلا ظريفا : أتعيبُ بلدة بها يُضرب المثل في الجاهلية والإسلام ! قال : وبماذا تُمْدَحُ ؟ قال : بصحّة هوائها، وطيب مائها، ونزهة ظاهرها، تصلح للخفّ والظّلف، سهل وجبل، بادية وبستان، وبرّ وبحر، محل الملوك ومزارهم، ومسكنهم ومثواهم، وقد قدمتَها ـ أصلَحَكَ الله ـ مِخَفّاً فرجعتَ مُثقَلا، ووردتها مُقلا فأصارتك مُكثرا، قال : فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟ قال : بان تصير إلي، ثم ادع ما شئت من لذّات العيش، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه !

قال : فاصنع لنا صنيعا، واخرج من قولك، قال : أفعل، فصنع لهم طعاما وأطعمهم من خبزها وسمكها وما صِيد من وحشها : من ظِباء ونِعام وأرانبَ وحَبارى، وسقاهـــم ماءهـــا في قِلالهـــا، وأجلسهم على رِقَمِهَا، ولم يستخدم لهم حُرّاً ولا عبدا إلا من مولّديها ومولداتها، من خَدَمٍ ووصائفَ ووصفاء كأنهم اللؤلؤ،

لغتهم لغة أهلها، ثمّ غنَّاهم حُنَيْنٌ وأصحابُه في شعر عديٍّ بن زَيْدٍ شاعرِهم وأعشَى هَمَدَانَ لم يتجَاوزهُما، وحيَّاهم برَيَاحِينِهَا ونقلهم على شرابها، وقد شربوا بفوا كهها. ثمّ قال له : هل رأيتني استعنتُ على شيء ممّا رأيتَ وأكلتَ وشربتَ وافترشتَ وسمعتَ بغير ما في الحِيرَة ؟ قال : لا والله، ولقد أحسنتَ صفةَ بَلَدِكَ، ونصرْتَه فأحسنتَ نُصرتَهُ والخروجَ مِمَّا تظمنته، فبارك الله لكم في بلدكم.

الأغانى

أبو الفرج الاصبهانى

4 ـ بغداد في ايام الرشيد

لقد أكبرت من (الزّوراء) رَواج سوقها بالتجارة واشتباك أرضها بالعمارة في مدة عشر سنين حتى جمعتْ من أسباب العمران ما لا يكون في مدينة بُنِيت من قديم الزّمان . ووجدتها من لطف الهواء وطيب الاقليم على ما ليس أَجْود منه في مدن العراق . وفيها ما تشتهي الأَنفس وتلَذُّ الأَعين . وأَسواقها في نهاية من الاحتفال قد جمعت (بالكرخ) أَخلاطا من التجار الاّ سوق الصّاغة منها، فانه منفرد (بالفُرْس) وقد بلغوا من الإجادة في صناعتهم بحيث يرصّعون الزّجاج بالجوهر ويصنعون للملوك أَقداحا تقيّد الأَبصار حسنا وإشراقا ويتّخذون على الجامات صُوَرا يُحكمون صناعتها إلى مقاربة الحدائق. رأَيت من ذلك جاما قد صُوِرت عليه طيور تطير ومن فوقها عُقاب ينقضّ عليها وهى تهوي في الفضاء وتعالج بنفسها للخلاص منه ولكن بحقيقة تَمْلِكُ النَّفس وتستوقف الطَّرف.

وإلى طرف هذا السّوق مما يلي سُويقة (غالب) جماعة من العملة والبنائين يرفعون الدّكاكين ليتحول إليها أرباب التِّجارة كما وقع في نفس (أَبي جعفر) وقد أَمر بتحويل الأَسواق كلّها إلى (الكرخ) ليبعد أَخلاط النّاس من جواره .

أما دور المدينة فإنها مُتّخذة على هندسة الفرس وصنائعها ومثال ما بنت (الرّوم) في الشّام وهي مُجلّلة كلسا ومرفوعة على طابقتين ومبني بالأجرّما ارتفع منها عن الأرض وبالحجر مايُمُاسّها أو يقرب منها دفعا للماء في أوان السيل أن يبلغ الطين ويتمكن منه. ومنهم من يقوي الأجرّ بالقصباء والحلفاء ويغمسه بالجص حتى يصير يابسا وتكون له رنّة كرنّة الحجر الصّلد إذا صلصل: وليس لدور العوامّ أسوار تحيط بها وإنّما طاقاتها مُطلّة على الشّوارع وإذا ما ارتفع المارُّ على حجر أو على دابّة تيسّر له أن ينظر إلى مقاصيرها. أما دور المتموّلين وأهل النّعمة فانها ثلاثة أقسام يجمعها سور واحد وهي مقاصير الحرم وحجرات الخدم ومجلس السّلام وهي بمكان من الزّينة. وفي وسط دورها جنان فيها البقل والرّياحين والرّمّان وغير ذلك. وعلى جدرانها وسقوفها نقوش في رسم ملوّن أو فسيفساء ذهب وعلى دائر الأبواب كتابة يتّخذونها من الزّجاج المقطع ويحوّطونها بخشب أسودمن الأبنوس وغيره ويعلقون عليها رسوما من النّحاس تمثّل غصونا وأثمارًا وأزهارًا فتستلىء العين ارتياحا من النظر الى اشراقها. ويعجبني من جمال مبانيهم ما يتّخذون لها من حسن الخارج أيضا فان القباب يرفعونها في أعلى السطوح على عمد دقيقة تُخيّلَ للرائي إليها أنّها لا تستند على شيء وكأنما هي معلّقة في الهواء.

جميل المدوّر

5 ـ في الشارع الخامس بنيويورك

النّاس أَجمعون في هذا الشّارع تبين عليهم سِيمَاء اليُسر والرّخـاءِ : أَناقَةٌ في الملبس، ورفاهيَّةٌ تُفْصح عنها المظاهر... النّساء في معاطف الفَـرْوِ الثّمان، والسّيقانُ دائما تكسوها غلائلُ الجوارب الفاخرة.

هذه واجهات المتاجر والمخازن... إن العبقرية الأَمريكية في الاناقة والتنسيق والتأَلق لتبدو في هذه الواجهاتِ بالغةَ الابداع.

واسترعت نظرنا واجهة تزهو في تَأَلُّقِهَا، فوقفنا لحظة نتأَمل فيما تعرض من ضروب الأَحذية وما هي إلا أن وجدنا أَنفسنا في داخل المتجر، نطلب حذاء راقنا شكْلُهُ.

وبدا حيالنا رجل أَنيقٌ، حيَّانا في أَدب تحيَّةً خاطفة، وسأَلنَا فيم نَرْغَبُ ؟

إشارةٌ منه إلى ذلك المِصْعَدِ لِيُبْلِغَنا القسم الذي نجد فيه

طِلْبَتَنَا. وصعدنا... رجل أنيق آخر يحيّينا تحيته الخاطفة، ويدلّنا في عجلة على المكان المنشود.

واتَّجَهْنَا حيث أشار... أنيق ثالث يرحِّب بنا على ذلك النّحو المعهود.

يا للهِ من هؤلاء المونقين الوجهاء !... كأنّنا فى قصر غطريفٍ تستقبلنا حاشيته..

وأشار الرّجُل بيده إلى ناحية قائلا : المُشتري يتّجه يمينا، والمُرافق يتّجه إلى اليسار.

فخطوت يَسْرة، فوجدت نفسي في زمرة من الرّجال، يقتعدون مقاعد الانتظار... وجلست أبادل الرّفاق نظرات الاستسلام : والتفتُّ يَمْنَةً فاذا أنا بالمشترين « طَابُورٌ » كلّ ينتظِرُ دوره.

وامتدّ بنا الانتظار، فنهضت من رُكْنِ المرافقين أُحاول أن أَقتحم منطقة الشُّرَاةِ، فما أَسْرَعَ أن بدا أنيق يعترضُ طريقى ويُعِيدنِي حيث كنتُ.

يا عجبا !... ها نحن أولاء في هذا البلد الذي يُوزَن فيه الوقت بميزان الذّهب، نرى أنفسنا أكثر النّاس إضاعة لأوقاتهم،

وأشدّهم تفريطا فيها . . . ولكن ما الحيلـة ، ونحـن في متجـر عظيم ، لا تستقيم فيه الأُمور وتَدِقُّ المعاملات الاّ بنظام مفروض له مساوئُه الجسامُ ؟

إن هذا النّظام قد جعل شراء زوج من الأَحذية يبلغ من التعقيد مبلغا يَزْهَدُ مثلي في احتمال تَبَعاتِه . إنّي لأُوثِرُ الحَفَاء على أن أَبْقَى رهينَةَ « حزب اليسار » أَشْقى بموصول الانتظـار

وبعد لأْيٍ خرجنا من المتجر . . . بِخُفَّيْ حُنَيْن !

وأَحسست بأَعصابي تتهافت . . . ولم نَكَدْ نمشي خطوات حتى شعرنا بوَطْأَةِ الجوع، فطرقنا مطعما خلبتنا واجهته . . . ووجدنا أَنفسنا قد انتظمنا في صفّ طويل . . . وكنا نتحرك كالآلات، نخطو إلى الأَمام كلّما خلا من أَوّل الصفّ مَكَانٌ وحَانَتْ مِنّي التفَاتَةٌ إلى الخَلْفِ، فاذا بي أَشهد « طابورا » آخَرَ سرعان ما ائْتَلَفَ، فابتسمت ابتسامةً امتزج فيها الاشفاق بالارتياح، أَنّي مشْفِقٌ على أُولئك اللاّحقين الجياع الذين ينتظرون دورهم البعيد ، وإنّي لمر تاح على أَيّة حال لما أَصَبْتُه من سَبقٍ يُعْفِنِي من مضّ الانتظار .

محمّد تيمور

6 ـ قرطبة في القرن الخامس

في يوم من أَيَام الربيع رقَّتْ فيه أَنفاسُ النَّسيم وجمَّلت أُفقه أَضواءُ الأَصيل ظهرت قرطبةُ عروسُ المدائن وأُمُّ قُرَى الأَندلس وحولها البَسَاتينُ والخَمَائِل تُحِيطُ بها أَشِعَّةُ الشّمس الذَّهبيَّة فَتَبْدُو كَأَنَّها صورةٌ في إِطَارٍ من ذهَب وقد انحدرَ تحتَ قَدَمَيْهَا الوَادي الكبيرُ نَقِيًّا صافيا كأَنَّه خالصُ اللُّجَيْن وجرت به السُّفُنُ تَرِفُّ قِلاَعُهَا البِيضُ كما ترِفُّ الحمائِمُ رأَت ماءً وخضرةً فحنَّت إِلى الوُرود. وانطلَقَ الملاَّحون ينغِمون أَهازِيجَ لهم فيها حُبٌّ وفيها أَمَلٌ وفيها مَجْد وبُطولةٌ فَسَرَتْ أَلحَانُهم مع هبَّاتِ النَّسيم ناعمةً مطربةً وتوثَّبَت كلُّ مَوْجة عليها تقْتنِص منها لحْنًا. وامتدّ فوق النَّهر الجسْر العظيمُ الذي أَمر بِبِنائِه عمرُ بنُ عبد العزيز ضخمًا تيَّاهًا يُبَاهي بأَقواسه السَّبْعَة عشر ما بَنَاهُ الأَوَّلُون ويتحدَّى أَن يكون له مثلٌ في الآخرين.

هذه قُرطبةُ في سنةِ ثلاث وعشرين وأَربعمائةٍ تراها فترى صَفْحةً عجزت الخطوبُ عن مَحْوِ سُطورها ودَوْحةً لم

تعبَث الأَعاصيرُ إلاَّ ببعض غُصونها وأملاً ضاحكًا لم تُبْكِه عواصرُ اللَّيالي وصوتًا مُجَلجلًا لم تُخْفِتْهُ رعودُ الأَحداث الجِسام .

إنَّها لا تَزال تَروُعك بِجمالٍ باهر وقوَّة كامنة لم تُزَعْزِعْهَا الدَّهاريرْ إنها الحسنَاءُ الفاتنة وخطَهَا الشَّيب فأَضاف إلى حُسنها وقارًا والحِلْيةْ النادرة زادها قِدَمُ العهد ثَمانةً وغلاءً تَزْدَان بالقصور الشَّاهِقَة والمساجد الفسيحة ومعاهدِ العلم الزّاخرة بالطُّلاب والأَسواق العامرة والتّجارات الرّائجة .

علي الجارم

7 ـ تطوان المدينة البيضاء

ليس في مدينة « تطوان » ولا في مآذن مساجدها شيء من الشُّمُوخ والعَظَمة . فالبيوت مثل المساجد، تَتَّسم بِمِيسَمِ البساطة والإتِّضَاعِ . وهي لا تتجاوز الطَّابقين، سطوحها بيضاء مثل جدرانها وتكاد تكون متَّصلة .

أما البيوت في الناحية الإسبانية فهي أوروبيّة ذات أربع طبقات أو خمس، فيها أمثلة حسنة الظّاهر للفن الحديث في الهندسة المعمارية .

وفي أسواق المدينة القديمة لا تَشُذُّ القاعدة الشّرقية .تلك الأسواق تدعى بحق زنقات لأنها سكك ضيِّقَة متقطّعة، تقف عند جدار، وتنفُذُ تحت آخر، دَرَجٌ هنا وَجَوَرَةٌ هناك تتسع فى أماكن لثلاثة يمشون في صفّ واحد، ثمّ تضيق وتضيق فتختفي كاللِّصّ في زُقاق مُظلم، ولكنها في النّظافة تشذّ عن القاعدة لا أوساخَ ولا فَضَلات أمام الأبواب، ولاروائح في تلك الزّنقات. إنها حقا لعلىَ جانب بهيج من النظافة .

أما الشوارع فهي في النّاحية الاوروبية الاسبانية. وهي كلها مُخَطَّطَة بِتَصْمِيمٍ، لها بداية ونهاية. ولها اتجاهات معروفة وأَرَصْفة مفروشة كلّها بالاسمنت. وهي تمتاز أيضا عن النّاحية الأَهلية بما فيها من السّاحات والحدائق العمومية. أَكبرها وأَشهرها ساحة الفدّان، التي كانت سوقا للمواشي. وهي اليوم تدعى ساحة اسبانيا، ولا ثِيرَانَ، ولا حرْبَ ولا سفك دماء.

وان في تطوان حديقة مثلَها صادقةَ الاسم والوجه. بل ساحة بحديقة، هي في نظري أَجمل ساحات المدينة. ووجهها يمثّل الإتقان والاناقة في الهندسة والتّجميل. في وسطها جُنَيْنَة زاهرة، مفروشة مماشيها بالاسمنت، وبالمجالس المصنوعة على الطّراز الرّوماني القديمِ، لا ظهر لها ولا جوانب. وحول الجنينة عُمُدٌ عاليةٌ من حديد، في رأسها مَصابيحُ كهربيّة ضمن زُجَاجَات كبيرة مستديرة بيضاءَ غَبْرَاءَ، في كلّ عمود مِصْبَاحَان. وفي وَسَطها العمودُ الأَكبرُ يحمل حَلْقَةً من المصابيح، فتبدو في اللّيل بَهْجَةً للنّاظرين.

من هذه السّاحة تتشعّب الأَسواق في كل جانب كأَنّهـــا في الشكل الْمُصَغّرِ ساحة « الاوبرا » بباريس، ستة أَسواق تمتدّ منها غربا وشرقا، وجنوبا وشمالا، ومابينها.

أَما البنايات حولها فهى كلّها حديثة البناء والهندسة، من

الطِّراز الذي تقدَّم ذِكْرُه، ذات طَبَقَات متعددة للسَّكَنِ، فالواقف في الساحة ليلا يرى أمامه، كيفما اتَّجه بنظره، صفوفا من الأَنوار تنير الشّوارع المُكَمِّلَة لجمالها وبهجتها.

كانت هذه السّاحة ساحتي أيّام إقامتي بتطوان، وإني مُطْرِيهَا لأَنها تمتاز بغير ما وَصَفْتُ من جمال، فهي في النّهار جميلة بمشاهدها، كما هي جميلة في الليل بأَنوارها.

هي - ولا مبالغة - مُنْقَطِعَةُ النَّظِيرِ، ليس في تطوان فقط، بل في المغرب والمشرق.

أمين الريحاني (المغرب الأَقصى)

8 - في البنـــــــدقية

البندقية اسم ساحر جذّاب لهاته المدينة التي أَنْبَتَهَا الماء، كما يَنبت الصَّخر والشّجر، وأنبتها نباتا حسنابحيث لا تتّصل بغيرها من المدائن، وليس فيها غير الماء وسيلةً للنّقل بينها وبين غيرها من الجزر المجاورة ممّا جعل أهلهـا في عزلة تميّزهم من غـيرهم، وهي مع ذلك مَهْبَط فنّ جميل يرجـع فى تاريخه إلى عـصور قـديمة كـانت البندقـية فيـها ذاتَ تـاريخ مجيد فـي التجارة، وفي الحضارة، وفي السّلطان. لذلك كانت البندقية وما تزال فاتنة تهوي إليها الأفئدة وتودّ أن تستمتع بها الأعين، وَقَلَّ أن لم يقصد إليها مسافر في إيطاليا، بل هي وجهة الآلاف يؤمونها من أقاصي العالم يشهدون فيها عظَمة الماضى وسلطان الطبيعة وجمال الحاضر، ويشهدون فيها صناعات بديعةً دقيقةً إن وُجدَتْ في غيرها فهي لا توجد بهذا الإبداع ولا بهذه الدّقة.

يحِلّ الجُنْدُولُ في البندقية محلّ العربة في سـائر المـدن، وكما جنت وسائل النّقل الميكانيكي على العربات بجيادها المطهّمة

تَجني الزَّوارق التِّجارية والسُّفن الكبيرة على الجندولات في البندقية، وان كان أَهلها ما يزالون حريصين على الاحتفاظ بها احتفاظا بدافع قوميٍّ صامدٍ في وجه الحضارة الحاضرة.

ركبتُ واحدا وكان أَسودَ اللون طويلا ضيِّقا، ترتفع على على مُقَدَّمِه ومُؤَخَّرِه عُمدتان من خشب مُزَخْرَف ينتهي باستدارة مستعرضة. وما كان أَبرعَ النَّوتِيَّ في التَّجذيف يُمْسِكُ بِمِجْذافين يعتمد على جانبي الجندول. وما كان أَلطفَ وقع المجذاف وقد لطمته المياه.

يقيم أَهل البندقية طائفةَ كلَّ سنة عيدَ الجندول. وهناك بين زُرقتي البحر والسماء تسير الجندولات تحمل الصِّغار والكبار من الجنسين مرتدين أَزياء تاريخية فَضْفَاضة. وخمورا مُعَتَّقَة وأَطعمة شهية وطواقم موسيقية، وتحت أَشعة القمر الفضيّة يعزفون ويغنّون ويرقصون ويأكلون ويشربون ويقضون لياليهم حتى مطلَع الفجر في مرح بريء لا يعرف الحقد ولا تشوبه البهيميَّةُ إِنَّه عيد الكرنفال في البندقية !

محمد حسين هيكل

9 ـ من المدينة إلى القرية

تَعبتُ من المدينة فذهبت إلى سَفح ـ حريصَا ـ حيث وَقفتْ أمام الجبال الصَّامتة والسهول الضَّاحكة والغُدْران الرَّاقصة. وهذا البحرُ الغضوب الوَثوبُ اللَّعوب يسخَطُ فيُعْوِل فيثور هاجما مُحَطِّمًا ويعود مُتَذَلِّلاً لطيفا مَدَاعِبًا مُدَغْدِغًا أَقْدَام لبنان ورمال سواحله البيضاء . . .

تَعبت من المدينة، من صراخ النَّاس وصرير العربات وحشرجة السَّيَّارات واختلاج المائتين تحت دواليبها، تعبت من المدينة ومن أصنامها وهياكلها ومذابحها، تعبت من كلّ ما يُعْمِي ويُصِمُّ ويخنق الألوهيَة في الكائن المصنوع على مثال الله.

تَعِبَتْ نَفْسِي من المدينة ونفسي منذ وَجَدَتْ تسير بين النَّاس وتَتَفَرَّسُ في عيونهم عَلَّها تجد رسما للطَّابع الأسمى ولكن ما أكثرَ ما رأَتْ نفسي من المسُوخ ويالله من حَزنها عندما يتحول وجهها عن أشباهها وتنتحي مرابضَ الأنعام علَّها تجد في وجوهها مسحةً من روح الحق وفي أنفاسها نَهْلَةً من الحياة الأزلية.

تعبتُ من المدينة وكم في المدينة من بيوت تَنهار وأطفال تَئِنّ. تعبت من أنين الأطفال ومن نزع ضعيفات تمزّقهن أظافرُ الرّجال وألسنةُ النّساء.

تعبتُ من المدينة ومن غيرة أقوامها الآكلة، هؤلاء الذين يَنْبُشُون حول خفايا القلب. فاذا فُتِحَتْ لهم داسُوها بأقدامهم. وإذا أُقْفِلَتْ في وجوههم ساروا لاعنين معربدين.

تعبتُ من كلّ ما في بطون الصُّحف والأوراق وهل في أكثرها الا ثرثرةُ الانسان الأبدية هذا الإنسان الذي ساء ذوقه فأصبح لا لذة له سوى اللَّفْظِ الذّميم. ...

تعبتُ منكم مَعْشَرَ الواشين والمتذلّلين والرّاكعين على جباهكم المعفَّرَة وركبكم الدّامية.

وأنتِ أيتها الأُمةُ أفما تتعبين ؟

تعبتُ من المدينة فذهبت إلى جبل الرّبِّ فتعالَوا أنتم أيها التّعِبُون تعالوا في الصَّيْف والشّتاء والرّبيع والخريف، تعالوا طَهِّرُوا أنفُسَكُمْ بأشعة الشمس وضياء القمر...

سلمى صائغ

1 ـ فضائل الارض

قال صفوان الأنصاري .

زعمت بـــأن النَّـــار أكرم عُنْصـــرًا
وفي الأرض تحيا بالحجارة والـــزَّنْـــدِ

ويُخْلَقُ في أرْحامهـــا وأرومهـــا
أعـــاجيبُ لا تحصى بخطٍّ ولاَ عَقْـــدِ

وفي القعـــر من لُجِّ البحار منافـــعٌ
من اللُّؤْلُؤ المكنون والعنبـــرِ الـــوردِ

وفي الْحَـــرَّةِ الرَّجـــلاء تلقى مَعَادِنًـا
لهن مغـــارَاتٌ تبجّـــس بالنَّقْـــدِ

من الذّهب الإبـــريـــز والفضَّـــة الّتي
تروق وتُصبى ذا القنـــاعـــة والزُّهد

وفيها ضـروب القـــار والشَّب والنهـى
وأصنافُ كبريـت مطاولـــة الـوقبـد

ترى العِرقَ منهـــا في المقاطع لائحًـا
كما قَدَّت الحسناء حاشيـــــة ٱلبُـــرد

ومن إثمِدٍ جَـــوْن وكِلْسٍ وفِضَّـــة
ومن تُـوتِيَـاءَ في مَعَـــادِنِه هِنْـــدِي

وفي كلّ أغـــوار البلاد مَعَـــــادنٌ
وَفي ظـــاهر البيداء من مُسْتَـــوَى نَجْد

وَكُـلُّ يَـوَاقيتِ الأَنـــام وَحَلْيهَـا
من الأَرض والأَحجَار فَـــاخرةُ ٱلْمَجْـــد

مفاخِـرُ للطِّين ٱلـــذي كـــان أَصْلَنَـا
وَنَحْنُ بَنُـــوهُ غَيْـرَ شَـكٌّ وَلاَ جَحْـــدِ

نقلاً عن « البيان والتبيين »
للجاحظ

2 ـ في منطقة « الرور »

انتهزت فرصة وجودي في ألمانيا لزيارة منطقة « الرُّور » ومشاهدة بعض مُنْشآتها الصِّناعيَّة الكبرى... وأُتيحَ لي لأول مرَّة أن أرى طائفة من مناجم الفحم. مثل منجم « تشول فرين » وهو أعظم مناجم الفحم الألمانية، وبهذا المنجم أربعةُ آبـــار كبيرة وتبلغ طاقته اليومية 12 ألف طن. وقد شاهدنا في عنابـر المناجم العُلْيَا كيف تأتي عربات الفحم الصغيرة(وفي كل منها طن) من باطن الأَرض في المصعد الكبير ثمَّ تُصفُّ بطريقة آليةٍ قُطُرًا مُتَوَاليَّة، ويمرّ الفحم الخَامُ بعدة عمليات متعاقبة من الغسل والفرز والتَّصنيف وفقا للوزن والكثافة وكلُّ ذلك بآلات ضخمة لا عهد بها لمصانعنا المتواضعة، ونزلنا بعد ذلك إلى أعماق البئر نحو سبعمائة متر تحت الأَرض ورأينا النَّفَقَ الهائل، الذي يؤدِّي إلى مكان الفحم الخَامِ في باطن الأَرض، وهو يمْتَدُّ نحو ميلين وتسير اليه العربات الصَّغيرة على قضبانها ثم تأتي مُحَمَّلَةً بالأَحجار الفحميّة وتُرْفَعُ بعد ذلك الى أعلى .. ويسكن العُمَّال في مُسْتَعْمَرَاتٍ ومسَاكِنَ

صحية أُقيمت لهم على أرض المَصْنَعِ . تتخلَّلُها الحدائق النَّضرَةُ ويقيم الفتيان الأَحداث في بناء خاصٍّ جُهِّز بأَحدث وسائل الرَّاحةِ والتَّرفية. ومنطقة « الرور » ذات طبيعة خاصّة، ففيها تمتدّ البُسُطُ الخَضْرَاءُ اليانعة على ضِفَّتَيْ نهرِ الرّور ولكنك متى سَرَّحتَ البصر في الأُفُقِ فإنَّ العينَ لا تَقَعُ إلاَّ على المداخن والأَفران العالية وفوهات المناجم تعلوها الآلات المُضَخِّمَة، وتُظَلِّلُها جميعا سُحُبٌ من الدُّخَان من وراء ذلك كلِّه تِلَالٌ خضراءُ نَضِرَة.وهذا المزيج المدْهِشَ من جمال الطبيعة وآيات الصِّناعة هو خاصّة منطقة الرّور. وأَمّا نهر الرّور ذاته فهو نَهْر ضيّق المجرى يخترق المنطقة فى واد عميق ومن حولـه جنَّاتٌ من الخضرةِ والأَزهار ؛ وممّا يُلْفِتُ النَّظرَ أَنّ مُدُنَ الرُّور الصِّناعِيَّةَ الكبرى تبدو بالنَّهارِ خاويةً خاليَةً، لأَنَّ الأَعمال تجري في المصانع ولا تبدو الحركةُ فى المدينة إلاَّ في المساء وَقْتَ الفراغ من الأَعمال.

محمّد عبد الله عنان

(« الكتاب » فبراير 1952)

3 ـ ماركوني... مخترع اللاسلكي

دقَّت السَّاعة دقَّاتِها الاثنتي عشرة ظُهْرَ اليوم الثَّاني عشر من ديسمبر 1901، فتسارعت دقَّاتُ قلب المخترع الإيطالي الشَّاب واشتد ما به من قَلَقٍ واضطراب في انتظار نتيجة التَّجربة الأَخيرةِ لجهاز اللاَّسلكي الذي وُفِّقَ إلى تَصميمه بعد سنوات أَمضاها في البحث والدِّراسة والتَّمحيص. ومضت دقائق كأَنها لطولها سنوات وهو جالسٌ لا يتحرّك ولا ينْبَسُ بِبِنْتِ شَفَةٍ في معمل الأَبحاث الذى تجري فيه التَّجربة بإِحْدَى الضَّواحي الأَنكليزية وقد تَركَّزَ شعوره في السَّمَّاعة المثبَتةِ على أذنه. والمتّصلة بجهازه الجديد الموضوع على منضدةٍ صغيرةٍ أَمامه، وقد ثبت بالجهاز سلك امْتَدَّ عَبْرَ نافذة المعمل ليصله بطائرة من ورق تَتَأَرْجَحُ في طَبَقَاتِ الجَوِّ العليا مع الريح. وأَخيرًا انبسطت فُجأَةً عَضَلاتُ وجه المخْتَرِع الشَّابِّ، وافتَرَّ ثَغْرُه عن ابتسامة رقيقة، ثمّ مدَّ يده المرتجفة إلى مُسَاعِدِهِ الجالس بجانبه، وقال له في لهجة تنُمُّ عن الفرح والإشفاق : اَسْمَعْ... لقد سمعت دقات خافتة !

هل تسمع شيئا ؟...، أخشى أن أكون واهما، أو أن يكون ما سمعته صوت ارتطام طائر اصطدم بالسِّلْك الخارجيّ ! ولكنَّ مُسَاعِدَهُ سُرْعانَ ما وقف ضاحكا. وأعاد إليه السَّمَّاعة قائلا كـلاَّ ... لـم تكن واهما ولا شكَّ في أنَّها الدّقات الثلاث المتـّفق عليها ! وطفرت دموع الفرح من عَيْنَيْ ماركوني وأخذته نَشْوَةُ النَّجاح فكان يرقص بِشْرًا وحبورًا وابتهاجا بما ظفر به من نصر عِلْمِيٍّ مُبِينٍ، وأيّ نصر أروع وأبدعُ من استطاعته لأَوَّلِ مَرَّةٍ في التَّاريخ نقلَ رسالة باللاَّسِلْكِي عبر المحيط الأطلنطي، هي تلك الدَّقات الثلاث التي اتَّفق عليها لتجربة جهازه العجيب مع جماعة من العلماء، كانوا في تلك السَّاعة مُجْتَمِعِينَ لهذه الغاية في مَعْمَلٍ لِلأَبحاث يَبْعُدُ من ذلك المعمل الذي هو فيه بما لا يَقِلُّ عن أَلْفَيْ مِيلٍ ؟!... وكان هذا حتَّى تلك اللَّحْظَةِ التَّاريخية يُعَدُّ ضرباً من الخيال البعيد. بل ضربا من المستحيلِ !

مجلة الهلال مارس 1951

4 ـ الحـــديـــد

يا تـــاج عصر العلم سُـدْ يـــا حديـــدْ
وافخر على التِّبـــر الرَّصيع النضـــيـدْ

فاحكمْ بما أُوتِيتَ مـــن قُـــوةٍ
تـــغـالب الأَيَّـــام حتّى تســـود

وحـــاك صـــوت الرعـد إمّـــا دوى
ترتجّ منـــه البيـــد حتَّى تبيـــد

تكـاد تهوى الأَرض مـن بأســـه
والجـــو يُطـــوي والسمـــاءُ تميـــد

وألْمَـــعْ كبـــرق شَـــقَّ لألاَؤُهُ
جُنْحَ الـــدُّجـــى سيفـا يشـقّ الكبود

أَوْ مِدْفَعـــا يَرْمِـــي الشَّـواظ فيغدُو
كلُّ عُمْـــران شتيـــتـا بديـــد

أَو سابحاتٍ في الجِرَاء وفي الْيَمِّ
حَبَالى تَغْتَدِي وتعود

إن كان سلم أَقلعت ورست
تُقَرِّبُ الأَقصى وتُدْنِي الْبعِيد

أَو كانت الهيجاءُ مُسعَرة
ثارت لتحمي حوضها وتذود

يُصْلى العِدَى من حرّ نقمتها
فيهم جحيم النّار ذات الوقود

ويلٌ لأَهل البغي يومئذ
ما إن لهم عند اللقاء مَحِيد

يا تاج عصر العلم سُدْ يا حديد
وافخر على التِّبْر الرَّصيع النَّضيد

* * *

في سالف الأَيّام من قِدَمٍ
في عهد إنشاء الحياة العهيد

لمّا استوى الفكر على سوقه
مُدَبّرا للعيش حُرًّا رشيد

يَحْتَـــالُ أن يلقى لُبـــــانَتَـــــه
في الصَّخْرِ في الأَخْشـــــاب بين النُّجودْ

أُذِيَعَتْ البشرى وقيـــــل لقـــــــد
تَمَخَّضَتْ بطن الثَّـــــرى عـــن وَلِيـــد

المعـــــدن الجبَّـــــار قـــد رُفِعَتْ
رَايَاتُـــهُ تحدوالـــــــزَّمـــان الجديد

مـــــاضٍ مَضَـــاءَ العـــزم أَيقظـــه
روح عَتِيٌّ لاَ يليـــــــن عَتِيـــــد

طـــوبـــاك ياأَرض اسعدي وَلِـــدِي
لأَنت أَم العـــالميـــــن الـولـــود

مصطفى خريِّف

5 ـ ثورة في الصحراء

كان مُقامنا « بالظّهران » في غُرُفات فخمة مُضاءة بالكهرباء مُزَوَّدَة بالماء السّاخن والبارد لا نرى فيها شمسا ولا زمهريـــــرا. وإنّما هو الجو اللّطيف المُنْعِش قد كيَّفَهُ القوم حَسَبَمَا أَرَادوا. فـــإذا بنـــا نعيش في جنَّـــة وليس بيننـــا وبـــين الصحراء بِقَيْظِهَا وَسَمُومِهَا سوى جِدَار بسيط تسفعه السّافيات وتلطمه الهبوب. أيَّة ثورة !؟ وأي انقلاب ؟ لقد كانت هذه البيد لا تعرف من المساكن سوى الخيام المتنقّلة تقام على العمد والأوتاد. ولا ترى من الطَّعام سوى الخبز القديد وماء المطر ولحم الابل ويابس التّمر، أمّا الغُرُفات المبنيَّة والنِّعم الطّيّبة فكـــان موعد القوم بهـــا في جنَّة الْخلد إذْ المؤمنونَ يَوْمئذٍ « في الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ » « لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ » « وَفَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُـــونَ » .

إنّها الثّورة الطّارئة، بثّت الحياة في ذلك الخَراب وحَوَّلت ذلك التِّيْهَ الْمَخُوفِ قطعة من الفردوس... هذه آبار الزّيت

تدل عليها شعـــل حمراء ساطعة الذّوائب تضيءُ هذا الظّـلام مُؤْذِنَةً بانْبِثَاقِ عَهد جَديد في الدَّهْنَاءِ التي طال ليلها وضـل فيها الخيال ومذكرةً بنـارِ العرَى ، التي كـان «خاتم الطائـي» يأمر غلامه أن يوقدها على جبال « طيء » وهو يَرْتَجِزُ :

أَوْقِـدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَـرُّ و الرِّيـح يا غلام ريح صَـرُّ
عـلَّ يرى نـارك من يمـرُّ إنْ جَلَبَتْ ضَيْفًـا فَأَنت حُرُّ

وهذه أَضواء الْكهربـاءِ تَنْبَثُّ بَيْنَ كثبان الرِّمال مُبَدِّدَةً ظِلاَلَ الأَشْباح المرهوبة التي طالـما تَنَقَـلَتْ بين « الظَّهـران » و « النَّهدين » وبين « الدّهناء» و « الربع الخالي » ومعلنة أَنَّ العلم قد انتصـر على الصحـراء كما انتصـر من قَبْلُ على البحر، وأَذلَّ شوامخ الجبال وسَخَّرَ السَّحابَ .

وهذه أَنَابِيبُ الزّيت تعترض مَسيرَنَا هنا وهنالِكَ، وهي تمتدُّ شرقا وغربا عَبْرَ المياه والرِّمالِ ، مسجّلة أَنّ الإنسان قد عرف السرّ الخطير الذي أَجَنَّتْهُ أَحشاء البيداء دهوراً ، وأَزاح القنَاعَ عن منجم الذَّهب الأَسود المطمور تحت أَديم الصّحراء !

بنت الشاطىء (أَرض المعجزات)

6 ـ عصر الصناعة

قـــل للـــذي طلب المعـــالى قاعـدا
لا مجد في الدنيا لِغَيْـرِ العـــامـــل

بَنَتِ الشّعـــوب على الصّناعة عِزَّهـــا
فالنَّجـم يرمقـه بعيـــن الـذَّاهـــل

دعمـوا الحضـارة بالعقـول وصيـــرُوا
مـدنيّةَ الأَســـلاف زُخْرُفَ بـــاطـل

تركـوا الزهـادةَ في الحياة لعـــاجز
راضٍ من الـدنيـــا بعيش الخـــامـل

وتراءت الدّنيا لهم في جـــدّهـــا
إذ نحن نـرميهـا بِعَيْنِ الهـــــازل

خلقوا من الْعَدَمِ الـــوُجُـــودَ وأَوشـكوا
أَن يجعـلـوا للصّخـر عقل العـــاقـل

وٱسْتَنْبَئُـــوا الأَكوانَ عن أَســـرارها
لم يسأَلـــوا عنهـــا سُطُـورَ أَوَائِـــل

خضعت لأَمـرهم البحـــار فأُثْقِلَـتْ
من سُفنهمْ بمـدائـــن ومعـاقـــل

تَجْـــري ومـوجُ اليَمِّ يصخب حولهـا
مـرَّ الكريم على سَفَـاه الجـاهـــل

عَلَـوْا سـراة الـريّح فوق مَنَـــاطِد
نظـــرت لهـا الأَفلاك نِظْـرةَ وَاجـــل

كـم ذاق في الأَسفـــار قبلهـم الورى
من شُقَّةٍ بَعُدتْ وهَوْلٍ هَـائـــل

فتـدارکتها آيـــة مـــن عِلْمِهِـــم
جَعَلـــت رحـاب الأَرض كِفَّـــة حَـابِل

تـــركت بعيدَ الدّار مثـــلَ قـريبها
وأَخَـــا النَّـــوَى في نـــأْيِه كمُوَاصـل

أحمد الزّين

7 ـ صناعة اهل الصين

حدّث ابن بطّوطة بهذا الشّأن قال : وأهل الصّين أعظم الأُمم إحكاما للصّناعاتِ وأشدهم إتقانا فيها. وذلك مشهور من حالهم قد وصفه النّاس في تصانيفهم فأطنبوا فيه. وأمّا التّصوير فلا يجاريهم أحد في إحكامه بأنّ لهم فيه اقتدارا عظيما. ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك أنّي ما دخلت قطُّ مدينة من مدنهم ثمّ عدت إليها، إلاّ ورأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغذ موضوعةً في الأسواق. ولقد دخلت إلى مدينة السّلطان فمررت على سوق النقّاشين ووصلت إلى قصر السّلطان مع أصحابي ونحن على زيّ الغراقيين. فلما عدت من القصر عشيًا مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصورَ أصحابي منقوشة في كاغذ قد ألْسقوه بالحائط. فجعل كلُّ واحد منّا ينظر إلى صور صاحبه لا تخطئ شيئا من شبهه. وذُكِرَ لي أن السّلطان أمرهم بذلك وأنهم أتوا إلى الْقَصْرِ ونحن به فجعلوا ينظرون إلينا ويصوّرون صورنا ونحن لم نَشْعُرْ بذلك وتلك عادةٌ لهم في تصوير كلّ من يمر بهم. وينتهي حالهم في ذلك إلى أن الغريب إذا فعل ما يوجب فرارهُ عنهم بعثوا صورته إلى البلاد ويُبْحث عنه فحيثما وُجِدَ شبه تلك الصّورة أُخِذَ.

ابن بطّوطة

8 ـ حذاقة اهل الصين

أهل الصّين من أحذق خلق الله كفًّا بنقش وصناعة وكلِّ عمل لا يَقْدُمُهم فيه أحد من سائر الأُمم. والرّجل منهم يصنع بيده ما يقدر أن غيره يَعْجزُ عنه فيقصِد به باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع. فيأمر الملك بنَصْبِه على بابه من وقته ذلك إلى سنة. فإن لم يُخرِجْ أحد فيه عيبا جازاه وأدخله في جملة صُنَّاعه، و إن أُخْرِجَ فيه عَيْبٌ أطرحه ولم يُجَازِه. وإن رجلا منهم صوّر سُنْبُلَةً عليها عصفور في ثوب حرير لا يَشُكُّ النَّاظِرُ إليها أنّها سنبلة وأنَّ عصفورا عليها. فبقيت مدَّةً ثمّ اجتاز بها رجل أحدب فعابها. فأُدخِل إلى ملك ذلك البلد، وحضر صانعهـــا. فسئل الأَحدب عن العيب فقال : الْمُتَعَارَفُ عند النّاس جميعا أنَّه لا يقع عصفور على سُنْبُلَة إلاّ أمالها. وأنّ هذا المصَوِّر صوّر سنبلة قائمةً لا مَيْلَ لها وأثبت العصفور فوقها مُنْتَصبًا فأَخْطَأَ. فَصُدِّقَ وَلم يُثِبِ الملك صانعَها بشيء.

مجاني الأدب

9 ـ يوسف الكيماوي

دخل يوسفُ إلى مصرَ في السّابعَ عشر من رَمضانَ فأَنزلـه السّلطان في بيت أَميرٍ وأَجرى عليه الرّزقَ الوفيرَ ورتَّبَ له عدّة من الخَدم يتولَّون أَمرَه حتّى يختبِرَ صِدْقَهُ فطلب يُوسف أَنْواعًا من الآلات ورسمها وبالغ في تركيبها وتعقيدها فَصُنِعَتْ له وحدّد يوما لِلتَّجْربة فاحتفل به السّلطان وشكّل مجلسًا فخْما لامتحانه. هـذا ناظرُ الجيش وهؤلاء عِـدَّةٌ من الأُمراء وهـذا نقيب الصَّاغة ومعه جَمْعٌ من الصُّيَّاغِ وأُوقدت النّار وأُحضرت الآلات وطلبَ يوسفُ نُحاسًا وقصديرا وفضّة فوضعها في بُوتَقَة وضعهاعلى نار حامية حتى ذاب الجميع فأَخرج من جِرابه إِكسيرًا وضعه على الخليط المُذَابِ وصَبر عليه بُرْهةً ثمّ أَنزل البوتقةَ منْ عَلَى النّار فأَفرغوا ما فيها فإذا سَبِيكَةٌ من ذهب كأَجْوَدِ ما يكون زِنَتُهَا أَلفُ مِثْقال وامتحنها شيوخُ الصَّاغة فأَفْتَوْا بأَنها ذهبٌ خالص لا شُبْهَةَ فيه.

سُرَّ السُّلطان بذلك سرورا عظيما ودهِش الحاضرون وأَنعم

السّلطان عليه بهذه الألف من الذّهب وبالغ في إكرامه وأركبه فرسا سُلطانيًّا مُسْرَجًا مُلجَما بحرير ومنّى نفسه أنّ هذا الكيمياويّ سَيَجْعَلُ له كلّ حديد مصرَ ونُحاسها وقَصديرها ذهبًا...

وأخيرًا قابل السّلطانَ وقال له : إنّ الإكسير قد فَرَغ...

أذن له السّلطان إذ لم يرَ بُدًّا من ذلك وأركبه البريد وأوصى به خَيْرًا حيثما حلّ وأمر الوُلاةَ أن يَمُدُّوهُ بالمال الذي يريد.

ها هو ذا يوسف يتنقّل من بلد إلى بلد والكَرَمُ يتدفّقُ عليه إذ هو ضَيْف السّلطان ونَجِيُّه ومَأمَله حتّى إذا وصل غَزَّةَ وأقام بها أيّاما واختفى ثمّ يَبحثون عنه ويبحثون فلا يَقِفُون له على أثر.

أحمد أمين

10 ـ نجـــــار

استأْجر دكانًا أمام منزلنا الأُسْطَى حسن النَّجار. وهو شابٌّ في نحو الثّلاثين من عُمُره. مهزول الجِسم، أَصفرُ اللون. يَنْتَعِلُ نَعلاً باليةً، ويلبَس ثيابا رثَّة وعلى رأْسه طُربوشٌ أَسفله أَسود وأَعلاهُ أَحمر. قد دفعه إلى الوراء لِيُظْهِرَ نَاصيةَ شَعَرِه التي فَرَعها فُرُوعا ورفعها إلى السّماء لِتُنَاطح السّحاب.

يَنْظُر إليك بعينٍ مُنْتَفِخَة كأَنّه قريبُ العَهْدِ دائما بنوم طويل ثقيل ويمشي متطرّحا كأَنّ في رأْسه دائما فَضْلَةَ خُمَار وعلى وجهه غَبَرة كأَنَّ الماء لمْ يَمْسَسْهُ أَبدا. أَقوَى شيء فيه لسانُه في السِّباب وصوتُــه في النِّزاع. ليس لِفتح دكّانه أَوْ إغلاقه مَوْعِدٌ، ولا لعَمَله وراحته وقتٌ مُحَدَّدٌ. يَحْلُو له أَحْيانا أَنْ يُغْلقه في الصّباح ويَفْتَحَه في الظُّهر إذَا بَدَأَ النَّاس يَقِيلون وأَحيانا يَسُرُّه أَن يترُكَه مُغْلَقًا طولَ النَّهار ويفتحَه لَيْلاً حيث يبدأَ النّاس في النَّوم : فيُضِيءُ مِصباحَه ويُخرج عُدَدَه وأَدواتِه في الشّارع ويأخذ في نجارتـــه ما حلاَ له ذلك فحينًا إلى الفجر

وحينًا إلى الصّباح وإذا فتح الدُّكانُ نهارا فَمَعْرَضٌ غريبٌ لأَصحابِ الحاجات الذين يأتون يُطالبون بإنجاز أَعمالهم ويشكون من تأخير طلباتهم حتى يَصِلَ الأَمرُ في أَغْلَبِ الأَحيان إلى تدخُّل البوليس، واحْيانًا يكون ما هو أَدهى وأَمرُّ فربَّمَا يُسَلِّمُ إليه أَحدُهم خِزانةً أَو كُرسيًا لإِصلاحه ثم لا يَجِدُ خزانتَه ولا كرسيَّه لأَن الأُسطى حسن قد اضطرَّتْه الحاجة الملحّة فباعه وأَضاع ثَمَنَهُ. وهكذا أَصبح شارعُنا بحمد الله معرضا في النَّهار للسِّباب والخصومات والشّرطة ومُنْتَدًى جميلا في الليل لأَصحاب المِلاَح إلى الصَّباح.

أَحمد أَمين

11 ـ في دكان الحلاق

ذهبتُ إلى دكّانِ الحلاقِ فوجدتُ بالطّبع كلَّ المقاعد مُحتلَّةً وقد جلس أربعةُ زبَائنَ مُنتظرين حُلُولَ دَوْرِهِمْ فاتّخذت مجلسي هناك أحاول قَطْع الوقتِ في قراءة الاعلانات المعلقة فوق الجُدُران عن أَلْوان الأَدْهنة والعُطور. ولما سئِمتُ من هذه الفرجة تناولت عددا من المجلاَّت المصوَّرة المكدَّسة فوق المائدة. وهي مجلاَّتٌ تمزقتْ صفحَاتُها وبَلِيَتْ جِلْدَتُهَا فمَضيْت أَقْرأُ فيها حوادثَ ذهب وقتُها ونُسِيتْ أَخبارُهَا . . . . وأخيرًا جاء دوري، وارتفع الصَّوت مناديا : « تفَضّل » .

جلست على الكرسيِّ الضخم وراحَ الحلاّقُ يدفع رأسي إلى الوراءِ ويضعُ تَحْتَهَا فُوطةً مُطَبَّقة مَطويَّةً لِتَستنِدَ إليها، ثمَّ ضرب بِأَصابعه في رَقبتي وأثبتَ أَطْرَافَ فوطَةٍ أُخرى وحشَرها بين اللّحم والياقةِ . . .

بدأ يهيِّءُ الصَّابون في الصَّبَّانةِ ويحرك الرَّغاوي بالفرشة، ويقف بين لحظة وأخرى عند إحداث الرَّغوة ليفحَص دُمَّلاً

طلع له في ذقَنِه ثمّ يُعاودُ التَّصبينَ مُتَطَلِّعًا إلى وجهِه فيَ المرآة ولما أتّم غمْسَ وَجْهِي بالرَّغْوَةِ أخذ يَدْعَكُ الصّابونَ بأصابعه في جلدةِ ذَقْنِي دَلْكًا مُتَوَاصِلاً لِتَلْيين الشّعَر، ومشى إلى القائش لتجْليخ مُوسَاهُ ثمَّ أخذ يحلق لي حافرًا بأنامله في وجهي ليَمُطَّ الجلد ويَمُدَّ البَشَرَةَ، لاَوِيًا رأسي يمينا وشمالا وخلفَ وقدامَ كما تشاء الحِلاقةُ ويشاء. ولم أَجِد بَأْسًا من كلّ ذلك وهو يحلق الصُّدْغَينِ ولكنه عندما أخذ ينحدرُ إلى ذقني ويشدُّ في جلدها وينزل من أعلى ويطلُع من أسفل أخذت الدّموعُ تَنْحَدِرُ من عينيّ وترك الذَّقَن وأمسك بأنفي واتّخذه مِقبضا يستعين به على حلاقة أعالي شفتي العُلْيا. وما زال يحرِث رأسي بيديه للتَّمْشِيط والتَّرْجِيل والتَّسْريح والسّؤال عن أخبار السّياسة وحوادث اليوم حتّى سمعت آذان الظُّهر فأدركت أنني تأخّرت عن قضاء شأني الذي كنت ذاهبا إليه فسخِطت في أعماق نفسي على الحلاقين وصبيان الحلاقين وتعجّلت في النُّهوض ضَيِّقَ الصَّدر كظيم الغيظ.

تاليف ـ مارك توين

تعريب ـ عبّاس حافظ

12 - الـمذيـــاع

شـــــاد تـــرنَّـــمَ لا طيـــرٌ ولا بشـــرُ
ياصاحب اللَّحن أين العـــود والـــوتَـــرُ؟

إنِّي سمعت لِسانا فْـــدَّ منْ خشـــــب
فهـــل ترى بعد هـــذا ينطق الحجـــر؟

لَو قُلْتُ بالـــجِنِّ قُلْتُ الجِـــنُّ أنطقـــهُ
أَو قُلْتُ بالسِّحر قلت القوم قد سُحِـــروا..

لَهْفِي عـــلى صَـــوْلَةِ الحـــاكي ودَوْلته
لقد غدا في ربيع العُمْـــــــــر يُحْتَضَـــر

وآلة جعلتْ من حُجرَتِي أُفُقًـــــــا
يَـــرتدُّ منحـــصرا عـــن حـــدِّه البصَـــر

كأَنَّمـــا الكـــرةُ الأَرْضيـــة انحصـــرت
في جَوفها والورى في جوفهـــا انحصـــروا

قد حكَّمَتْنِي في الأَصوات لَوْحتُهـــــــا
فـــصـــرت أختـــار مـــا آتـــى ومـــا أَذَر

وكلّ رقـمٍ عليـها حَشْـوُهُ طـربٌ
وفيـه كنـزٌ مـن الأَلْحـان مسـتَتِـر

لهـا فمٌ ليس يَستـعصـي عـلى لُغَـةٍ
عـلى الـرَّطـانـةِ والإفصـاح مُقْتَـدِر

عـوراءُ لا تخرج الأَصواتُ من فـمهـا
إلاّ إذا مـا بـدا مـن عيـنـهـا الشَّـرَر

صمَّـاءُ لكـن تعـنـي مـا لا تعـي أُذنٌ
بكمـاءُ مِن فمهـا الأَخـبـار تنتـشـر

ثـرثـارةٌ إن أَردت الـقـول ثـرثـرةً
فـإن أَردت اختـصارًا فهـو مـختصَر

في كلّ يومٍ نـرى لِلغَرب خـارقَـةً
يكـفيـه هـذا ويكـفي المشرقَ النَّظَـرُ

القـوم يـبـتكـرون المعْجـزات لنـا
ونحن نفـتَنُّ في إطـراءِ مـا ابتكـروا

فهـل ترى الشّرقَ قـد أَدَّى رسـالتَـه
وهل ترى أَنبياءَ الغـرب قد ظَهَـروا ! .

محمود غنيم

13 ـ الـــــرّاديــو

... هذا هو الرّاديو : فيه علمٌ إن شئت وفنّ إن أردتَ وناطــق إن أصغيت. وساكتٌ إن أعرضتَ ومُتَحَــدِّثٌ بكــلّ لسان وواصِلُك بكلّ مكان إن شئت معلِّما فمعلّمٌ أو غنّاء فمُغَنٍّ أو فنّا ففنّان. يهزل حيث تُحِبُ الهَزْل ويجِدّ حيث تَهوى الجِدّ يمتاز عن التّلفيون بأن التليفون طالب ومطلوب فــاذا كان طالبا فقد يفجعك بخبر يُوقظك من نوم أو يُحَمِّلُكَ مطلبا يشقُّ عليك أو يصلك بمُحَدث يَثْقُلُ على نَفْسِكَ ثم تُريد أن تتخلّص منه فلا تستطيع فقد لزِمَ الأَمرُ وحُمَّ القَضاء. أمّا الرّاديو فليس إلا مطلوبا هو عبد مُطيع وخادمٌ أمين إمّا ساكت أوْ متكلّم بما أحبَبْت نَديمٌ ظريف جُهَيْنَةُ أخبار وحَقِيبة أسرار ترْياق الهمّ ورُقْيَة الأحزان...

إن كنت أيُّها الرّاديو قد دخلتَ البيت أخيرا فلست آخرَ ما يدخل فهُمْ يحدثوننا عن سِلكٍ آخرَ سيدخل قريبا يحمل الصُّوَرَ كما تحمل أنت الصّوت فإن كنّا الآن نسمع لك فسنسمع بعدُ ونرى. ومن يَدْري لعل أسلاكا أخرى تدخل فتوَزِّعُ الحرارةَ والبرودةَ بقــدرٍ وأسلاكــا و أسلاكا..

أحمد أمين

14 ـ الأسطى عزرائيل

ذهبت في أوائل الصيف أحلق ذقني عند الحلاق ، وأنا بالحياة فرح مستبشر، أغني في أعماق نفسي ، وأصغي الى أغاني الفلاحين وهم يقودون صفوف الابل ، محملة بالبطيخ في أفخر شوارع مصر ، وغرقت في المقعد ، وأسلمت رأسي للحلاق، وأغمضت عيني مستسلما لأعذب الأحلام ، مستقبلا بوجهي النسيم الصناعي من المروحة الكهربائية·ووضع الحلاق على ذقني الصابون الرطب ، فشعرت بمتعة·وراح يسن الموسى حتى لمع نصلها ، وجاء فأخذ رأسي بين يديه ، ثم همس في أذني قائلا بلهجة غريبة : ـ لا مؤاخذة ! اني أتوسم فيك ··· فراستي لا تخيب ··· لي عندك طلب بسيط » · ورفع الموسى عن صدغي منتظرا ··· فبادرت أقول له : تفضل !» فأمسك برأسي واستأنف الحلاقة وهو يقول هل تعرف حضرتك أحدا في مستشفى المجانين ؟ فدهشت ، ولكني قلت بهدوء : لماذا ؟ » ـ لي شقيق مجنون أريد أن أخرجه ـ مجنون ؟·· وهل شفي ؟· ـ انه لم يكن مجنونا خطرا ··· ولكنها دعوى باطلة من المستشفى كل ما في الامر أنه أحيانا تتراءى له خيالات ويتصور تصورات لا ضرر فيها ولا غبار عليها ، فلا هو هاج ولا ماج ولا صرخ ولا صخب ولا ضرب ولا بطش ، ولا أحدث تلك الفوضاء والضوضاء التي يحدثها المجانين الذين يحبسون في المستشفى · ـ عجبا وماذا فعل اذن ؟ حتى استحق أن يحجز ؟ ـ لا شيء يا سيدي ··· المسألة بسيطة : شقيقي هذا كان حلاقا مثلي · وكان يشتغل ذات صباح في أمان الله · وكان الوقت صيفا ، والحر يغري بالعطش كما لا يخفى عليك وكان في يد شقيقي رأس زبون لا يتخير على حضرتك فشاءت له تخيلاته أن يتصور رأس الزبون بطيخة ··· وكانت في يده الموسى فأراد أن يشقها بالطول · فارتعدت وصحت في الحال : يشق ماذا ؟ » ـ يشق البطيخة ··· أعني رأس الزبون ! قالها الحلاق بكل هدوء وبنبرة طبيعية·فجمد الدم في عروقي، وكان رأسي وقتئذ في يده والنصل الحاد البراق يمر عند الحلق ··· فأمسكت أنفاسي خوفا وجزعا ··· ولكني لم ألبث أن تجلدت وقلت له بوداعة ورفق لادخل عليه الرضى وعلى نفسي الاطمئنان : طبعا شقيقك هذا شاذ في العائلة » ـ فقال بهدوئه المعتاد وتصله فوق حلقي » الحقيقة أن هذا شيء في العائلة كلها ··· أنا نفسي أحيانا تخطر لي تصورات عجيبة ··· خصوصا في موسم البطيخ ··· كلام في سرك شقيقي معذور ! » ولمعت عين الحلاق ببريق عجيب يضاهي بريق النصل الذي فوق حلقي فأيقنت بقرب الساعة ، وتشهدت على نفسي وترحمت · وأغمضت عيني مستسلما لا للذيذ الأحلام هذه المرة بل لمجيء الموت وخروج الروح · ولم أفتحهما الا على صوت رشاشة الكولونيا وهي تعطر وجهي ··· وعلى صوت الحلاق وهو يقول لي : نعيما ··· فانتفضت ونهضت كمن ولد من جديد ، ودفعت حسابي والحلاق في أثري يوصيني بشقيقه والتوسط في اخراجه وأنا لا أسمع منه ولا أعي ··· وما وضعت قدمي في الطريق حتى تنفست الصعداء واقسمت ان أحلق بيدي أو على الاقل لا أدخل عند هذا الحلاق في موسم البطيخ ·

توفيق الحكيم

من كتاب « أودي الله»

1 ـ اكتوبر في الزمن السعيد

كنتَ في أكتوبَر شهرِ الغِنَى والزَّواج تَرى مَزارعَ القُطْن رَفَّافةَ الوُجوه بسَّامةَ الصّور تَنْساب بين خُطوطها البيض أسرابُ الغِيد يَجْنِين الثَّمرةَ الغالية وهُنَّ يُغَنِّين الأَغانيَ الجميلَةَ ويَحلْمن الأَحلامِ اللذيذة ويتخيَّلْن هذا القُطْنَ الذي يَجْمَعْنَهُ الآن بأَناملهن ويَضَعْنَه في أَحضانهن وقد أَصبح الثَّوبَ الزَّاهِيَ الذي اشتهيْنهُ والقُرْط الذَّهبِيَّ الذي ابتَغَيْنَهُ والزَّوجَ الحبيب الذي تَمَنَّيْنَه. فإذا جدَّت القريةُ وجدتَّها زَخَّارةً بالحياةِ مَوَّارةً بالحركة تَمْرَح بحماسةِ الشَّباب وتموج بأَطياف الحبِّ وتهزج بأَناشيد الأَعراس وتتلقّى جزاءها الأَوفى على جهادها الصابرِ طول العام في فلاحة الأَرض وخدمة المالك وإعانة الحكومة .

فَالطُّرقُ الآتية إليها من الغيط تسيل بالعذارى الأَوانس يُصَفِّقُونَ بالأَكفّ المخضوبة ويحدون بالأَصواتِ النَّديَّة والخواجات يخرجون مُتَعاقِبين من بيت إلى بيت يُسامُون على « المحصول »

بالأثمان المغرية . والشباب المرحون يسمرون إلى موهن الليل على الرباب والأرغول في بيوت الأفراح القريبة وأشعة الخريف الفاترة تبعث في قلوب هؤلاء الخليين طلاقة العيش وجمال الوجود فلا يشغلون بالهم بالزروع التي تذبل ولا بالأوراق التي تسقط ولا بالطبيعة التي تموت .

حسن الزيات

2 ـ الفـــلاح

أيهـا الكادح الشقـــيُّ المعَنَّـــى
آن للشعـــب أن يـــرى مـــا تمـنـى

عشتَ في البُـــؤس والمظـــالم دهـــرا
تحمل الجهـــــد والمتاعب عنّـــــا

تسبـــــق الطَّيـــر في البكور وتسعى
في رضـــاء والقـــلب منك اطْمَـأنّـا

قانعًا بالكفاف من لُقمة العيـــش وديعا وأنت للناس تَفْنَـى

حظُّك البـــؤس بالنَّهـار وتلقـــى
ظلمة الدّهـــر كلّمـــا اللّيـــل جَنّـــا

من قديم الدهور تحمـــل عبئـــا
نـــاء بالعصبـة القـــويـــة مَتْنَـــا

كنت تصحو والنّاس غـرقى نيـــامٌ
تبذر حبًّـا ثمّ تطلب عـــــونـــا

جـاءـلا أَنَّـةَ السَّـــوَاقـــي غِنَـــاءً
وشـكـــاةَ الـفـــؤوس لـــلأَرض لَـــحْنَـــا

يـــأخذ الـبرد مـــن قُـــواكَ شِـتَـــاء
وتلاقِـــي فى الصَّـيْـفِ لَفحـا وغبنَـــا

يـــا لـــك الله مـــن شـــقـــى صبـــور
أَحْـسَـنَ الـــدَّهْرُ بالبَـريَّـــة ظَنَّـــا

قـــد قـــضَى العمـــر بـــين مَـد وجَـــزرٍ
مـــذ شـكا الظُّـلـــم والعنـــاء وأَنَّـــا

•-•-•

فاطمئـــنـــوا معـــاشر الـقوم وامْـضُـوا
فى سـبـيل الـعـلا فـانـــا نَهَـضْنَـــا

وبدا الشجر ساطعا يزْهِقُ اللَّيلَ ويكسو الحياة نـورا وأَمنَـــا

محمود محمّد بكر هلال

(مجلة الثقافة)

3 ـ ليـالي الحصـاد

كان ذلك في ليلةٍ بين أواخرِ مايو وأوائل يونيو ـ والزّرعُ قد استحْصَدَ وتهالك بَعضُه على بعض مِن الذُّبول واليُبْس فلم يَعُدْ يَقْوَى على حَمْل سُنْبُلِه وكان الحاصدون والحاصداتُ قد خرجوا عشاءً إلى الحقول الذَّهبية في أيْديهم المَناجِلُ وعلى أكتافهم الأَرْدِيَة وهم يُوَقعُون أهازيجَ الجذلِ والأمل ـ فباتت القريةُ هامدةً كأنّما ضرب على آذانها الموتُ ... فخرجت أنشدُ الْفُرجةَ والأُنْس في حقل من حُقُولنا القريبة.

كان الحصدَةُ من رجال ونساء يَزْحَفُون إلى الْقَمْحِ بِمَنَاجلهم صفًّا فيتركُونه وراءهم أضغاثًا من الحصِيد منظومةَ الأَسَافل والسّنابل ثُمَّ يَعُودون الحين بعد الحين فيركمونها حزما غلِيظَةً ويدَعُونَهَا تنتظر النَّقْلَ على الجِمال إلى البَيْدر.

وأجمل ما في ليالي الحصاد مَنْظَرُ الحُقُول المنْبَسطَةِ على مَدى الطَّرْف وقد ضربتْ في صُفْرَتِها أَضْوَاءُ القمَر فابيضَّتْ آبِيضاض الحسانِ ومجالسُ الشَّبابِ والشَّوابِّ على حَصائد القمح الوثيرة

يُديرون بينهم سقاط الحديث الفكه وغناءُ الفَتَيَاتِ وزَمْرُ الفِتْيَةِ يَتَوَارَدَان على سَمْعِك من قريب ومن بعيد فيفعلان في نفسك ما لا يفعلُه الموسيقار الحاذق ثمَّ نَوْمُ هؤلاء وهؤلاء في الهزيع الأَخيرِ على فرُش من الحصيد تكلؤهم عين العفاف وتتمثَّل في أَحلامهم صُورُ الْفضيلة ـ فإذا ما تنفس الصُّبحُ على وُجوههم المطلولةِ هبُّوا إلى الْقناةِ يَتَوَضَّؤُون وَيُصَلُّون ثُمَّ يَعُودون إلى مَناجِلِهم على أَنشط ما يكونُ الفتى وأَرْضى ما يكون المؤمن.

أَحمد حسن الزيّـــات

٤ ـ مرتا اليتيمة

مات والدها ولم يورثها غيرَ اسمه وكوخ صغير حقير قائم بين أشجار الجوز والحورِ. وماتت أُمها ولم تترك لها سوى دموع الأسى وذلّ التَّيَتُّمِ فباتتْ غريبَةً فى أرض مولدها، وحيدة بين تلك الصّخور العالية والأشجار المحتبكة وكانت تسير فى كلّ صباح عارية القدمينِ رثَّةَ الثّوب وراء بقرة حلوب إلى طرف الوادي حيث المرعى الخصيب وتجلس بظلّ الأغصان مترنّمةً مع العصافير باكية مع الجداول حاسدةً البقرة على وفرة المأكل متأملة بنمو الزُّهور ورفرفة الفراش وعندما تغيب الشّمس ويُضنيها الجوع ترجع نحو ذلك الكوخ وتجلس مع صِبية وَلِيِّهَا مُلتهمةً خبز الذُّرةِ مع قليل من الثمار المجفّفة والبقول المغموسة بالخلّ والزّيت، ثم تفترش القشّ اليابس مُسْنِدةً رأسهَا بساعديها وتنام متنهّدة مُتمنِّية لو كانت الحياة كلُّها نوما عميقا لا تقطعه الأحلام ولا تليه اليقظة وعندما يجيءُ الفجر ينتهرها وَلِيُّهَا فتهب من رقادها مرتعدةً خائفة من سُخطِه وتعنيفه.

جبران خليل جبران

5 ـ المحـــــراث

يخطّـــط الأَرضى في نظم وإتقـــان
كأَنّه ريشـــةٌ فى كف فنـــــــانِ

يخطّـــط الأَرض لكن لا يُلَوِّنُهَـــا
فـإن نمـا زرعهـا آزدانت بـألـــوانِ

تلك السّطـــورُ سطـــورٌ بات ينقشها
في صفحة الأَرض بالمحـــراث ثـوارنِ

شاهدت في الحقل بعد الحرث هندسةً
ليست تقوم على دعمـــوى وبُـــرْهَـــانِ

حسبُ المـــزارِعِ إن لم يَغْشَ مدرسـة
مـــا في المزارع من علـــم وعـــرفانِ

مـا أجمل الأَرض والمحـــراث يَنْظُمُهـا
قصيـــــدةً ذات تقطيـــــع وأَوزان

يَمْشِي ومن خلفِـــــه كفٌّ تُوَجِّهُـــهُ
كالفُلْك سُكَّـــانُهَـا فيِ كَفِّ رُبَّـــانِ

مـــا قلقل الأَرض إلا زادَ غَلَّتَهَـــا
ضعفين فأعجـــب لهـــذا الهـــادم البانيِ

لهُ سِلاَحٌ إذَا شَقَّهـــــا انْفتحَـت
فيهـــا كنوزُ يـــواقيتٍ ومـــرجـانِ

لَوْلاَهُ مَا جَادَ بالخيـرات بـــاطنُهـــا
ولا جَنَـــــى ثَمَـرًا مِنْ ظَهْرِهَـا جَـانِ

محمود غنيم

6 ـ الشيخ عباس والفلاحون

كان الشّيخ عباس بين سكان تلك القرية الأَميرَ بين الرعية. وكان منزله القائم بين أكواخهم الحقير يشابه الجَبَّارَ الواقف بين الأَقزام وكانت معيشته ممتـــازةً عن معيشتهم بِمِيزةِ السَّعَـةِ عن العوز وأَخلاقه مختلفةً عن أَخلاقهم باختلاف القوةّ عن الضّعف. إن تكلم الشّيخ عباس بين أُولئك الفلاّحين حَنَوْا رُؤُوسهم إيجابا كأَن القوّة العقلية قد انتدبته ممثلا لها، واتَّخذت لسانه ترجمانا عنها. وإن غضب ارتجفوا جزعا وتبدَّدوا من أَمام وجهه مثلما تتراكض أَوراق الخريف أَمام الأَرْياح. وإن صَفَعَ خَدَّ رجل منهم ظلَّ ذلك الرَّجل جامدا صامتا كأَن الضّربة أَتت من السَّماء فمن الكفر أَن يتجاسرَ ويرفع عينيه ليرى من أَنزلها.

وإنْ تبسّم لرجل آخر قال الجميع : ما أَسعده فتى رضي عنه الشَّيْخ عبَّاس ! ولم يكن استسلام أُولئك المساكين إلى الشّيخ عبّاس وخوفهم قساوتَه صادرَيْنِ عن ضعفهم وقوته فقط، بل كانا

ناتجين عن فقرهم واحتياجهم إليه لأنّ الحقول التى كانوا يحرثونها والأكواخ التي يسكنونها كانت ملكهُ وقد وَرِثَهَا عن أبيه وجَدِّه مثلما ورثوا الفقر والتّعاسة عن آبائهم وجدودهم. فكانوا يَفْلَحون الأرض ويزرعونها ويحصدونها تحت مراقبته ولا يُحَصِّلُون لِقَاءَ أتعابهم وجهادهم إلاّ على جزء من الْغلّة لا يكاد يُنْقِذُهُمْ من أظافر الجوع. قد كان أكثرهم يحتاجُ إلى الخبزِ قبل انقضاء أيّامِ الشّتاء الطويلةِ فيذهب إليه الْواحدُ بعد الآخرِ ويتضرعُ أمامه باكيا مستعطفا لكي يُقرضَهُ دينارا أو مكيالا من الحنطة فكان الشّيخ عباس يُجِيبُ سُؤْلَهُم مَسْرُورًا لِعِلْمِهِ بأنّهُ سَيَسْتَوْفِي الدِّينار دينارين ومكيال الحنطة مكيالَيْنِ عندما تَجيءُ أيّامُ البَيَادِرِ والموسم. وهكذا كان يبقى هؤلاء التّعساءُ مُثَقَّلِينَ بِدِيُونِ الشّيخ عباس مُكَبَّلِينَ بحاجتهم إليه خائفين غَضَبَه طالبين رضــاه. إنّ تاريخه لن تمحوه الأيّام والليالي ...

جبران خليل جبران

7 - يـوم الحصـــاد

أَحْصَدَ الزَّرْعُ ومـــاجَ الحقـلُ واستجْنَى جنـــــــاه

وكـــــاه الفجـــر لَألاَءَ سنيـــــا مـــن ضِيـــــاه

ذهـــبٌ مـــا تبصـــر العيـــنُ، بهيـــج مُجْتَـــلاَهُ

دهـــب، ذَوْبٌ مـــن الأَنـــوار، معطـــار شـــذاه

ذلك السُّنْبُـــل، إذ يهـــفُـــو، مـــن القلـــب، مُنَـاه

سُـــنْبُـــلٌ يـــزهو كمـا يـــزهـــو، من اليوم، ضُحَـاه

منظـــــر يَغْنَـــــى بـه الفـــلاّح، لا يرجـو ســواه

منْظـــر يحلـو لِعَيْنَيْـــهِ يُنَـــاجِيـــه بَهَـــاه

جَهْـــدُهُ الجـاهِـــدُ مـــا أَســـخـــاه ! مـا أَسخى جداه !

كـــم وراء النّـــور والمحـــراث، من يوم قضـــاه !

كم مـــع، الأَنـــواء، كم في الدَّجْنِ، قد طـــال بقـاه !

لا يبـــالي البـــردَ، لا يخشـــاه، لا يخشـــى أذاه

يَحْمِـــلُ الْفـــأس، فمـــا ملَّتْ، ولا ملَّـــتْ يـــــداه

ومضـــات الفأس يجلـــوهـــا، لعينيـــه، عَنَـــــــــاهُ

قد أحـبَّ الأَرض فـــــا لأَرض، مـــن الدّنيـــا هـــواه

أَرضـــه الجنّـــة، يهـــــوا هـــا، وذا الجهد وفـــــاه

منظـــــر سحـــر لعينيـــه وقـــد ولّـــى شتـــــاه

واستفـــاض النور يزهـــو يمـــلأُ الحقـــل سَنَـــاهُ

احمد المختار الوزير

(الدّيوان ص : 136)

1 ـ فــوق السحب

جاء يَوْمُ السَّفَرِ وذهبت إلى المطار.

دقَّ الجرس ووقفتِ الطَّيَّارة المسافرة تأخذ مُؤنتها من الزَّيْتِ والْبنْزِينِ وتمَّ وزني مع عَصَايَ ستِّين كيلولا أكثر ولا أقَلّ وطلب إليَّ مُوَظَّف الشّركة المبادرةَ بالرُّكوب... وجذبني من ذراعي في رفق ومشينا حتَّى دَنَوْنَا من السُّلَّم المدلَّى من باب الطَّيَّارةِ ولَيْس بها أحدٌ.

أجلسني في آخرِ مقعدٍ قربَ الذَّيلِ وأراني مكانَ الْقُطن أضعهُ في أُذنيَّ إذا أزعجني صوتُ المحركاتِ وأراني آنية من الورق تنفعني إذا أصابني دوار وقيْء وأقفل عليَّ الباب ورفع السُّلَّم وأُديــرت المحرِّكات وارتفعتُ... ولم تلبث الطيَّارة أن امتطت الجوّ وثبتت عليه ومخرت فيه ولم يعد يُخَيَّلُ إليَّ أني معلَّقٌ في فضاء بل فكرة الفضاء نفسها قد ذهبت من عالم إحساسي نظرت من النّافذة فإذا منظر لن أنساه : رأيت القطر المصرِيَّ

تَحْتِي كَأَنَّه خريطة جغرافية كبيرة مصنوعة من الجبس الملوّن وما أنا إلا ذبابة أو مخلوق وهميّ يركب جناح بعوضة هائمة فوق هذه الخريطة... وليست أرض مصر الخصبة إلا سجّادة برسومها ذات الخطوط المربعة والمثلثة والمستطيلة وقد صُبِغَتْ بالأصفر والأخضر والأسود... لم أشعر قطُّ أنّي أتحرّك ولكني كنت أشعر أن أحداً يحرك قليلا تحت أنظاري هذه السجادَة، هي التي تتغير في أوضاعها وتكشف لي عن بعض حدودها ودقائقها. ولم يمض قليل حتّى جذَبت يد خَفِيَّة هذه السَّجادة، فإذا بي لا أرى غير الصحراء تحت أنظاري... ثم ذهب البحر الأصفر وبدأت عيني ترى أطراف ذلك البحر الأزرق يبْرُق عن بعد كأنَّه فصٌّ فيروزٍ في كفّ الكون... فعلمت أنّي وَصَلْت سالما. وهبط بي ذلك الجناح السّحريُّ فإذا أنا في مطار الدَّخيلة وإذا الوقت الذي مضى بين القاهرة والإسكندرية لحظةً كالحلم. لم أفكّر أثناءها في موت ولا في حياة.

توفيق الحكيم

2 - السيارة الملعونة

كانت لي في وقت من الأوقاتِ سيَّارةٌ كبيرة أرتْنِي النُّجوم في الظُّهر الأحمرِ ؛ ذلك أنَّها كانت تستنفد من البترول والزّيتِ كلَّ ما هو معروض في دكاكنها على طريقها ، ثم لا تشبعُ، وقد فكَّرتُ في أن أَصِلَ خزّانَها بآبار الموصل، ثمّ إنّ خزّان الْماء كان يغلي كالمرجلِ بعد دقائق قليلةٍ من السَّيْرِ فتبدو لي علامةُ الْخطرِ الْحمراءُ فأقف وأُغيِّرُ لَها الْماءَ ثمَّ أستأنف السَّيْر وهكذا .وهذا في الشِّتاء . فكيف بها في الصّيف ! ولهذا صرتُ أشتري الثَّلجَ وأفتّتُهُ وأحْشُو بِهِ خزَّانَهَا بدلاً من الماء، ولا أركبها إلا ومعي ذخيرة كافية من ألْواح الثلجِ على المقاعد الخلْفِيَّةِ .

ولو اقتصر الأَمْرُ على هذا لهانَ الخطب، ولأمكن احتمال المصابِ . ولكن أسنان العجلتين الخلْفِيتين كانت مَبْرِيةً، وكان فسادُها هذا لا يحدث أثرُهُ إلاَّ وأنا في أرض فضاءٍ لا أنيس فيها ولا ديار بها، فأكون سائرا مغتبطا راضي النَّفس مُنْشَرِحَ

الصّدر وإذا بصوت يقول : كر . كر . كر . كر . كر . . . . واذا بإحدى العجلتين الخلفيتين قد خرجت من محورها وذهبت تجري وحدها في الطريق . . .

وأفتحُ وأترَجّلُ وأذهب باحثـا عن العجلة الطّائرة ثـمّ أدحرجها عائدا بها وأخلع المعطفَ والسُّتْرةَ وألْبس ثوب العملِ الأزرقَ، وأُخْرِجُ الآلة الرافعةَ، وأحمد الله على أن المحور سليمٌ لم ينكسرْ وأردّ العجَلة إلى مكانها ثمّ أتوكّلُ على الله وأستأنفُ السَّيْـرَ .

ولكن ما كلُّ مرَّةٍ تسلم الْجرَّةَ ، فكنت كلّما ازددتُ احتياطا لهذه المفاجأةِ زادتني هي تفنّنا في الحيل والمكر السّيءِ وقد اضطررت إلى أن أتّخِذَ لي خادما يصحبني في السَّيَّارةِ . ليعينني على بلائها. فحدث مرّة وأنا عائدٌ إلى الْبيـت وكان الوقـتُ مُنْتَصَف اللّيلِ ان كركرت الْعجلةُ على عادتها وطارت في ميدان الأُوبرا، فوقفت في وسط الْميدانِ وأمرت الخادمَ أن يُصلحَ ما فسد، فجاءني يقول : إنَّ المحور قد انكسر . . .

قلت : شيء جميلٌ ! خبر سار جداً ! الثلج حملنـاه، والبنزين هذه ذخيرته وراءنا كأنّا على سفر إلى القطب الشمالي، فلم يبق إلاّ أن نحمل معنا دكانا كاملا من أدوات السَّيّارات

والقطع اللازمة لها ، لا بأس، إن شاء الله نفعل ذلك، أما الليلة فعليك يا صاحبي أن تدخُلَ في السيّارة وتغلقها عليكَ، فإنّ البردَ شديد، وتحضُنَ العجلة المتمرّدةَ وتنام إلى الصباح، وإنه ليؤسفني أن لا أنيس لك في هذا الميدان الموحش سوى تِمثال ابراهيم باشا، ولكنه كان بطلاً فاحلُمْ بوقائعه إلى الصّباح... عِمْ مسَاءً وإلى الملتقى...

ابراهيم عبد القادر المازني

بتصرّف

3 - في القطـــــار

وقــاطــرة تــرمي الفضـــا بدُخــانهــا
وتملأُ صدرَ الأَرض في سيرهــا رُعْبـــــا

لها مَنْخَرٌ يُبْدي الشَّوَاظ تَنَفُّسَـــــــا
وجــوفٌ بـــــه صـــار البُخــار لَها قلبــا

تَمشَّـــتْ بنـــا ليـــلاً تَجُرُّ وراءهــا
قطـــارًا كضفّ الدّوحِ تسحَبُــه سَحْبــا

فَطَــوْرا كعصفِ الريح تَجري شديــدةً
وطورا رُخـــــاءً كالنَّسِيم إذا هبَّـــــا

تَسَاوَى لـــديهـــا السّهل والصّعب في السّرى
فما أستسهلتْ سهـــلا ولا أستصعبت صَعْبا

تَــدُكُّ مُتُونَ الحزن دكّـــــا وإنّهــا
لتَنْهَبُ سَهْـــلَ الأَرْضِ في سيـــرِهَا نَهْبا

يَمُـــرُّ بهــا العـــالي فتعلــو تَسَلُّقًــا
ويعترض الـــوادي فتجتازه وثبـــــا

وتخترقُ الطـــودَ الأَشَـــمَّ إذا انبـــرى
وقد وجدتْ من تحتِ قُنَّتِـــــــه نَقْبـا

يَرِنُّ بجوف الطودِ صَـــوتُ دوِيِّهـــا
إذا وَلَجَتْ في جـــوفه النفـقَ الـرحْب

وتَمْضِي مُضِيَّ السَّهْمِ فيه كـــأَنَّمـــا
تَـــرى أُفعُـــوانًـا هائجـًا دخل الثَّقْبا

طوت بالمسيـــرِ الأَرض طَيًّـا كأَنَّهـــا
تُســابِقُ قُرْص الشَّمسِ أَنْ يُدركَ الـغَـربا

وما إن شكتْ أَينًـا ولا سئمتْ سُـــرى
ولا ٱستهجنـــت بُعْـدًا ولا ٱستحسنت قربا

عشيَّة ســـارت من «فروق» تُقلُّنَـــا
وتَقْذفُ مِنْ فيها بِـوجـهِ الدُّجـى شُهبـا

فما هِـــي إلا ليلةٌ ونهـــارهـــا
وما قَدْ دَعَوْنَا من «سلانيك» قد لبَّـــى

الرّصافي

٤ ـ في مجاهل القفر

... لم يقطع السائق نحو العشرين كيلو مترًا حتّى ضاعت معالم المجاز، ولم يبق أمامنا إلا القفرُ الصّامت الأجردُ « كظهر التُّرس » على ما يقول شعراء البدوِ. وليس أدعى لفهم الشعر الجاهلي، وتذوق تلك الاستعاراتِ الصّحراويةِ، من السّفر في قفار لا يُكدرُ صفاء آفاقها الفسيحةِ إلاَّ السَّرابُ المضطرب في الهاجرة، وأشباح الإبل تتضخم وتتضاءل على المرتفعاتِ السَّحيقةِ وقد عارضتها أشعة شمس الأصيل فغلفتها بنَوُر الألْوانِ المذهَّبَةِ.

أخذ النَّهار يرتفع شيئًا فشيئًا، وأخذ الهواءُ يلفح فاترًا فحارًّا، ومِرْجلُ السَّيَّارَةِ يوالي الأزيز لاهثًا، والرِّيح تُداعب خروق الغطاء المعدني فتشارك ذلك الأزيزَ بأنينها الصَّافرِ، وكأن عزيفَ الجنِّ يعصف فينا أنّى اتَّجهنَا في تلك المفاوزِ المهلكةِ، ولا دليل لنا إلا الخارطةُ تَتَنَاوَبُهَا أصابعنَا تُفَتِّش فيها، بشيء من القلق والإيجاس، على أطلال الرَّصافة، ولا مرشد إلاَّ الإبرُ

المغنطيسية تضطربُ راقصةً باضطرابِ أبصارنا، ولا تهدأُ مشيرة إلى الشّمالِ إلاّ إذا أوقفنا السيّارةَ . .

هناك إلى اليمين أشباحٌ سوداءُ تتماشى وكأنّها تَقْتَرِبُ منّا، فلْنُسهلْ عليها السيرَ ولْنُقَصِّرِ المسافةَ . وإذا بالسّائق يُديرُ المقْودَ نحوهَا ، ويطير على غير هُدىً ،وإذا بها تتراجعُ وتتمايلُ حتّى تتلاشى، فلا نستفيد منها إلاّ رؤية السّراب، والكلام عنه كلام شاهد عيان . . .

فؤاد أفرام البستاني

5 ـ على ظهر السفينة

كانت السّماءُ صافية، والجو معتدلا، وكان البحر هادئا يداعبُه نسيمٌ طلقٌ خفيفٌ، وكانت السَّفينة تنزلقُ على سطحه الأملسِ في دَعَةِ الْمُطْمَئِنِّ المبتسم للحياة. وكان السَّفْرُ أفرادا وجماعات يُرسلون أعينَهم في هذه النَّاحية أو في هذه، ينظرون إلى إطالية أو صقلية. وكان هنا وهناك على الجِسر سيِّداتٌ قد استلقين على كراسيهن الطوال يمعنّ فيما في أيديهن من كتُبٍ، ولا شك في أنَّها كانت كتبا قصصية. وربما رَفَعت إحداهن رأسها ومدّت طرفها مَدًّا طويلا كأنما تريد ان تأْخذ ممّا حولها صورة كاملة قوية، حتى إذا استوفت حظَّها من ذلك عادت إلى قصصها، وغرقت فيه ريثما تدفعها حاجتها إلى النّظر والاستطلاع، فترفع رأسها وتمدّ طرفها مدّة طويلة أخرى.

وكان في صالوناتِ السّفينةِ جماعاتٌ من الرِّجال والنّساء، منهم من يتحدث همسا. ومنهم من يقرأُ، ومنهم من يداعب البيانو. فأَما « البار » فقد امتلأَ بجماعات انتحى بعضها ناحيةً

إلى وَرَقِ اللعب، وأخذ بعضها الآخرُ في حديث لا يَخْلُو من لغط تَقْطَعُهُ من وقتٍ إلى وقت جُرَعٌ من أشربةٍ مختلفة. وفي ناحية من نواحي هذا البارِ جلس عالمان من علماءِ الآثـارِ المصريةِ وأخذا يتحدّثان عن نقوش ثم عن كتب، ثمّ ينغمسان شيئا فشيئا في نحوِ اللُّغةِ المصريةِ القديمةِ، وفعلها واسمِ الفاعل فيها بنوع خاص، وهما يتجادلان ويستظهران الأدلَّة والنُّصوص حتَّى نسيا كل النِّسيان السماء والماء وايطالية وصقليَّةَ والسَّفينةَ، وهذه الجماعات اللاغطةَ من حولهما. وكان أمامها إلى النّاحية الأُخرى من المائدة رجلان يعبثان بالعلم والعلماء، والبحث والباحثين، ويتناولان كلّ شيءٍ في هزلٍ ودُعابةٍ لا تُحَفَّظُ فيهما: أحدهما أُستاذ تاريخ في الجامعة المصرية والآخر أُستاذ آدابٍ.

ومضت السفينة في طريقها، ومضى المسافرون فيما كانوا فيه، حتّى دقَّتْ أجراسُ العَشَاء فتفرّق أصحاب المائدة الأُولى وبقي أصحاب المائدة الثانية فيما كانوا فيه. ثمّ تَدُقُّ الأجراس مرَّة أُخرى فيتفرق هؤلاء ويعود أُولئك فيستأنفون ما كانوا فيه من حياة فارغة فيها عبث ولعب وفيها نشاط وفيها شراب وفيها حديث كثير.

طه حسين

6 ـ السـرعة

... قال : إنّ السِّكك الحديديّةَ والطّيّاراتِ قد أعطتنا السّرعةَ وتوفير الوقتِ، ولكن ما فائدة ذلك ؟ ولماذا توفيرُ الْوقتِ ؟ كأنّما قد هبطت علينا شياطين تلهب ظهورنا بالسّياط، ما نحن إلاّ قَطَرَاتُ ماء في نهر الحياة : ما حظُّنا من سُرعَةِ التّيّارِ واندفاعه إلى البحر ! إنّما حظُّنا الأكبر في التّمَهُّلِ حول الأعشاب النّاتئة والسّكون عند شواطىء الجزرِ يُداعبنا النّسيمُ . من الّذي استفاد من هذه السُّرعةِ الملعونةِ غيرَ قبضة من النّهمين جمعُوا في أيْديهم الثّروات وسُمّوا بالـرأسماليين .

أما أنا وأنت وبقية الآدميين الوادعين فقد خسرنا تلك الرّحلاتِ الطّويلة الجميلةَ على ظهور الجياد والإبل، ننزل في كل مرحلة ننعم بالطّبيعة في أشكالها المختلفة، وفي أوقاتها المختلفة .

نعم كسبنا السرعـــة ولكن خسرنا ثروة النّفس التي تنمو باتّصالها المباشر بالطبيعـة، إنّنا اليوم نفرحُ بكلمة السّرعة وننسى أنها ليست سوى إغْفاءةٍ نقضيها في عربةِ قطارٍ يمرق بنا

في نفقٍ مظلم ويوصلنا حقيقة في وقت قليل إلى حيث أردنا ولكنا لا نعرف بعد ذلك ما نصنع بالوقت الباقي فننفقه في الحمق والسُّخفِ، إنَّ الطبيعة لا تنتقمُ، وإن كل وقت يسرق منها لا نجد له سوقا نُنْفِقُهُ فيه غير سوق النِّخاسة الخلقية والانحطاط الآدمي.

توفيق الحكيم

(عصفور من الشرق)

7 ـ سفر عبد الله بن عبد المطلب

لم تُظهرْ آمنةُ ٱرتياعًا للوداعِ ولا ٱلْتياعًا للفراقِ، ولم تَصعدْ من صدر آمنة زفرةٌ ولا ٱنحدرت من عين آمنةَ عبْرةٌ، إنَّما كان وجهها هادئا منبسط الأَسارير، وكان صوتها مطمئنا لم تفارقه عذوبته الحازمةُ حين أَقبل زوجها عليها يودّعها آخر الحي، وقد أَخذ الفجر يتنفَّسُ في دعةٍ ويَمَسُّ بأَصابعه الرّقيقةِ ما حول مكَّةَ منَ الرُّبى، وكان عبد الله يدافع حزنًا عميقا كان يريد أَن يظهر على وجهه، وينطلق على لسانه. وكان يتكلّف من التّجلّد والتَّصبرما لا بدَّ منه، ليكون فتى من فتيان قريش ليس للجزع على نفسه سلطان ولا للضَّعفِ إلى قلبه سبيلٌ، ومع ذلك فقد اتّصلت عيناهُ الحادَّتان بوجه ٱمرأَته الجميل اتصالا طويلا، كأَنَّما كانتا تريدان أَن تطبعا صورته الحلْوةَ الهادئة في نفس الفتى، لتكون له رفيقا مؤنسا في سفره الشّاقِّ الطَّويل. ولم تجرؤ آمنة على أَن تطيل النَّظر فى وجه زوجها، كما كان يطيل النَّظرَ فى وجهها، إنَّما كانت عيناها ترتفعان إلى وجه الفتى، ثُمَّ لا تلبثان أَن

تنخفضا حياء واحتشاما وصبرا. حتّى إذا خرج الفتى ليلحق بإخوته الذين كانوا ينتظرونه غير بعيد ليصحبوه إلى حيث يودع أَباه وأُمّه، ثمّ إلى حيث عسكرتْ القافلةُ تنتظر الإيذان بالرّحيل، نظرت آمنة فإذا عيناها لا تبكيان وإذا قلبها لا يخفقُ وإذا شخصها كله هادىء مطمئن لا تظهر عليه آيات الجزعِ ولا أَمارات الذّهول. ومع ذلك فقد كانت نفسها تبكي بُكاءً مرًّا. وكان قلبها يشكو شكوةَ الطَّائر المهيض. ولكن أَصداء هذا البكاء وهذه الشكاة لم تكن تتردّد إلاّ في أَعماق الضَّمِير. كانت آمنة ثابتةً للخطبِ مُطْمَئِنَّةً له، كأَنَّما أَذْعنتْ للحوادث اذعانا، وكأَنَّما أَخذت تروضُ نفسها على صبْر لم تعرفه نساء قريش، وتهيىء نفسها لحزن طويل لم تألفه أَترابُها اللاّتي لم يكدْن يَذُقْنَ لَذَّة الحياة.

طه حسين

8 ـ رحلة في الليل

دعي والدي الى حضور حفلة زفاف تقام في احدى القرى التي تبعد عن قريتنا مسير ساعات متوالية ، وقرر أن يصطحبني في رحلته ، وأن تبدأ الرحلة بعد غروب الشمس . وسرنا بعد أن هيأنا حصانين لركوبنا ، فأخذت أنظر الى هذا النور الذي يصبه القمر علينا صبا ، والذي يغمرنا ، والذي نمضي فيه كأننا نخوض لجة بحر ، وأخذت أنظر الى هذا النور الذي يغمرنا ويغمر السهل من حولنا ، وأنظر الى هذه الحقول تنبسط عن يمين وشمال ، لا تكاد تنتهي ، وأشاهد بعض الفتيان والفتيات وقد ملأهم النشاط ، وبعث فيهم الجد حياة لا حد لها ، فهم يذهبون ويجيئون وهم يعملون لا يعرفون كللا ولا سأما ، وأصواتهم لا ترتفع بشكوى ولا بأنين ، وانما ترتفع بهذا الغناء الساذج الحلو الذي يبعث في هذا الجو نغمات ساذجة حلوة ، والذي يصور الأمل في غير اسراف ، والرضى في غير استكانة ، والاطمئنان في غير حزن ، وحب العمل على كل حال ، والثقة بالله على كل حال أيضا .

انظر ثم أسمع ثم أسأل نفسي ، هل تجد في ما تسمع أو في ما ترى ما يثير خوف أو يدفع الى يأس ، كل شيء يدعو الى الامن ، انه ظلمة الليل المنكرة ، وانها لتثير الخوف وتبعث الأشباح من مكامنها ، وانها لتغرى القلق بالنفوس ، وتسلط الهلع على القلوب ، ثم يبدو القمر ، يبدو جليا ؛ فأنا لا أمد عيني الا رأيت ، ولا أمد أذني الا سمعت ، واني لأضحك من تلك الهواجس التي كانت تريعني ، ومن تلك الأشباح الحمراء التي كانت تتراءى لي وتمثل أمامي ، ان الأشباح لا تحب النور ولا تستطيع أن تظهر في النهار ، انما الاشباح والخوف والفزع بنات الليل تطمئن اليه ويطمئن اليها ، فاذا ابتسم الصبح ، وأشرقت الحياة ذابت كل هذه المخيفات وانجابت مع الظلام .

والطريق تمضي بنا مستقيمة جميلة يحببها الينا نور القمر الذي يزداد قوة وصراحة ، وهذه الحقول الخصبة التي تتماوج تحت أنوار باهتة حينا ، ساطعة حينا ، فترسل أنينها في روعة عجيبة .

وهذا الغناء الحلو يرتفع في الجو ، ويمتزج بما يملأه من الضياء والهواء ثم يغيب القمر ، فيسكن كل شيء ، وتنقطع الأصوات الا هذه التي تأتينا من بعيد ، فاذا هي أصوات الكلاب تنبح في القرى البعيدة ، والا أصوات الحشرات والضفادع المنبثة في الحقول وعلى شواطىء الأقنية .

وكان الحصانان يسعيان بنا سعيا فيه اسراع ولكنه اسراع لا يكاد يحس ، وكانهما يفران من بعض ما يكرهان ، ثم تزداد ظلمة الليل كثافة من حين الى حين ، وكانت نفسي تود لو احتواها النوم وأني لها ان تنام وهذه بنات الليل قد أخذت تظهر شيئا فشيئا وتثير في قلقا خفيا ماكرا ، فأغمض بصري حتى لا أراها ، وأسد أذني حتى لا أحس قربها مني ، والحصانان يسعيان في جد ونشاط لا يكـاد يأخذ منهما الفتـور .

عن طه حسين « بتصرف »

9 ـ القطار الصاعد الى بغداد

عندما صفر القطار أسرعت الى العربة وأخذت مكاني ... سار القطار متثاقلا، كأنه لا يود أن يفاجيء المودعين بسرعته بعد ركوده المديد في المحطة وقد أخذ يقذف من جوفه حنق ماء حارا وبخارا كثيفا أبيض ، يتشكل في مقدمته منظرا مفزعا يزيده رهبة قعقعته الخشنة المقززة وكان صفيره الحاد يمزق الجو الذي يغطيه ، ولويت رأسي صوب المدينة فانزلق نظري الى برية معتمة تلمع فيها من بعيد مصابيح مستوحشة كئيبة تمد ظلالها المريضة في شوارع البصرة الغوارة بالناس وحفت وجهي المتطلع نسمة باردة فارتجفت بلذة غامضة وأدخلت رأسي بارتعاش وتركت النافذة فاغرة تتلاطمها أنسام البر المترامي المظلم ...

كان جو العربة مليئا بدخان السجاير الخانق وثرثرة الركاب وصراخ الأطفال يملآن نفسي حنقا ويحبسانها عن الراحة والاستوخاء ، وطقطقة الأقدام العاثرة والركاب الذين تكدسوا في الممر والزحمة المريعة كل ذلك بعث في الضيق الشديد ولهذا كنت كثير الحركة ، قلقا لا أستقر في مقعدي .

كان القطار يبتلع الأرض بنهم ، وصفيره المزعج ينطلق بحمية وحماس فيتفتت في أجواز الفضاء الخاوي ... هدأ الركاب الآن وخمدت قرقعة العربات واستلقى القطار على قضبان الحديد يلم أنفاسه المتطايرة فاندلقت أصوات البناعة الى العربة باستعجال واقتضاب كنقيق الضفادع ، بينما كان بعض الركاب ينعسون وهم يغالبون النعاس . ونشطت الأقدام مرة أخرى وفي باحة المحطة كان المدير البدين يحدث بصوت أجش عاملا يحمل فانوسا ملونا ثم قهقه في أحشاء الظلام قهقهة عالية وأدار ظهره ودب محدودبا الى قبو المحطة المظلمة فتلاشى جسمه الضخم في عتمة القبو الموحش الذي يضيئه ذماء مصباح خامل صغير .

صفر القطار صفرة موحشة ابتلعتها العتمة السميكة وتحرك ببطء وزحف ثم ركض نشيطا على قضبان الحديد البارد موغلا في قلب الصحراء متمما رحلته الشاقة الى بغداد ...

كان القطار يقطع هذه الصحراء دون ملل وغير مبال بالعتمة والمسافة وعواء الذئاب ، وهو يركض بأرجلـه الكثيرة لا يقف في المحطات الصغيرة المتناثـرة على جانبي السكة الا دقـائق قليلة وهو يشق طريقـه الآن في أرض خضراء منخفضة منتشرة باتساع رحب والحراف الوديعة السائبة ترعى باطمئنان وتلوك الحشيش الأخضر الندى بتأن مألوف وعندما يصفر القطار كأنها تفزع من صراخه المدوى ٠

الأطفال ينتصبون بأجسادهم الصغيرة شبه العارية ملوحين باكفهم ، ويمرح بريء للركاب ، فرحين بهذا الحيوان النشيط المنزلق بين أكواخهم المهتزئة الهابطة ، وقرقعة العربات المتدافعة تندلق في رؤوسهم فيحشون بسرعـة أذانهم بأصابعهم ليدفعوا بها هذه الضجة المدوخة ووجوههم السمر الملفحة بحرارة الشمس تحتضن ابتسامة ساذجـة مألوفة ٠

كانت ضربات القطار الرتيبة على السكة تعلن انتهاء الرحلة هذه بغداد ٠ بغداد الواسعة المنخفضة الخضراء ٠ المآذن التي تلوح من بعيد ٠ المحطة المتربعة باستسلام تبدو في مقدمة المدينة الكبيرة كأنها في استقبال المسافرين ٠ كان القطار لا يزال يرسل صفيره المتتالي في الجو الا أنه بدا يتراخى في سيره قليلا ويبطيء ثم زحف بهدوء ووقف متعبا مجهد الأنفاس لاهثا ٠ واندفع الحمالون وسائقو السيارات الى عربات القطار وارتفعت أيديهـم متشابكة لتكسب الركاب والحمالـون يتلقفون من أيادي الركـاب حقائبهم وصناديقهم وسائقو السيارات يجرون الركاب جـرا الى سياراتهم المنتظرة خارج المحطة وقد راحوا في حماسهم يغرون المسافرين بلسانهم الحلو الطويل الممارسة ٠

أخذت أنظر في عمق الى هؤلاء الأحياء وشعرت في نفسي نشاطا ذاتيا متدفقا استقيته من حماس الحمالين وسائقي السيارات ونشاط المحطة العنيفة ولما رفعت حقيبتي شعرت كأني انتفخت وأن ساعدي الطرى بدأ يضخم ويشتد ويقوى ، وأن عضلات متينة ومفتولة بدأت تظهر فيه وتلتفت وتتصق وتتشابك ، ودفعت الحقيبة الى الأمام واجتاحني تصلب ويبوسة في ظهري عندما اندسست بين تلك الكتـل المتصارعة المتزاحمة في الممر الضيق ٠ ولما اندفعت بقوة وشققت طريقي الى خارج المحطة احسست أن الأرض بدأت تتسع لخطواتي فوضعت أقدامي في الطريق العريضة وأخذت أسير متبعا ذلك الانسان القوى الضخم المتين العضلات ٠

محمود عبد الـوهاب
« البصرة »

المحور الثـــانى

الحيـــــاة المـــــدنية

1 - جـرح خطير

جرى العمل في المستشفى كما يجري كلّ يوم ووقفت طائفةٌ من الممرضاتِ يُعَقِّمْنَ أدوات الجراحة بعد العمليات وكانت ليلى بينهنّ تعمل وهي ذاهلةٌ شاردةٌ وانبعثت من فمها أنَّة فسألتها إحداهن :

- ماذا حدث يا ليلى ؟

- إن المشْرط جرحني

- لهْفَ نفسي ! سأرعى بتطهير إصبعكِ .

وصبّت على إصبعها قليلا من الكحولِ وسار العمل كأنه ما حدث شيء .

حلّ المساء فأحست أن يدها تؤلمها ولكنها لم تسـاير الوساوس وأعرضت عن نفسها حتّى الصباح ونفضت عنها غطاءها ونهضت متغيرة الوجه عابسة القسمات فسألتها أمّها عمّا بها فأخبرتها أن جرحا هينا بإحدى يديها .

ولمّا كانت في المستشفى عرضت نفسها على الأطبّاء فألْفَوْا

حرارتها مرتفعة . وأخذت الحوادث تجري بسرعة فما حلّ اليوم الثاني حتى كانت ليلى على أحد أسرّة المرض غائبةً عن وعيها لأن جسمها قد تسمّم. ولو كنت شاهدها لأبصرتَ حولها جماعة من الأطبّاء وكلهم في وجوم وأسف يدافعون عنها القضاء والقضاءُ لا يُدْفع وقال كبيرهم : إنَّ الحالةَ خطيرة وما أظُنُّ أن المرض سيقفُ ولا بد من بَتْرِ السّاعد... قال الدّكتور جمال : أظنُّ ذلك... ولكن أليست هناك معجزةٌ ؟

إنَّها من السّماء، وينتظرهَا الطِبُّ بعد أن يُؤدِّي عمله.

وخرجوا جميعا وعاد الدّكتورُ جمالٌ وانتَبهت ليلى من الغيبوبة قليلا فقال لها وعيناه تسبحان في الدّمع :

– ليلى... لا بدّ أن تُنْصِتِي إلى كلمتي : إنَّنا لا نستطيع للبلاء دفعا ولكن لا بد أن تعيشي.

فقالت في استسلام وخضوع : ماذا هناك يا جمال ؟

– إنَّ ذِراعك قد فسدت ولكن لا بدّ أن تعيشي.

– أتريدون أن تقطعوها ؟

– بل يريد الله !!

محمّد عبد الحليم عبد الله

2 ـ مريض الوهم

تُرْوَى عن مقدرة ابنِ سينا في الطِّب نوادرُ كثيرةٌ منها أنَّ أميرا من بيت بُويْه أُصيب بمرض عصبي وامتنع عن تناول الطعام، وأخذت حالته تسوءُ حتَّى توهَّم أنَّه تحوَّل إلى بقرة. اوكان يقلِّد خُوارَ الثِّيرانِ ويصرخُ قائلا : اذبحوني وأطعمُوا النَّاس لحمي. ولمَّا عجز الأطبَّاء عن مُعَالَجَتِه لجأ أقاربُه إلى بن سينا، فذهب إلى بيت الأمير ومعه نفرٌ من أتباعه، ووَقَفَ في رَدْهَةِ البيت يَشْحَذ سِكِّينَينِ كبيرينِ ثم صرخ قائلا :أين هذه البقرةُ التي يريدون ذبحها ؟

فلما سمع الأميرُ ذلك اغتبط وخار بصوت مرتفع، وهرولَ نحو ابن سينا. فأشار هذا الى أتباعه فقيَّدوا الأميرَ وطرحوه أرضا وأخذ ابنُ سينا يَجُسُّ جسمه بطرفِ السِّكِّينِ ثم قال : إنَّ هذه البقرةَ نحيفةٌ، هزيلة الجسم لا تصلُح غذاءً لأحد، فاعلفوها حتَّى تسمنَ وتُصبحَ مأكولا صالحا وعندئذ نَحْضُرُ لذبحها.

ومنَ الغريب أنَّ الأميرَ بدأ بعد ذلك يتناول الطَّعام، وكانوا يَدُسُّون له فيه أدويةً يضعها ابنُ سينا. وتحسَّنت صحَّته شيئا فشيئا حتَّى برىء مِنْ مرضه بتأثير هذا العلاج النَّفساني.

عن كتاب الوئيس ابن سينا
« للعقّاد »

3 ـ الحمـــــى

أقمتُ بـأرضِ مصـــــرَ، فَـــلاَ ورَائي
تَخُبُّ بِـي الرِّكـــاب ولاَ أمـــامي

ومَلَّنِـيَ الـفِـراشُ وكـــان جَنْبِـي
يَـــمَـــلُّ نِقَـــاءَهُ فيِ كُـــــلّ عـام

قليـــــلٌ عـــائِـــدي، سَقِـــمٌ فُؤَادِي،
كَثِيـــرٌ حَـــاسِـدي، صَعْبٌ مَـــــرَامِي

علـــيلُ الجسم مُمتنـــعُ القيـــامِ،
شـــديـدُ السُّـــكـرِ منْ غيـر المُـدام

وَزَائِـــرَتِي كَـــأَنَّ بِهَـــا حَيَـــاءً
فـــليس تَـــزور إلاّ فيِ الـــظَّـلامِ

بَـذَلْتُ لهـــا المطَـارِفَ والحشَـــايَا
فعَـــافَتْهَا وبَـاتَتْ فيِ عِظَـامِـــي

أُرَاقِبُ وقتَهَا من غير شَوْقٍ
مُراقَبَةَ الْمَشُوق المُسْتَهَامِ

وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا ، وَالصِّدقُ شَرٌّ
إذَا أَلقَاكَ في الكُرَبِ العِظَام

أَبِنْتَ الدَّهْرِ، عندي كُلُّ بِنْت
فكيف وصَلتِ أَنتِ من الزِّحام ؟!

يقول لِيَ الطَّبيب : أَكلت شيئًا
وداؤُك في شرابك والطَّعام

وما في طِبِّه أَنِّي جوادٌ
أَضِرُّ بجسمه طولُ الجَمَامِ

تَعَوَّدَ أَن يُغَبِّرَ في السَّرَايَا
ويدخُلَ من قَتَام في قَتَام

فإنْ أَمرَضْ فما مَرِضَ اصطباري،
وإن أُحْمَمْ فما حُمَّ اعتزامي

وإن أَسلَم فما أَبقى، ولكنْ
سَلِمْتُ مِنَ الحِمَام إلى الحِمَام

« المتنبّي »

4 ـ الغـم يذيب الشحم

كان بعضُ الملوكِ قديما كثيرَ الشَّحم لاَ يَنْتَفعُ بِنَفْسِهِ. فجمعَ الحُكماءَ وقال: « احتالوا لِي بحيلةٍ ليخفَّ عَنِّي لَحمِي هذا قليلا. » فما قَدَروا له على شيءٍ ؛ فجاءه رجلٌ عاقــلٌ لبيــبٌ متطبِّبٌ فقال له الملك: « عالجني ولك الغنَى » فقال: أَصلح اللهُ الملكَ. أنا مُنَجِّمٌ، دعْنِي حتَّى أَنْظُرَ اللَّيْلةَ فِي طالعك لأَرَى أَي دَاوَءٍ يوافقُك ». فلما أصبح قال: « أَيُّها الملك الأَمانَ. » فلمَّا أَمَّنه قال: « رأيت طالعَك يدُل على أنه لَم يَبْقَ مِنْ عُمُرِكَ غيرُ شَهْرٍ واحدٍ. فإن اخترتَ عالجتك وإن أَردتَ بيانَ ذلك فاحبِسْنِي عندك، فإن كان لقولي حقيقةٌ فخلِّ عنِّي وإلاَّ فاقتصَّ منِّي. » فحبسه ثمّ رفع الملك الملاهيَ واحتجبَ عن النَّاس وخلا وحدَه مُغتمًّا. فكلَّما انسلخ يوْمٌ ازداد همًّا وغَمًّا حتى هَزَلَ وخفّ لحمُه ومضى لذلك ثَمانٍ وعشرون يومًا فبعث للطّبيبِ وأَفرجه، فقال: « ما ترى ؟ » فقال: « أَعزّ اللهُ الملكَ، أنا أَهونُ على اللهِ من أَنْ أَعلمَ الغيبَ، واللهِ إنِّي لم أَعلمْ عُمُرِي، فكيف أَعلم عمُرَكَ ولكن لم يكنْ عندي دواءٌ إلاَّ الغمُّ، فلم أَقدر أَن أَجلب إليك الغمَّ إلا بهذِهِ الحيلةِ فإن الغمَّ يُذيبُ الشّحمَ، فأَجازه على ذلك وأَحسن إليهِ غايةَ الإِحسانِ وذاقَ حلاوةَ الفرَحِ بعد مرارة الغَمِّ.

5 ـ في انـتظار الطبيب

كانتِ الشّمسُ قد انتصبتْ شَديدةً لدَّاغة وكان القـــــومُ يتطلَّعُونَ إلىَ قدومِ الطّبِيب... إنَّهُمْ رجالٌ ونساءٌ وأطفال جاؤوا يشكون العِلّةَ. ويُرقِّعون ما اخْلَوْلَقَ من أجسامهم... فهذا رجلٌ قد تورّمت رجله وسَـالَ منها دمٌ وقَيْحٌ، فربطَ عليها بقرطاس، وأخذ يذبُّ الذُّبابَ عنها، وهذا طفلٌ قد طمسَ الرَّمدُ عينَيْهِ صديدًا، وأحرقه شعاعُ الشّمس فأغمضَ عينيه وفتحَ فَاهُ، وهذا آخرُ قدسال مُخاطُه فأخرج لسانه يتَرَشّف مَا جادَ بِه أنفهُ، وهذا صبـــي عـــاري العورةِ قـــد انكبتْ عليه أمّه تمسح له، وهذه عجوزٌ قد استلقتْ إلى الشّمس، وأخلَت لأصابعها السبيلَ إلى جسمها، فهي إلى الظَّفَرِ واللَّذَّةِ. كلّما ضغطت ظُفرًا على ظفر. وهذا رجلٌ شاحب الوجه، غائر العينينِ ناحلُ الجسمِ لا يكاد يمشي كأنّ القبرَ به تقيَّأَ. وهذا آخر قد جيءَ به على لوحة كأنّما يُسارُ بهِ إلى القبرِ، وهؤلاء نسوةٌ تضاغَى صبيتهنّ ألما وجوعاً وعطشًا، فهنّ إلى شبه جُنون، وهذا عُواءٌ نحيبٌ وبكاءٌ أنين، ونهيقُ حَمِير... فكأنَّ الكونَ في مأساةٍ.

واشرأبَّتِ الأعناقُ في حركة واحدة كَمن عاودتهُ الرُّوحُ واتَّجهت الأنظار صَوْبَ الباب وسادتْ فَتْرةُ صَمْتٍ، فإذا هوالطبيبُ

ينزلُ كَلَوْنِ الحياةِ من سيَّارةٍ جَميلَةٍ فخمةٍ، ويَخترقُ كشُعاعِ شمسٍ هذا العبابَ الزَّاخر من النَّاس فتستَيْقظُ الأَوجاعُ، ويَدبُّ الأَمَلُ في النُّفوسِ وتَشتَدُّ اللهفةُ ... ولم يَلبَثِ البابُ أَن قعْقعَ، وتثاءبَ، وأَطلَّ من فُرجَتِه رأسُ الممرضِ كالمُوجسِ خِيفَةً، فتَدَفَّقَ إليه القومُ كطالب ثأرٍ، فأَخذ القليل منهم وأَوصد البابَ، وتَعالى نِداءُ القومِ كصوتِ العذابِ، ووانَى الممرضُ بينَ الفتْحِ والإغلاق، والأَخذِ والرَّدِّ، وأَكثر القوم من الإدناء والإبعاد، كأَنَّما شُدُّوا إلى الباب.

وانتصفَ النَّهارُ ولم يدخُلْ إلاَّ القليلُ من المرضى، وإذا بالممرِّض يخرجُ إلى القوم فيقولُ: قد آن أَن تنقلبوا إلى دورِكم وقُراكم، على أَن تعودوا في مثل هذا اليوم من الأُسبوع القادِمِ..

محمّد فرج الشّاذلي

6 - الاشعة المجهولة

جَلَسْتُ إلى هندَ ذاتَ مَساءٍ ... وآنسنَا القَمَرُ السَّاهِرُ
فَحَدَّثْتُهَا عَنْ ضِيَاءٍ عَجِيبٍ ... يُسَرُّ بِرُؤْيَتِهِ الزَّائِرُ
لَهُ زُرْقَةُ الْمَاءِ، لَكِنَّه ... شَرَارٌ مِنَ النَّارِ، مُطَّايَرُ
كَمُنْتَشَرِ الزُّمُرُّدِ يَحْمِلُهُ لَهَبٌ ثَائِرُ
كَأَنَّ بِهِ لِلْعُيُونِ عُيُونًا ... فَكُلٌّ خَفِيٍّ بِهِ ظَاهِرُ
يُرِينَا الجُسُومَ أَضَالِعَ جَفَّتْ ... وَزَايَلَهَا حُسْنُهَا النَّاضِرُ
هَيَا كِلَ مُحْكَمَةً، شَادَهَا ... لَطِيفٌ لِما شَاءَهُ قَادِرُ
يُرَفْرِفُ فِيهَا الفُؤَادُ، كما ... يُرفرف في القفصِ الطَّائِرُ
بِهذا الضِّيَاءِ يُرى كلُّ جِرم ... عَنِ العَيْنِ يَسْتُرُهُ سَاتِرُ
ولكنَّهُ لا يُرِينَا الضَّمِيرَ ... ولا ما يجول به الخَاطِرُ

خليل مطران

7 - مستوصف القرية

نحن الآن في يوم قائظ من أيام اغسطس سنة 1943 في غرفة متسعة قليلة النوافذ في مدرسة ريفية... في ركن منها مختبر صغير يتألف من مائدة ومجهر وصفف من الأنابيب.. وفي ركن آخر طبيب شاب تكأكأت عليه عشرات من صبايا القرية: صفر عجاف يفحصهن تمهيدا للعلاج. صبايا من حيث السن ولكن البلهارسيا * المنتشرة في هذه الربوع مع عشرات سواها من العلل والآفات لم تترك لهن من معالم الصبا والحسن إلا ذماء يسيرا تغشته غاشية قاتمة من القذر والجوع، فلم يعد يستثير في عين الرائي إلا دموع الرحمة والرثاء... وجلست أنا في ركن ثالث أتلقى هذه الأشباح... هذه الدمن والأطلال الباقية من جمال الريف القديم لأعطيهن ما تستدعيه علله من ألوان العقاقير. كنا في بعثة تقوم ببحث خاص طبي في هذه القرية وكانت مسقط رأسي، وكان الحر شديدا والهواء نديا راكدا يختلط بغبار يتطاير بكسل من أرجل البهائم التي تزحر من الحر والتعب وعجلات النوارج الدائرة وراءها ببطء وتراخ على حصيد الحنطة والدريس...

وامتزجت بهذه الأقذاءِ المتطايرةِ أنْفاسُ الجمع المحتشد، فثقُلَ الهَواءُ وسمُجَ. وتحلّبت الأجسامُ بالعرقِ وخفتتْ الأصواتُ إعياءً إلا جلبةً مُبْهَمَةً يَمْتَزجُ فيها لَغَطُ المرضى في القيام والقعود بِنَشِيش الماء الغالي في قُدورِ التَّعْقيم، بِصَلْصَلَةِ المحاقنِ الزُّجاجيَّةِ على جُدُرَانِ القدور، بِوَسْوَسَةِ عَجَلاتِ النَّوارِجِ يَتَسَرَّبُ صَداها المزْعِجُ مَعَ ذَرَّاتِ الغُبَارِ.

كان العملُ يجرى بصورة آليةٍ. المحاقن يُعدّها تابع. وأَذْرعُ المرضى يُهَيِّئُهَا للحقن تابعٌ آخرُ، والجُرعُ مُقدّرةٌ في بطاقاتِ المرضى، ولا عمل لي إلا أن أغرس الإبرةَ في الوَريد المخْتَارِ بعد سؤال أُلقِيهِ على المريضَةِ للتَّثَبُّت من أنّها صاحبةُ البطاقة.

الدّكتور سعيد عبده

8 ـ الـــذراع المحطمـــة

٠٠٠كان ذلك منذ سنوات ، حينما أتصلت بى ادارة أحد المستشفيات الكبيرة مساء يوم السبت ، بينما كنت أتهيأ لقضاء عطلة آخر الأسبوع ، وطلبت أن أوافيها فورا لاجراء جراحة خطيرة لعامل فى سكة الحديد ، تحطمت ذراعه فى حادث قطار !

ولما وصلت الى المستشفى ، ابتدرنى الجراح المقيم هناك قائلا : لقد أعددنا العدة لبتر ذراع المصاب المسكين !٠٠٠ وحالته خطيرة كما سترى ٠ فقد تهشمت ذراعه بين عربتين من عربات قطار للبضاعة كان يحاول وصلها ٠٠٠! عـلى أن من حسن الحظ أن العامل المصاب من هواة المصارعة وجسمه على غاية من القوة !

وما كدت القى نظرة على ذراع المصاب فى حجرة الجراح ، حتى أيقنت أن بترها هو الوسيلة الوحيدة لانقاذ حياته ٠٠٠ فقد بـدت اشبه بقطعة من العجين وبهـا كسور عديدة ، والدم ينزف منها بغزارة برغم الاحتياطات التى اتخذها المختصون فى المستشفى ٠ وعلى هذا تهيأت لاجراء جراحة البتر ، وامسكت المشرط ، وهممت باعطاء الاشارة لكى يبدأ طبيب التخدير مهمته ، اذ لم يخالجنى أدنى شك فى أن أية محاولة لعلاج الذراع مصيرها الفشل المحقق ٠ بل انها قد تقضى على حياة المريض لتعذر وقاية الذراع من التعفن ، أو لتعذر بقائه تحت تأثير المخدر طيلة الوقت الذى يستغرقه اجراء الجراحات المتعددة لاعادة بناء ذراعه المهشمة !

على أنى ، لسبب لا أدريه ، توقفت عن اعطاء الاشارة لطبيب التخدير ، وأخذت أحدق فى وجه العامل المصاب فخيل لى أن عينيه ترسلان نحوى نظرات كلها توسل واستعطاف لكى أحفظ له ذراعه ولست أدرى لماذا انطلق خيالى الى زوجه وأولاده ، فتصورت أنهم يبكون ويتضرعون الى أيضا أن أبقى لهم ذراع عائلهم الوحيد !

وشعرت على اثر ذلك بأن ضميرى يؤنبنى عـلى محاولة بتر ذراع الرجـل ، ويتهمنى بأننى ما اقدمت على هذه المحاولة الا بدافع الكسل وتفادى المجهود الذى يتطلبه اصلاح الذراع المصابة ٠٠٠ وحاولت أن اتخلص من هذا التانيب الداخلى باقناع نفسى بأن هذا الاصلاح ينطوى على خطر جسيم قد يؤدى بحياة المصاب ، وهو لذلك يتنافى مع أبسط القواعد فى دستور اسعاف المصابين ٠٠٠ ولكن نفسى لم تقتنع ، وخيل لى أن قسمات وجه المصاب تصرخ فى وجهى ٠ لا تبتر ذراعى !٠٠ لست أعبأ بالموت اننى افضله الف مرة على أن أبقى بذراع واحدة عاجزا عن اعالة نفسى وأولادى !٠٠٠

وكان طبيب التخدير قد تملكه الضيق لطول وقوفى ذاهلا أمام المصاب ، كما بدت الدهشة فى وجوه جراح المستشفى ومساعديه ، ثم كانت دهشة الجميع أشد حينما فاجأتهم بقولى : كلا ! ٠٠ لن أبتر الذراع !٠٠٠

وقال الجراح ان المصاب بحالته هذه لا يستطيع البقاء مخدرا أكثر من نصف ساعه ... وهذه المدة لا تكفي الا للبتر ... أما الجراحات المتعددة التي تقتضيها محاولة اصلاح الذراع فلن تستغرق أقل من ساعات فضلا عن أن نجاحها مشكوك فيه ...

وكان جوابي أن أصررت على رأيي في عناد عجيب ، مدفوعا باحساس قوى لم أملك أن أدفعه أو ان أخف من قوته .

وتم تخدير المصاب ... وشرعت في اجراء الجراحة الأولى لاصلاح الذراع .

كان علي أولا وقبل كل شيء أن أتم تنظيف الذراع المحطمة ، ثم أخذت في حياكة أنسجة العضلات الممزقة واستغرق ذلك ساعة كاملة ... ثم بدأت خطوة أهم وأخطر وهي خطوة اصلاح العظام التي تهشمت ، ثم ترقيع المساحات الكبيرة التي تعرت من الجلد ، بقطع من جلد بطن المصاب نفسه ، حتى لا يتعرض للموت المحقق متأثرا بتعفن جروحه . وقد نزعت من جلد بطنه — بعد اصلاح ما أمكن اصلاحه من العظام — أربع قطع من الجلد ، طول كل منها عشر بوصات ، وخطت هذه القطع الأربع معا على هيئة كم جعلته حول الذراع المصابة وبعد أن لففتها بالشاش المعقم وضعتها في الجبس ... وهنا فقط استطعت أن أتوقف عن العمل ، وأطلقت زفرة طويلة وأنا أردد نظراتي القلقة بين المصاب الذي بدأ أقرب الى الموت منه الى الحياة وبين طبيب التخدير الذي بدا وقد تملكه الجزع والقلق خشية أن يفلت منه زمام تنفس المصاب وتتوقف ضربات قلبه .

ثم تطلعت الى ساعة يدي فاذا بالوقت الذي استغرقته ثلاث ساعات ونصف ساعة !

وقضيت بعد ذلك عشرة أيام أواصل ذود الموت عن المصاب الفاقد للوعي بنقل كميات كبيرة من الدم اليه كل يوم !... وكنت كلما فكرت في احتمال موته ازددت فزعا وجزعا !... لكنه في اليوم الحادي عشر ، استعاد وعيه فجأة ، وأخذت حالته في التحسن .

وقد سرني أني كسبت الجولة الأولى من المعركة ولكنني لم أكن أعرف ما حدث للذراع المختفية تحت الجبس ، وكان جائزا أن يكون التعفن قد سرى فيها ، أو أن ترقيع الجلد لم يقدر له نجاح !

وقضيت 45 يوما أخرى ينتابني الأمل أحيانا وتساورني المخاوف أحيانا أخرى ! وأخيرا حان الوقت لازالة غطاء الجبس عن الذراع ، وكانت هذه أحرج ساعة في حياتي فأخذت في انجاز هذه المهمة ، بينما تعلقت بيدي عيون من تجمعوا حولي من الأطباء والمساعدين ...

فلما انتهيت من ازالة الجبس ، ثم الشاش كدت أقفز من فرط سروري اذ كانت كسور العظام قد التأمت ، وأنسجة الجلد قد استعادت حيويتها !

ولم أكد أتصور بعد ازالة العضلات الممزقة الكثيرة من الذراع ، أن حركتها يمكن أن تعود الى ما كانت عليه ... لكن المصاب كان صاحب عزيمة قوية وقد استسلم لعلاج الاخصائيين في صبر وايمان عجيبين ! وهكذا استطاع أن يستأنف عمله ! ! ...

الدكتور جورج سانا

9 - الممرضة

مِثْـــلَ المَـــلاَكِ تَـــرَاءَتْ فِي ثَنَايَاهَا
بيضَـاءَ فِي ثَـوْبِهَا يُحْيِيـــك مَـــرآهـا
مِنْ غُـــرْفَـة تَتَهَـــادَى فِي بَشَاشَتِهَا
لِغُـرْفَـة تَعْتَنِـي دومـــا بِمَرْضَـــاهَـا
فِي قَوْلِهَـا العَذْب مُـوسِيقَى تُرَدِّدُهـا
كَأَنّ هَمْسَ الرِّضَـا إِحْـــدَى مَـزَايَـاهَـا
وفِي آنتظامٍ تُواسِي مَنْ تُعَـالِجُـــهُ
وتَسْهَرُ اللَّيْلَ إِذْ تَرعاه عينـــاهـــا
إِذَا المـــرِيضُ يُنَـــادِيهَـــا لِحَاجَتِـه
حَـــالاً تُلَبِّيه لاَ تُبْطِـــي بِمَمْشَاهَـا
رحيمة القَلْبِ فِي عطْفٍ وفـــي أَدب
تَـــرعـــاه دومـــا فَتُسْلِيهِ سَجَيَـاهَـــا
فِي الصّبح تـأخذ فِي رِفْقٍ حرارتَـــهُ
ثُمَّ تَـأخُذُهَـا أَيضـــا بِمَمْسَـــاهَـا

كَـيْ تَطْمَئِنَّ على نَفْس مبرحـــــة
لَعَلّ تَبْتَـلُّ مِنْ سُقْـم تَغَشَّـــاهَـــا
أمّا الطَّبيب إذا نَـــادى لتُسْعفَـــهُ
لَبَّتْـــهُ في خِفَّـة تُعْطِيـــهِ يُـــمْناهَـا
حينا تُنَـاوِلُهُ مَـا يَسْتَعِيـــنُ بِـــهِ
وقـد تُسَاعِـدُهُ حِيـنًا وصَـايـاهَـا
فَهْيَ التي في تَدَاوِيهَـا قـد إخْتَـبَرتْ
مـا قد يُـزيلُ عَنِ المَـرضَى شَكَـــاوَاهَـا
هَـذِي الفتيَّـةُ لا تُـحْـصى مآثِـرُهَـا
جادَت بِـراحَتِهـا من أَجـــلِ تَقْـــوَاهَا
عَـاشَتْ مُمَـرِّضَـةً لا تَنْـثَنِـي أَبَـدًا
عن واجب النُّبْـلِ يَـرْعَى الكوْنَ مَبْدَاهَـا
واسَتْ لَدَى السِّلْمِ مَرْضَـاهَا بِمـا اتَّصَفَتْ
كما تُواسِي بوقت الحَـرْبِ جَـرْحَـاهَـا
فهذهِ في الحِـمَى جُنْـدِيَّـةٌ جَمَعَـتْ
نُبْـلاً وعَطْفًـا ولُطْـفًـا فـي حـنايـاهـا

عادل أنيس الطّبّاع

1 ـ ليلة بمالقة

كنت بمدينة مالقة من بلاد الأندلس سنة ست وأربعمائة فاعتللت بها مُدَيْدَةً ٱنقطعت فيها عن التّصرّف ولزمت المنزل وكان يمرّضني حينئذ رفيقان كانا معي يَلُمّان مِنْ شعثي ويرفقان بي وكنت إذا جنّني الليل اشتدّ سهري وخَفقَتْ أوتار العيـــذان والطّنابير والمعازف في كلّ ناحية واختلطت الأصوات بالغناء فكان ذلك شديدا عليّ وزائدا في قلقي وتألّمي فكانت نفسي تَعَافُ تلك الضروب طبعا وتكره تلك الأصوات جِبِلَّةً وَأَوَدُّ لو أجد مسكنا لا أسمع فيه شيئا من ذلك ويتعذّر عليّ وجوده لغلبة ذلك الشأن على أهل تلك النّاحية وكثرته عندهم وإنّي لساهر ليلة بعد إغفاءة في أوّل لَيْلَتِي وقد سكنت تلك الألفاظ المكروهة وهدأت تلك الضّروب المضطربة وإذا ضرب خفيّ معتدل حسن لا أسمع غيره فكأنّ نَفْسِي أَنِستْ بِهِ وسَكَنَتْ إليه ولم تنفر منه نفارها من غيره ولم أسمع معه صوتا وجعل الضّرب يرتفع شيئا فشيئا ونفسي تَتْبَعُهُ وسَمْعِي يُصغِي إليه إلى أن بلغ في الإرتفاع إلى ما لا غاية وَرَاءَهُ فارتَحْتُ لَهُ ونَسِيتُ الأَلَمَ وتَدَاخَلَنِي سرور وطرب خُيِّلَ إِلَيَّ أَنّ أَرضَ المنزل ٱرتَفَعَتْ بِي وأَنَّ حِيطانه تَمورحولي يَشْهَدُ اللهو كَأَنَّما أَنْشَطَتْ من عقالو كأَنْ لم يكن بي ألم .

أبو الطّاهر التّجيبي

2 ـ نهشة جديدة

حدثني بعض أصحابنا عن سكر الشطرنجي وكان أحمق القاصّين وأحذَقَهُمْ بلعب الشّطرنج سَأَلتهُ عن خرق كان في أنفه فقلت له : ما كان هذا الخرق ؟ فذكر أنه خرج إلى الجبل يتكَسَّبُ بالشّطرنج . فقدم البلدة، وليس معه إلا درهم واحد وليس يدري أينجح أم يخفق وصاحبه الذي اعتمده أيجدُهُ أم لا؟ فورد على حواء، وبين يديه جُونٌ عظام فيها حيّات جليلة .

فوقف سكر على الحواء ،وقد أخرج من جونته أعظمَ حيّةٍ في الأرض وادّعى نفوذ الرُّقية وجودَة التّرياق . فقال له سكر : خذ مني هذا الدّرهم، وارقني رُقيَةً لا تَضُرُّني معها حيَّة أبدا ! قال : فإني أفعل ! قال : فأرسِل قبل ذلك حية حتى ترقيني بعد أن تَعَضَّني . فإن أفقت علمت أن رقيتك صحيحةٌ قال : فإنّي أفعل. قال : فَاخْتَر أيَّتَهُنَّ شِئْتَ ؟ فأشار إلى واحد مما تعضّ للأكل دون السّم. فقال : دعْ هذه . فإن هذه إن قبضت على لحمك لم تفارقك حتّى تقطعك. قال إنّي لا أريد غيرها . وظَنّ أنّه إنّما زواها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أمّا إذا أبيت إلاّ هذه فاختر مَوضِعًا من جسدك حتى أرسلها عليه . فاختار أنفه .

فناشده وخوَّفه. فأبى إلا ذلك أو يرد عليه درهمه. فأخذها الحواء وطواها على يده كي لا يدعها تنكر. فتقطع أنفه من أصله. ثم أرسلها عليه. فلما أَنْشَبَتْ أَحَدَ نابيها في شَقِّ أَنْفِهِ صرخَ صرخَةً جمعت عليه أهل تلك البلدة. ثم غشي عليه. فأُخذ الحواء فوُضع في السِّجن وقتلِرا تلك الحيات. وتركوه حتَّى أفاق كأَنَّهُ أجنُّ الخَلــق، فتطوّعوا بحمله، فحملوه مــع المكاري وردُّوه إلى البصرة وبقي أثر نابِها في أنفه إلى أن مات

الجاحظ (كتاب الحيوان)

3 ـ كانما غنيت للحيطان

حدث بعض أهل العلم بالغناء عن حنين قال : خرجت إلى حمص ألتمس الكسب بها وأرتاد من أستفيد منه شيئا . فسألت عن الفتيان وأين يجتمعون فقيل ـ عليك بالحمامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا . فجئت إلى أحدها فدخلته فاذا فيه جماعة منهم فأنست وانبسطت وأخبرتهم أنّي غريب ثمّ خرجوا وخرجت معهم. فذهبوا بي إلى منزل أحدهم . فلمّا قعدنا أتينا بالطّعام فأكلنا وأتينا بالشّراب فشربنا فقلت لهم : هل لكم في مغن يغنيكم . قالوا : ومن لنا بذلك . قلت : هاتوا عودا . فاتيتُ به . فابتدأت في هنيات أبي عبّاد معبد فكأنّما غنيّت للحيطان لا فكهوا لغنائي ولا سُرُّوا به . فقلت : ثقل عليهم غناء معبد لكثرة عمله وشدّته وصعوبة مذهبه فأخذت في غناء غَريض فإذا هو عندهم كلا شيء. وغنيت خفائف ابن سُريج وأهزاج حكَم والأغاني التي لي واجتهدت في أن يفهموا فلم يتحرك من القوم أحد وجعلوا يقولون : ليت أبا مُنَبِّه قد جاءنا . فقلت في نفسي : أرى أنّي سأفتضح اليوم بأبي مُنَبّه فضيحة لم يفتضح أحد قط مثلها . فبينما نحن كذلك إذ جاء

أَبو منبِّه وإذا هو شيخ عليه خفان أَحمران كأَنَّه جمال. فوثبوا إليه جميعا وسلموا عليه وقالوا : ياأَبا منبه أَبطأْت علينا. وقدّموا له الطَّعام وسقوه أَقداحا. وخنست أَنا حتّى صرت كلا شيء خوفا منه فأَخذ العود ثم اندفع يغني :

طرب البحر فاعبُــرى يا سفينهْ لاتشقّى على رجــال المدينـــة

فأَقبل القوم يُصَفِّقُونَ ويَطْربون ويشربون. ثم أَخذ فى نحو هذا من الغناء. فقلت فى نفسي : أَنتم ههنا لئن أَصبحت سالما لا أَمسيت فى هذه البلدة. فلمّا أَصبحت شَدَدْت رحلى على ناقتى واحتقبت ركوة من الشراب ورحلت متوجّها إلى الحيرة.

الأَغاني

4 ـ المقامة القردية

حدّثنا عيسى بن هشام قال : بينا أنا بمدينة السَّلاَم ، قافلا من البلد الحرام ، أميس مَيس الرِّجلة ، على شاطىء الدِّجلة . أتأمَّل تلك الطَّرائفَ وأتَقَصَّى تلك الزَّخارف ، اذ انتهيت إلى حلقة رجال مزدحمين يلوي الطّرب أعناقهم. ويشقّ الضحك أشداقهم . فساقني الحرص إلى ما ساقهم حتّى وقفت بمسمع صوت رجل دون مرأى وجهه لشدَّة الهجمة. وفرط الزَّحمة . فإذا هو قرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ . ويُضْحكُ مَن عِنْدَهُ . فرقصت رقص المحرّج وسرت سير الأعرج فوق رقاب النَّاس يلفظني عاتق هذا لسرّة ذلك. حتّى افترشت لحية رَجُلَيْن. وقعدت بعد الأَين. وقد أشرقني الخجل بريقه. وأرهقني المكان بضيقه فلما فرغ القرّاد من شغله وأنتفض المجلس عن أهله. قمت وقد كساني الدّهش حُلَّتَهُ وَوَقَفْتُ لأرى صورته . فإذا هو والله أبو الفتح الإسكندري. فقلت ما هذه الدّناءة ويحك . فأنشأ يقول :

الـذنّب للأيـام لا لـي ... فاعتب عـلى صرف الليـالى
بالحمق أدركت المنـى ... ورفلت في حلـل الجمال

بديع الزمان الهمذانـى

5 ـ لعب الشطرنج

بلغني أيّها الملك السّعيد أنّ الجارية لما لعبت الشّطرنج مع المعلّم بحضرة أمير المؤمنين هرون الرّشيد صارت كلما نقل نقلا أفسدتْهُ حتّى غلبته ورأى الشّاه مات. فقال : أنا أردت أن أُطعمك حتّى تظنّي أنّك عارفةٌ لكن صُفّي حتّى أُريك. فلمّا صفت الثاني قال في نفسه : افتح عينك وإلا غلبتك. وصار ما يُخْرِجُ قطعةً إلاّ بحساب وما زال يلعب حتّى قالت له : الشّاه مات. فلمّا رأى ذلك منها دهش من حذقها وفهمها.

فَضَحِكَتْ وقالت له : يا معلّم أنا أُراهنك المرّة الثّالثة على أن أرفع لك الفرزان ورُخَّ الميمَنَةِ وفَرَس الميسرة وإن غلبتني فخُذْ ثيابي وإن غلبتك أخذت ثيابك. قال : رَضيت بهذا الشّرط. ثمّ صفّ الصفّين ورفعت الفرزان والرّخّ والفرس وقالت له : انقل يا معلم فنقل وقال : ما لي لا أغلبها بعد هذه الحطيطة وعقد عقدا. وإذا هي نقلت نقلا قليلا إلى أن صيّرت لها فرزانا ودنت منه وقرّبت البيادق والقطع وشغلته وأطعمته قطعة فقطعة. فقالت : الكيلُ كيلُ وافٍ والأرُزُّ أرزّ صاف فكُلْ حتّى تزيد على الشّبع. ما يقتلك يا ابن آدم إلاّ الطّمع. أمَا تعلم أنّي أطعمك لأخدعك. انظر فهذا الشاه مات.

من ألف ليلة وليلة

6 ـ تجربة فاشلة

طلبت كوبا فارغا وماء وورقا وقلت بلهجة الأُستاذ المدرّس انكم لا شك قرأتم في الكتب أو المجلات أوسمعتم من أساتذتكم في المدارس شيئا عمّا سأفعله الآن فليس فيه إعجاز أو غرابة أو مهارة لأنّ الأمْرَ يرجع إلى حقيقة علمية (وكان ما طلبت قد جيء به فتناولته ووضعته على المنضدة وكانت في الوسط) لا تخافي يا سيدتي على ثيابك فلن يبلها الماء. كلاّ لا تبتعدي اطمئنّي واقتربي. اقتربوا جميعا لِتَرَوْا كلّ ما أصنع. والآن (وتناولت الكوب) سأملأُ هذا الكوب تماما (وأفرغت فيه الماء حتّى فاض) وساغطيه بهذه الورقة الرقيقة. وَيَحْسُنُ أن تُعَايِنُو هَا، قبل أن أضعها لتكونوا على يقين من أنّها ورقة عادية لا نشافة ولا مُغَرَّاةَ.

والآن وقد غطيت هذا الكوكب المملوء ماء، فسأقلبه أمامكم وسترون أن الماء لن تُهرق منه قطرة، وإن كان لا يحجزه الاّ هـذه الطّبقة الرّقيقة من الورق، ما لكم تبتعدون ؟ لا ! لا ! لا ! لا خوف من البلل على الاطلاق !

ولكن السيّدات على الخصوص كنّ أحرصَ على ثيابهنّ من أن يستمعن لي. فآلمني الا يُصَدِّقْنَني .وحَزَّ في نفسي ألا يكون لحقائق العلم أرفعُ في هذا المقام عندهنّ. فرميتهنّ بنظرة ردَّتهنّ إلى شيء من التّظاهر بعدم الا كتر اث لما عسى أن يصيب أَرْدِيَتَهُنَّ وجمحت بي الرّغبة في تلقينهنّ درسا، فقلت بلهجة مُبَطَّنَةٍ بالزِّراية والمرارة : « إنّ منكُنّ من تخاف على ثيابها. وبذلتي ليست أقل جدّة أو بهاء إذا اعتبرنا الفرق بين ما يلبس الرِّجال وما تلبس السيّدات، ومع ذلك سأَقلبُ هذا الكوب فوق رأسي انظرورا ! »

كانت النَّتيجة ـ كما لا بدّ أن يكون القارىء قد توقّع !ـ أن فاض الماء على راسي وثيابي ومن ثمّ على جيراني، ووثب كل امرىء عن كرسيّه وصرخت السيّدات. وسقط الأطفال على الأرض من فرط الضّحك. وبقيت أنا مُسَمَّرا في مكاني كالأبله ،والكوب لا يزال في يدي، تَصبّب جبيني بأكثر مما أُريق عليّ من الماء !

ابراهيم عبد القادر المازني

7 ـ أبان والأعرابى

قال ابن زبنج :

كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأولعهم بالمزاح ، فبينا نحن ذات يوم عنده، وعنده أشعب اذ أقبل أعرابى معه جمل ، والأعرابى أشقر ، أزرق ، أزعر ، يتلظى كأنه أفعى ، والشر بين فى وجهه ، ما يدنو منه أحد الا شتمه ونهره ، فقال أبان : « هذا والله من البادية ادعوه لى . » فدعوه له ، وقيل : « ان الأمير أبان بن عثمان، يدعوك . » فأتاه فسلم عليه ، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه ، فانتسب له ، فقال له أبان : « حياك الله يا خال ! اجلس . » فجلس .

فقال له :« انى أطلب جملا مثل جملك هذا منذ زمان ، فلم أجده ، كما أشتهى، بهذه الصفة ، وهذه الهامة ، والصورة ، والورك ، والأخفاف ، والحمد لله الذى جعل ظفرى به عند من أحبه . أتبيعينه ؟ » قال : « نعم ، أيها الأمير ! » قال « فانى قد بذلت لك مائة دينار . » فطمع الأعرابى وسر وانتفخ ، وبان الطمع فى وجهه .

قال : فأقبل أبان على أشعب ، ثم قال له : « ويلك يا أشعب ! ان خالى هذا من أهلك وأقاربك ـ يعنى فى الطمع ـ فأوسع له مما عندك .» فقال : « نعم ـ بأبى أنت ـ وزيادة » فقال له أبان : « يا خال ! انما زدتك فى الثمن على بصيرة ان الجمل يساوى ستين دينارا ، ولكنى بذلت لك مائة دينار ، لقلة النقد عندنا ، وانى أعطيك عروضا تساوى مائة دينار .» فزاد طمع الأعرابى ، وقال : « قد قبلت ذلك أيها الأمير.» وأسر أبان الى أشعب ، فأخرج شيئا مغطى، فقال له :« أخرج ما جئت به.» فأخرج جرد عمامة تساوى أربعة دراهم ، فقال له : « قومها يا أشعب !» فقال : « عمامة الامير يشهد فيها الأعياد والجمع ، ويلقى فيها الخلفاء ! خمسون دينارا .» قال : « ضعها بين يديه .»

وقال ابن زبنج : « فقال لى : أثبت قيمتها .» فكتبت ذلك ، ووضعت العمامة بين يدى الأعرابى ، فكاد يدخل بعضه فى بعض غيظا ولم يقدر على الكلام . قال أبان: « هات قلنسوتى .» فاخرج أشعب قلنسوة طويلة خلقة ، قد علاها الوسخ والدهن، وتخرقت ، تساوى نصف درهم ، قال : « قوم » فقال :« قلنسوة الأمير تعلو هامته، ويصلى فيها الصلوات الخمس ويجلس فيها للحكم ! ثلاثون دينارا .» قال لابن زبنج: « أثبت . » فأثبت ذلك . ووضعت القلنسوة بين يدى الأعرابى ، فتربد وجهه ، وجحظت عيناه ، وهم بالوثوب ، ثم تماسك ، وهو مقلقل .

ثم قال لاشعب : « هات ما عندك .» فاخرج خفين خلقين قد نقبا ، وتقشرا ، وتفتتا ، فقال : « قوم .» فقال : «خفا الأمير يطأ بهما الروضة ، ويعلو بهما منبر النبى ! أربعون دينارا .» فقال : « ضعهما بين يديه.» ثم قال للأعرابى : « اضمم اليك متاعك .» وقال لبعض الأعوان : « امض مع الأعرابى ، واقبض ما بقى لنا عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون دينارا .»

فوثب الأعرابى ، فأخذ القماش ، فضرب به وجوه القوم ، لا يألو فى شدة الرمى ، ثم قال له : « أتدرى فى أى شىء أموت ؟» قال : « لا » قال :« لم أدرك أباك عثمان فاشترك ، والله ، فى دمه ، اذ ولد مثلك ؟» ثم نهض كالمجنون ، حتى أخذ برأس بعيره ، وضحك أبان ، حتى سقط ، وضحك من كان معه .

فكان الأعرابى بعد ذلك اذا لقى أشعب يقول له :« هلم الى ـ يا ابن الخبيثة ! ـ أكافئك على تقويمك المتاع يوم قومت .» فيهرب منه أشعب ..!

التنوخى
(نهاية الأرب)

8 ـ الشيخ البلبيسى

روى لى محدثى عنه قائلا :

ـ عرفت الشيخ « البلبيسى » لأول مرة فى دار الباشا المدير ٠ دخلت عليهم فى تلك المنظرة التى كان يجتمع فيها من حين الى حين جلة علماء المديرية وأكابر أعيانها ٠ فأبصرت الشيخ بطلعته الجليلة فى صدر المجلس ، فما شككت فى أنه أعظمهم فضلا وأرفعهم قدرا ٠٠٠ فلما قدمنى اليه المدير لم أنتظر حتى أعى اسمه وانكببت ، لهيبته ، على يده اقبلها ٠٠٠ فسحبها منى برفق وافسح لى مكانا الى جواره ، وهو يقول بصوته الوقور :

ـ أستغفر الله يا بنى ، أستغفر الله !٠٠٠ على من أخذت العلم فى الأزهر الشريف ؟ ٠٠

فعلت وجهى حمرة الخجل وقلت :

ـ لم أدرس العلم ٠٠٠ ولكنى رجل مزارع من ذوى الاملاك ٠٠٠

فربت على يدى بكفه قائلا :

ـ وانعم بالزراعة والزراع ! من يزرع خيرا يحصد خيرا ، ومن يزرع ٠٠٠

وسعل سعالا خافتا غريبا كأنه عواء ٠٠٠ جهد فى كتمه بكمه ومضى يقول متلطفا :

ـ كيف اتفق أننى لم أرك هنا من قبل ؟

فقلت وأنا ألقى نظرة على الباشا المدير المتشاغل عنا بضيوفه وهم يتحدثون ، فيما بينهم هامسين حتى لا يزعجونا فيما اعتقدت ، بأصواتهم :

انى قليل المجىء الى البندر ٠ ولا أغادر أرضى وضيعتى الا اذا دعتنى الى ذلك المصالح أو الضرورات ٠

فقال الشيخ وهو يعد بأصابعه المرتجفة حبات مسبحته :

ـ حسنا فعلت يا بنى ٠٠٠ لقد قالوا فى الأمثال ٠ الأرض التى لا ترى قدم صاحبها لا تفلح ٠٠ وسعل ذلك السعال الغريب المكتوم وقد وضعت معالم المشابهة لعواء الكلب ٠٠٠ فأخذتنى رعدة ٠٠ وأحس ذلك منى ٠٠ فمال على أذنى هامسا :

ـ هل أزعجك سعالى ؟ لا تخش شيئا ٠٠٠ هذا أمر يأتى أحيانا ويمر مر الكرام ٠٠٠ فقلت له بأطمئنان :

ـ بل لا تنزعج فضيلتك ٠٠٠ انما هو برد عارض من برد هذه الايام ٠٠٠

فقال لى بنبرة وقورة هامسا :

ـ لا ٠٠ يابنى ٠٠ هذا ليس ببرد ٠٠ انى ما تعودت الكذب ٠٠ انما هو مرض آخـــر ٠٠٠

ـ ليس خطيرا على كل حـال ٠٠

ـ أرجو أن يبرئنى الله منه ٠٠

وسعل ٠٠ أو على الأصح عوى كالكلب ٠٠ وهو يسد فمه بكمه حتى لا يبلغ الصوت أسماع الحاضرين ٠ والقى عليهم نظرات قلقة مضطربة ٠٠ وهمس فى أذنى :

ـ لعل سعالى لم يصل اليهم ٠ أما أنت فمثل ابنى ٠٠ ولعلك تكتم عنى ٠٠ انها بلية ابتلانى بها الله ، وهو لا يبلو الا عباده الصالحين ٠٠ أسأله تعالى أن ينهى هذه الأزمة على خير حتى أنصرف عن هذا المجلس ٠ فأخذتنى به شفقة ٠٠ ورأيته يلم أطراف عباءته ليسرع بالنهوض ، ولكن السعال أو العواء أدركه ٠٠ فلبث فى مكانه يحشو فمه بكمه ٠٠ حتى هدأ قليلا ٠٠ فقلت له :

ـ أمـا من علاج لهذا ؟

ـ العلاج بيد الله ·· وأخشى أن يكون فات أوانه ·· كل ما أرجوه ألا يكون دائي خطرا على الناس ، كفى ما حدث لذلك الخادم المسكين ··

ـ ماذا حدث لـه ؟

قلتها مرتاعا ·· فقال بصوت مرتجف متعب جاف :

ـ اشتدت على الأزمة يوما · وقيل انى كنت أسعل سعالا كعواء ذلك الكلب « المسعور » الذى عضنى ·· فلما أراد خادمى اسعافى وعمونتى هبرته بأسنانى وعضضته عضة أدت الى وفاتـه ·· رحمه الله رحمة واسعة ! ورحمنى أنـا ايضا وغفـر لى ···

وقطع سعاله حديثه ·· وجعل يمزق كمه بأسنانه حتى لا يخرج الصوت من فمه واضحا وجعلت أنا أحاول التزحزح من مكانى مبتعدا عنه من الخوف ·· ولكن احترامى له وعطفى عليه وحرصى على شعوره وخشيتى من لفت الانظار اليه ·· كل هذا سمرنى فى مقعدى ·· فتجلدت وقلت له بصوت متهدج :

ـ انها ولا شك أزمة خفيفة ستمر ··

ولم أتم ·· فقد جحظت عيناه ·· وتغير وجهه ·· وأرغى وأزبد وكشر عن أنيابه وانقلب فى لحظة ذلك الشيخ الوقور الى كلب خطر عقور ·· وترك كمه وفغر فاه بعواء سافر مرعب ·· ومد يديه نحوى كأنهما مخالب وهم بالهجوم على · وهنا لم أدر من الفزع الا وأنا أثب نحو الباب وثبة صدمتنى بعارضته الخشبية صدمة ما برح أثرها باقيا فى جبينى · وما كدت أجد نفسى فى فناء الـدار حتى صحت من حرارة الروح بالخدم والحجاب :

ـ الحمد لله ! هربت بجلدى ·· لكن المصيبة مصيبة الباشا المدير وضيوفه·· لقد أكلهم فضيلة الشيخ ونهشهم وانتهى الامر !··

وأردت أن أرفع بالحجاب الى داخل المنظرة لينقذوا من يمكن انقاذه ··· واذا بى أرى الباشا المدير وضيوفه يتوسطهم الشيخ الجليل، خارجين من الباب يتمايلون، والضحك يكاد يقطعهم تقطيعا ·

فلما انكشفت لى الحقيقة وأبديت احتجاجى ·· قال لى المدير باسما :

ـ ألا تعرف الشيخ « البلبيسى » ونوادره ودعاباتـه ؟!·· هذا هو الشيخ البلبيسى ·· هل تعرفه الآن ؟

فأشرت الى الصدمة فى جبهتى وقلت مبتسما :

ـ معرفة تركت فى أثـرا !··

فتقدم نحوى الشيخ كما يتقدم الممثل بعد أن مسح عن وجهه طلاء التمثيل ··· وقـال :

ـ الحمد لله على السلامة !·· ان شاء الله قريبا ··

فقاطعته صائحـا :

ـ مستحيل ··· لا يلدغ ـ بل قل ·· لا يعض ـ مؤمن ··

فبادر هو يكمل العبارة :

ـ من كلب مرتين ·· هذا صحيح ·· ولكن من قال لك انى سأكون كلبا فى المـرة القـادمة ؟

ـ اذا قابلتنى فى المرة القادمة فكن كما شئت وشاءت لك براعتك ·

تـوفيق الحكيم

1 ـ ان للعالم خالقا

حُكي أَنّ دَهْرِيًا جاء إِلَى هارونَ الرّشيد وقال : يَا أَمير المؤمنين قَد اتّفَقَ عُلَمَاءُ عَصْرِكَ مِثْلُ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى أَنَّ لِلْعَالم صانعًا. فمَنْ كان فَاضِلاً من هَؤُلاَء فَمُرْهُ أَنْ يَحْضُرَ هَهُنَا حَتَّى أَبْحَثَ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ و أُثْبِتَ أَنَّهُ ليس للعالم صانع. فأَرْسل هارُونُ الرّشيد إلى أَبِي حَنِيفَةَ لأَنَّهُ كَانَ أَفْضَل العلماء. وقال : يا إمامَ المسلمين اعلم انّه قد جاء إلينا دَهْرِيٌّ وهو يَدَّعِي نَفْيَ الصَّانع وَيَدْعُوكَ إِلَى المناظرة فقال أَبو حنيفة : أَذْهبُ بعد الظُّهر. فجاء رسول الخليفة وأَخبر بما قال أَبو حنيفة فأَرسل ثانيا. فقام أَبو حنيفة وأَتى إلى هارونِ الرّشيد. فاسْتَقْبَلَهُ هَارُونُ وجَاءَ بِه وأَجلسه في الصّدر وقد اجتمع الأَكابر والأَعيان. فقال الدَّهري : يا أَبا حنيفة لِمَ أَبطأت في مجيئك؟ فقال أَبو حنيفة : قد حصل لي أَمر عجيبٌ فلذَلكَ أَبطأتُ .وذَلكَ أَنّ بيتي وراء دِجْلَة.فَخَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي وَجِئْتُ إِلَى جَنْبِ دِجْلَةَ حَتَّى أَعْبُرَهَا فَرَأَيْتُ بِجَنْبِ النَّهْرِ سَفِينَةً عَتِيقَةً مُقَطَّعَةً قَد افْتَرَقَ أَلْوَاحُهَا. فَلَمَّا وَقَعَ بصري

عليها أضطربت الألواح وتحركت واجتمعت وتوصل بعضها ببعض وصارت السفينة صحيحة. فقعدت عليها وعبرت الماء وجئت هَهُنَا. فقال الدَّهْرِيُّ : اسمعوا أيُّها الأعْيَانُ ما يَقُولُ إمَامكم وأفْضل زمانكم. فهل سمعتم كلاما أكذبَ مِنْ هذَا ؟ كيف تَحْصُلُ السفينة المكسورة بلا عمل نجَّار. فهو كذب محض قد ظهر من أفضل علمائكمْ. فقال أبو حَنِيفَةَ : أيُّها الكافرُ المطلق اذا لم تحصل السفينة بلا صانع ونجّار فكيف يَجُوزُ أن يَحْصُلَ هذا العالم من غير صانع ؟! أم كَيْف تَقُولُ بِعَدَم الصَّانع ؟! فعند ذلك أمر الرَّشيد بضرب عنُق الدّهري.

من مجاني الأدب (الجزء الثاني)

2 ـ في غار حراء

كانت الشّمس تَنْحدرُ إلى ناحية المغيب. فيجلو انحدارها قطوب الجبل ويكسو السّفوحَ الظليلة سلاما وسكينة. وكان أصحابي يدورون في شعب الجبل ويعُودُ أحدهم الفَيْنَةَ بعد الفينة فيَرَانِي منصرفا عنه إلى ما حولي لا أُوجّه إليه كلمة فيرتدّ إلى إخوانه. فلمّا طال بهم الأمدُ ورأوا المغيب زاحفًا علينا. نَبَّهَنِي أحدهم فاستمهلته رويدا وهبطت وإيّاه إلى الغارِ. غارِ. حِرَاء ورجوته أن يدعني هُنَيْهَةً إلى نَفْسِي. ووقفت بين هذه الصُّخور الضّخمة. قُبَالةَ الحجر الموحش في الجبل القفرِ وقد تسلّلَتْ اليه الظّلمة فزادته وَحْشَةً وقَفْرًا. وقفت وحيدا مفكّرًا. أتخطّى بذهني القرون إلى الماضي وقد امتلأت نفسي بصورةِ ذلك اليوم الفذّ في التّاريخ. يومِ نزول الوحي الأوّل. ونسيت كل ما حولي. وخُيِّلَ إلَيَّ أنّني أرى. نعم ؟ رأيت محمّدا مُتَمَطِّيًا. في الغار الموحش وعلى محياه الجميل سيماءُ الرِّضا وكأنّما يتقلّب من هذا الصّخر في فراش وَثِير. وإنّي لأُحدّقُ بِقسمات وجهه وقلبي كلّه الرّضا

والحُبُّ، إذ رأيت هذا الوجهَ أضاءهنورٌ لَاءٌ لَاءٌ زاده جمالا،ورأيتُ ابتسامةً مُطْمَئِنَّةً على ثَغْر تَنِمُّ شفتاه الرّقيقتانِ عن معانى التّأمّل وعظيم الأمل، وأُخذتُ بما رأيت وازددت بصاحب الوجه المنير شغفا، وبقسماته الحلوة تحديقا. وفيما أُحدِّق شَعُرْتُ أنّ الجبل كُلَّه يَهْتَزُّ، وبَهَرَنِي من الغار نورٌ لم تُطِق عيناي ساطع ضيائه. وسمعت صوتا ملائكيًّا يُهِيب بالمتمطِّي في الغار : « اقرأ » ويجيب محمّد في صوت مرتعش ونبرات تهتزّ من الخوف : « ما أقرأ » والنور ساطعٌ والبُهْرُ يَتولاَّنِي من كلِّ مكان، وأُحِسُّ الفَزَعَ يجري في عُرُوقِي، وأحاول الفرارَ فتَخُونُنِي قُوَايَ. وأَسْمع الصّوت الملائكيَّ مرّة أخرى يُهِيبُ بمحمد، « اقرأ » ومحمّد ملؤه الخَوفُ والوجلُ يُجِيبُ بِصوتٍ من أُرسل بعدَ اختناقٍ. « ما أقرأ » ويُكَرِّر الصّوتُ الملائكيُّ : « اقرأ » ويشعر محمّد أنّه لم يبق في ملك نفسه وأنّهُ لا مَفَرَّ له من أن يقرأ أَوْ يَظَلَّ صَاحِبُ الصّوتِ يَخْنُقُهُ ويُرْسِلُهُ فيُجِيبُ : « ماذا اقرأ » ؟ ويتلُو الصّوت الملائكي (اقرأ باسمِ ربّك الذي خلق. خلق الإنسانَ من علقٍ اقرأ وربُّك الأكرمُ الذِي علَّم بالقَلَمِ علَّمَ الإنسانَ ما لَم يَعْلَم).

محمد حسين هيكل

« فى منزل الوحي »

3 ـ الاســـــلام

لما ظهر الإسلام كان معتنقوه قليلين، وكانوا مضطهدينَ في بلادهم حتَّى اضْطُرُّوا إلى الهجرة إلى الحبشة. فسأَلهم النَّجاشي عن حالهم. فقال له جعفر ابن أَبي طالب، أَحد المهاجرين :

« كنَّا قوما أَهلَ جاهليّةٍ ، نعبد الأَصنام ونأكل الميتةَ، ونأتي الفواحشَ ونقطعُ الأَرحامَ. ونُسِيءُ الجوار، ويأكل القويّ منّا الضّعيف، فكنّا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرِف نسبَه وصدقه وأَمانتَه وعَفَافَه ، فدعانا إلى الله لنُوَحِّدَهُ ونَعْبُدَهُ ونخلعَ اما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارةوالأَوثان، وأَمرنا بصدق الحديث وأَداء الأَمانةِ، وصِلَةِ الرَّحِم وحُسْنِ الجِوار والكفِّ عن المحارم والدِّماء. ونهانا عن الفواحش وقول الزّور وأَكل مـــال اليتيم وقذف المحصنة. وأَمرنا بالصّلاة والزّكاةِ والصّيام ، فصدّقناه وآمنّا به، فبعدا علينا قومنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا لِيَرُدُّونا إلى عبادة الأَوثانِ من عبادة الله تعالى، وأَن نستَحِلَّ ما كنّا نَسْتَحِلُّ منَ الخبائث، فلَمَّا قهرونا وظلمونا وضَيَّقوا علينا خرجنا من بلادنا ».

4 ـ اسـلام أبي ذر

قال أَبو ذَرٍّ : كنت رجلا منْ غفار، فبلغنا أَن رجلا قد خرج بمكّة يزعم أَنّه نبي، فقلت لأَخي: انطلق الى هذا الرّجلِ وكلِّمْهُ. وْآتني بخبره، فانطلق فلقيه، ثمَّ رجع فقلت: ما عندك؟ فقال : واللهِ لقد رأَيت رجلا يأْمر بالخير وينهى عن الشَّرِّ ـ فقلت له: لم تشفني من الخبر فأَخذت جرابا وعصا، ثمّ أَقبلت إِلى مكّة، فجعلت لا أَعرفه، وأَكره أَن أَسأَل عنه وأَشرب من ماء زمزم، وأَكون في المسجد. فمرّ بي علي، فقال : كأَن الرّجل غريب ؟ قلت : نعم، فانطلق إِلى المنزل وانطلقت معه لا يسأَلني عن شيء ولا أُخْبِرُهُ. فلما أَصبحت غَدوت إِلى المسجد، لأَسأَل عنه وليس أَحد يُخْبِرُنِي عنه بشيء. فَمَرَّ بي عَلِيٌّ فقال : أَما آن للرّجل أَن يعرف منزله بعد ؟ قلت : لا، قال : انْطَلِقْ معي، ثم قال : ما أَمرُك ؟ وما أَقدمك هذه البلدة ؟ فقلت : إِنْ كتمتَ علي أَخبرْتُك، قال : فإِنّي أَفعل. قلت له : بلغنا أَنه خرج ههنا، رجل يزعم أَنّه نبي، فأَرسلتُ أَخي ليكلمه فرجع ولم يَشْفِنِي من الخبرِ، فأَردت أَن

أَلقاه. فقال : أما أنك قد رُشِدت، هذا وجهي اليه فاتّبِعْني، وادخل حيث أَدخل، فإنّي إن رأيت أحدا أَخافه عليك، قمتُ إلى الحائط كأَنّي أصلح نعلي، وامض أَنتَ. فمضى ومضيت معه حتّى دخل، ودخلت معه على النّبي صلّى الله عليه وسلّم فقلت له أعرض علي الاسلام،فعرضه فأَسلمت مكاني فقال لي : يا أَبا ذرّ، اكتم هذا الأَمر، وارجع الى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فاقبل، فقلت : والذي بعثك بالحقّ، لأَصرُخنّ به بين أَظهرهم.

فجاء إلى المسجد وقريش فيه، فقال : يا معشر قريش إنّي أَشهد أَن لا إله الا الله وأَشهد أَن محمّدا عبده ورسوله. فقالوا قوموا الى هذا الصّابيء فقاموا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ، فأَدركني العبّاس فأَكبّ علي .ثم اقبل عليهم، فقال : ويلكم ! تقتلون رجلا مِنْ غِفار ومتجركم وممرّكم على غفار ! فأَقلَعُوا عنّي. فلمّا أن أَصبحت في الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأَمس. فقالوا : قوموا إلى هذا الصَّابيءِ، فصُنع بي مثل ما صُنع بالأَمس، وأَدركني العبّاس، فأَكبّ علي وقال مثل مقالته بالأَمس.

« الزّبيـــــدي »

5 ـ على عرفات

... هناك ينْكَشِف الغِطاء وتنفتحُ أَبوابُ السماء فيتوجَّه الحُجَّاجُ إلى الله بقلوب انزاحتْ عنها ظُلْمَةُ الأَهواءِ والشَّهواتِ، وأَشْرقَتْ عليْهَا الأَنْوارُ فسمتْ حتّى رأَتِ الأَرْضَ وَمن عليها ذَرَّةً صغيرَةً تَحْمِلُهَا رياحُ الْقُدْرَةِ، ثُمّ سمت حتّى سمِعت تسبيحَ الملائكَةِ بأَلْسنةِ الطَّاعَةِ، ثمَّ سَمتْ حتّى تَدَبَّرَتِ القُرْآنَ غَضًّا غَريضًا، كأَنَّما نَزَلَ بِه الوحيِ أَمس، وسمعتِ النِّدَاءَ من جانب القُدْس « يا أَيُّها النَّاس إِنَّما خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شُعُوبا وقَبَائِلَ لِتَعارفوا إِنَّ أكرَمَكُمْ عندَ اللهِ أَتْقَاكم » فأَجابت : لبَّيْكَ اللَّهمَّ لبّيك! فردَّدت بِطاحُ عرفات وأَرجاءُ الحـــرم وردَّدت السَّماواتُ السّبعُ والأَرَضُون السَّبْعُ : لبّيك اللّهمَّ لبّيك!..

هنالك تتحقَّقُ المثلُ العليا فتزول الشُّرور وترتفع الأَحقادُ وتعمُّ المساواةُ ،ويَسُودُ السَّلامُ ويجتمعُ النَّاس على اختلاف ألسنتهم وأَلوانهم في صعيد واحد لبَاسُهُمْ واحد، يتوجَّهون إلى ربٍّ واحد، ويَصِيحونَ بِلسان وَاحدٍ : لبّيك اللّهمّ لبّيك !

في عرفاتٍ تتجلَّى عظمةُ الاسلام دينِ الحرّيَّة والمساواةِ والعلم والحضارة ومن عرفاتٍ يسمعُ المسلمون داعيَ الله يدعو : حيْ على الصّلاة ! حيّ على الفلاح ! فيجيبون لبّيك اللّهمّ لبّيك ويَنطلقون ليعملوا للآخرة كأنَّهم يموتون غدا ويعملوا للدنيا كأنَّهُمْ يعيشون أبدًا .

فلْتَفْسُدُ الأَرْض، ولتطغَ الشُّرورُ، وليعصف الحديدُ، فإنّه لا خوف على الفضيلة ولا على الحقِّ ولا على السَّلام ما دام في الأَرض عَرفاتٌ، وما دام في الجوِّ هذا الصوت القدسيّ الْمُجَلْجِلِ : « لبّيك اللّهمّ لبّيك » !

علي الطنطاوي

6 ـ النـاس في الدنيـا

مَثَلُ أَهل الدّنيا واشتغالهم بـأَحوالها ونسيان الآخرة واهمالها كمثل قوم ركبُوا مركبًا في البحر، فعدلوا إلى جزيرة فنزلوا إليها والملاَّحُ يناديهم : لا تضيلوا المكث لئلا يَفُوتَ الوقت فإن المركب سائر، فمضَوْا وتفرَّقوا في الجزيرة فالعقلاءُ منهم لم يَمْكُثُوا، وعادوا إلى المركب، فوجدوا الأَمـاكنَ خَالية فجلسوا في أَطْهرها وأَوفقها. ومنهم قوم نظروا إلى عجائب تلك الجزيرةِ ووقفوا يتنزَّهون في زهرها وأَثمارها وروضها وأَشجارها ويسمعون تَرَنُّمَ أَطيارها ويتعجّبون من حَصْبَائِها الملوَّنة وأَحجارها، فلما عادوا إلى المركب لم يجدوا فيه موضعًا متّسعا فقعدوا في أَضيق مواضعه وأَظلمها. ومنهم قوم وَقَفُوا مع عجائب تلك الجزيرة فتحَيَّرُوا في الرُّجوعِ، ولم يُفَكِّروا حتَّى سار المركبُ فبعُدُّوا عنه، وانقطعـوا وفي أَماكنهم تخلَّفُوا ، اذ لم يصغوا إلى المنادي ولم يسمعوا. فمنهم من أَكلته السِّباع ،ومنهم مَنْ هلك من الجوع .

الغزالي

7 ـ الدين الحق والدين الصناعي

يكُدُّ الباحثون أذهانهم، ويُجْهِدُ المؤرِّخونَ أَنْفُسَهُمْ فِـــي تقليب صُحُفِهِم ووثائقهم عن تَعَرُّفِ السبب في أَنَّ المسلمين في أَوّل أَمرهم أَتوا بالعجائب فغزوا، وفتحوا وسادوا، والمسلمين في آخر أَمرهم أَتوا بالعجائب أَيضا فضعُفُوا، وذُلُّوا واستكـــانوا، والقرآن هو القرآن، وتعاليم الإِسلام هي تعاليمُ الإِسلام، ولا اله إِلاَّ الله هي لا إِله إِلا اللهُ، وكُلُّ شيءٍ هي كلُّ شيء، ويذهبون في تعليل ذلك مذاهب شتَّى، ويسلكون مسالك مُتَعَدِّدَةً. وَلاَ أَرَى لذلك إِلاَّ سببا واحدا هو الفرقُ بين الدِّين الحقِّ والدِّينِ الصّناعي.

الدّين الصّناعيُّ دين حركات وسكنات، وألفاظٍ ولا شيء وراء ذلك. والدِّين الحقّ دين روح وقلب وحرارة.

الصَّلاَةُ في الدِّينِ الصِّنَاعِيِّ، ألعابٌ رياضيَّةٌ، والحجُّ حركةٌ آليَّةٌ ورحلةٌ بدنيّةٌ، والمظاهرُ الدينية، أعمالٌ مسرحيةٌ وأشكال بهلوانيةٌ.

و « لااله الا الله » في الدّين الصّناعي. قولٌ جميلٌ لاَ مَدْلول له. أَمَّا في الدّين الحقّ فهي كلّ شيء. هي ثورة على عبادة المال. وثورة على عبادة السّلطان. وثورةٌ على عبادة الجاه. وثورةٌ على عبادة الشّهوات. وثورةٌ على عِبادةِ كلّ معبودٍ غير الله.

« لااله الا الله » في الدّين الصّناعي تَتَّفِقُ مع إحناءِ الرأس. والخضوعِ لِشهوةِ البدنِ. وتتفق مع الذّلّةِ والمسكنةِ و « لااله الا الله » في الدّين الحقّ. لا تتفق إلا مع الحقّ. « لا اله الا الله » في الدّين الصّناعي تذهب مع الرّيح وفي الدّين الحقّ تُزلْزِلُ الجِبَالَ.

أحمد أمين

8 ـ القرآن

كتابٌ حوى من أخبار الأمم الماضية ما فيه مُعتبر للأجيال الحاضرة والمُستقبلة نَقَّب على الصَّحيح منها وغادر الأباطيل التي أَلحقتها الأوهام بها ونبَّه على وجوه العبرة فيها. حكَى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقُصَّ علينا من سِيَرِهِمْ وما كانَ بينهم وبين أممهم وبرَّأهم ممَّا رماهم به أهلُ دينهم المعتقدون برسالتهم. آخذ العلماء من الملل المختلفة على ما أفسدوا من عَقَائِدِهِمْ وما خلَطُوا من أحكامهم وما حرَّفوا بالتَّأويل في كُتُبِهِم وشرَّعَ للناس أحكاما تنطبق على مَصَالحهم وظهرتِ الفائدةُ في العمل بها والمحافظة عليها وقام بها العدلُ وانتظم بها شمل الجماعة ما كانتْ عند حدٍّ ما قرَّرهُ ثمَّ عظُمَتِ المَضَرَّةُ في إهمالها والانحرافِ عنها أو البعدِ بها عن الرُّوح الذي أودعته ففاقت بذلك جميع الشَّرَائع الوضْعِيَّةِ كما يَتَبَيَّنُ للنَّاظِرِ في شرائع الأُمم ثمَّ جاء بعد ذلك بحكم ومواعظَ وآداب تخشعُ لها القلوبُ وتهشّ لاستقبالها العقولُ وتنصرف وراءها الهمم انصرافها في السَّبيل الأُمم.

محمّد عبده

9 ـ انت انت الله

إذا ما اتَّجه الفِكْرُ في السَّمواتِ حيثُ انْتَشَرَتِ النُّجومُ في اللَّيل، وإذا ما كلَّ البصرُ فيما لا ينتهي من الآفاقِ المظلمة، وإذا خشعت النَّفسُ خُشُوعَهَا منْ رهبَةِ السُّكونِ الشَّامِلِ، فإنَّكَ تُشْرِفُ بوجْهِكَ العظيم من خلال هذهِالآفاقِ، وتَسْمَعُ صوتَكَ في ذلك السّكون الشّامل، وتَمَسُّبعظمتكَ النَّفْسَ الخاشعةَ المطْمَئِنَّةَ، حينئذ تبدو الآفاقُ المظلمةُ، كأَنَّها باسمةٌ مشرقةٌ ويتحوَّلُ السُّكونُ إلى نبراتٍ مطربة تنبعث من كل صوب، وحينئِذٍ تَتَغَنَّى النَّفْس الخاشِعَةُ لتقولَ : أَنت أَنت الله.

وإذا ما انطلقت السَّفينةُ بعيدًا بعيدًا في البحرِ اللُّجِّيِّ، وَهَبَّتِ الزَّوابِعُ وتَسَابَقَتِ الرِّيَاحُ وَتَلَبَّدَ بالسُّحُبِ الفضَاءُ واكفَهَرَّ وَجْهُ السَّمَاءِ، وأَبرقَ البَرْقُ وأَرْعَدَ الرَّعْدُ، وكَانت ظلماتٌ بعضها فوق بعض، ولَعِبَتْ بالسَّفِينَةِ الأَمواجُ، وأَجْهَدُ البَحَّارُ جُهْدَهُ، وأَفْرَغَالرُّبَّانُ حِيلَتَهُ، وَأَشْرفَتِ السَّفِينَةُ عـلَى الغَرَقِ، وتَرَبَّصـت الموتُ من كلِّ صوب وحدق، اذ ذاك، يَشُقُّ ضِيَاؤُكَ هذِهِ الظّلماتِ

والمسالك، وتحوط رأفتكَ حَوْلَ هَذه الأَخطارِ. وتصِلُ بحبالِ نجدتك المكروبينَ البائسين، وإذ ذاكَ يردِّدُ اللّسانُ : أَنت أَنت الله.

وإذا ما اشتد السّقمُ بِمنْ أَحاطته عِنايةُ الأَطِبَّاءِ وسَهَرُ الأَوفياءِ ونام بين آمال المخلصين ودعوات المحبينَ، ثمَّ ضعفت حيلة الطبيب، ولم ينفع وفاء الحبيب، واستحال الرَّجاءُ إلىٰ بلاءٍ، اذ ذاك تظهر جالسا على عرش عَظَمَتِك، والنَّواصي خاشعةٌ، والنُّفوس جازعةٌ والأَيدي راجفةٌ. والقلوب واجفة. لتقول أَنا قضيت. ويقول الطّبيب والقريب والحبيبُ لك الأَمرُ أَنت أَنت الله.

منصور فهمي

10 ـ ابليس ينتصر

اتخذ قوم شجرة ، صاروا يعبدونها ·· فسمع بذلك ناسك مؤمن بالله فحمل فأسا وذهب الى الشجرة ليقطعها ·· فلم يكد يقترب منها حتى ظهر له ابليس حائلا بينه وبين الشجرة ، وهو يصيح به :

ـ مكانك أيها الرجل ! ··· لماذا تريد قطعها ؟
ـ لأنها تضل الناس ·
ـ وما شأنك بهم ··· دعهم فى ضلالهم ! ···
ـ كيف أدعهم ··· ومن واجبى أن أهديهم ·
ـ من واجبك ان تترك الناس أحرارا يفعلون ما يحبون ·
ـ انهم ليسوا أحرارا ··· انهم يصغون الى وسوسة الشيطان ·
ـ أو تريد ان يصغوا الى صوت الله ·
ـ أريد ان يصغوا الى صوت الله ·
ـ لن أدعك تقطع هذه الشجرة ·
ـ لا بد لى من أن اقطعها ·

فامسك ابليس بخناق الناسك ··· وقبض الناسك ع لى قرن الشيطان ··· وتصارعا طويلا ··· الى ان انجلت المعركة عن انتصار الناسك ··· فقد طرح الشيطان على الارض وجلس على صدره وقال له :

ـ هل رأيت قوتى ؟

فقال ابليس المهزوم بصوت مخنوق :

ـ ما كنت أحسبك بهذه القوة ··· دعنى وافعل ما شئت فخلى الناسك سبيل الشيطان ··· وكان الجهد والذى بذله فى المعركة قد نال منه ·فرجع الى صومعته واستراح ليلته ·

فلما كان اليوم التالى حمل فأسه ، وذهب يريد قطع الشجرة واذا بابليس يخرج له من خلفها صائحا :

ـ أعدت اليوم أيضا لقطعها ؟···
ـ قلت لك لا بد لى من أن اقطعها ·
ـ أو تظنك قادرا على ان تغلبنى اليوم أيضا ؟
ـ سأظل اقاتلك حتى أعلى كلمة الحق !···
ـ أرنى اذن قدرتك !···

وأمسك بخناقه ··· فأمسك الناسك بقرنه ··· وتقاتلا وتصارعا ··· الى أن أن أسفرت الموقعة عن سقوط الشيطان تحت قدمى الناسك ··· فجلس على صدره وقال له :

ـ ما قولك الآن فى قوتى ؟
ـ حقا ··· أن قوتك لعجيبة ·· ·دعنى وافعل ما تريد · لفظها الشيطان بصوته المتهدج المخنوق ··· فأطلق الناسك سراحه ··· وذهب الى صومعته ، واستلقى من التعب والاعياء ، حتى مضى الليل وطلع الصبح فحمل الفأس ، وذهب الى الشجرة ، فبرز له ابليس صائحا فيه :

ـ ألم ترجع عن عزمك أيها الرجل ؟
ـ أبدا ··· لا بد من قطع دابر هذه الشجرة ·

تحسب انى اتركك تفعل ؟ !
ـ بل سأنسى ما فى ساعاتك

فكر ابليس خطه ورأى ان النزال والقتال والمصارعه مع هذا الرجل لن تتيح له النصر عليه . فليس أقوى من رجل يقاتل من أجل فكرة وعقيدة ! ما من باب يستطيع ابليس فى ان ينفذ منه الى حصن هذا الرجل غير باب واحد الحيله !...

فتلطف للناسك ، وقال له بلهجة الناصح المشفق :

ـ أتعرف لماذا أعارضك فى قطع هذه الشجرة انى ما أعارض الا حسبه عليك ورحمة بك ... فانك بقطعها ستعرض نفسك لسخط الناس من عبدها ... مالك وهذه المتاعب نجلبها على نفسك اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك ... وتعيش فى أمن وطمأنينة وسلامة !...

ـ دينـــارين !

ـ نعم فى كل يوم ... تجدهما تحت وسادتك . فأطرق الناسك مليا يفكر ، ثم رفع رأسه وقال لابليس : ومن يضمن لى قيامك بالشرط ؟

ـ أعاهدك على ذلك ... وستعرف صدق عهدى .

ـ سـأجـربـــك .

ـ نعم ... جـربنى .

ـ اتفـقـنـــا .

ووضع ابليس يده فى يد الناسك وتعاهدا . وانصرف الناسك الى صومعته وصار يستيقظ كل صباح ، ويمد يده ويدسها تحت وسادته فتخرج بدينارين . حتى انصرم الشهر وفى ذات صباح دس يده تحت الوسادة فخرجت فارغة . فقد قطع ابليس عنه فيض الذهب ، ففضب الناسك ... ونهض فأخذ فأسه ... وذهب الى قطع الشجرة فاعترضه ابليس فى الطريق وصاح فيه :

ـ مكانك !... الى أين ؟

ـ الى الشجرة ، أقطعها .

فقهقه الشيطان ساخرا :

ـ تقطعها لأنى قطعت عنك الثمن !

ـ بل لأزيل الغواية وأضىء مشعل الهداية .

ـ أنت ؟

ـ أتهزأ بى أيها اللعين ؟ !

ـ لاتؤاخذنى ... منظرك يثير الضحك !

ـ أنت الذى تقول هذا ، أيها الكاذب المختال .

وانقض الناسك على ابليس وقبض على قرنيه ... وتصارعا لحظة ، واذا المعركة تنجلى عن سقوط الناسك تحت حافر ابليس ... فقد انتصر وجلس على صدر الناسك مزهوا مختالا يقول له :

ـ أين قوتك الآن أيها الرجل ؟

فخرج من صدر الناسك المقهور صوت كالحشرجة :

ـ أخبرنى كيف تغلبت أيها الشيطان . فقال له ابليس :

ـ لما غضبت لله غلبتنى ، ولما غضبت لنفسك غلبتك ، ولما قاتلت لعقيدتك صرعتنى ولما قاتلت لمنفعتك صرعتك .

توفيق الحكيم

« مدرسة المغفلين »

11 ـ اختلاف الازياء بالجزيرة العربية

ان العرب لمُبْدِعُونَ مدهِشُون في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وهم على ما بينهم من روابط الدِّينِ والجنسِ واللّغة، يختلفون بعضُهم عن بعض ظاهِرًا ومعنًى. فلا يختلطُ اليماني بابنِ عسير، الا هذا بابن الحجاز. يخالطون ولا يختلطُون حتّى إذا جرّدتهم مناسكُ ولحجٍّ مثلاً من الثِّياب. فالإحرامُ لا يُساوي بين ذي القرون ـ الجدايل ـ وذي الشَّعَرِ الطويل السَّبْطِ، وذي الشعرِ الكث الجعدِ الذي يُشْبِهُ شعرَ النِّساءِ الاوروبيّات في هذا الزّمان.

انك لتسافر في أَمريكة مثلا من طرَفِ البلاد الشّرقي إلى طرفها الغَرْبي فلا ترى في اختلاف العادات والتقاليد والأَزياء ما يستوقفُ النّظَرَ أَو يَسْتَحِقّ الذِّكرَ. بل قلّمَا تَرى اختلافا ظاهرًا أَو معنويًّا. أَمّا في بلاد العرب فكلما انتقلت من جهة فيها إلى أخرى تغَّيرتْ الثيابُ والأَزياءُ والعاداتُ وتغيَّرت كذلك المساكنُ. فلو اجتمع الحجازي والتّهامي واليماني واللّحجي والحضرمي والنّجدى والعراقي لكان في اجتماعهم معرضُ أَزياءٍ وثيابٍ مُدهشٍ مُفِيد.

أَمين الرّيحـــاني

(عن كتاب ملوك العــرب)

12 ـ ابن الجيران ياخذ الشهاد

استيقظتُ هذا الصباحَ، على موسيقى تَضِجُّ في أُذنِي، وكأَنَّها ـ للقرب ـ تَنْفَجِر من جوارحي. مُوسيقى وأَيّ موسيقى نُحاسيّة، ولِسوءِ الطّالع، كاملة الآلات والأَصوات تُرْسِلُ في «نَشَازٍ» كالمتعمدِ، خليطا من أَنْغام تَتَرَدَّدُ بَيْنَ قَعْقَعَةِ السِّلاحِ وَزَغْرَدَةِ الأَعْرَاس، خُيِّلَ إِلَيَّ، فِي وَهَلِ النَّومِ، أَنَّهُ ليس سِوى حلم مُرْعِبٍ ينتهي معي الآن، في برزخ الوعي واللاّوعي بمثل ما يختم به أَغلب تلاحين السنفونيا في الغرب، أَو كما تقومُ القيامةُ يومَ يُنْفَخُ في الصُّورِ، وما الخبرُ؟ لقد استيقظ الحي بأَسره وهو يتثاءبُ متسائلا: ما الخبرُ؟ وطفقَ هذا السؤال يتطايرُ حول منازل الجيرانِ، بين طبقةٍ وطبقة ونافذة ونافذة يمينا ويسارا، صُعُودا وانْحِدَارًا، كأَسراب السنُونُو الحائرة لا تفتأُ تبحثُ عن شيءٍ تتوهّمُه، عن شيءٍ لا تجدهُ... ثمَّ تضخَّم السُّؤال وتعاظم، كانَ همهمةً، فصار دمدمةً. وإِذا به أَخيرا ينازع الموسيقى الصاخبةَ سلطانَ الأَثير، وبغتةً تغطّتْ سطوحُ الدّور بنساء ورجال، وازدحم الزّقاق الضّيق ببناتٍ وصبيان،

وهم يتطلّعون جميعا إلى جُنَيْنَةِ أَبي مصطفى، كي يَرَوْا الموسيقى ويسمعوا الخبر !

- اميلي ! اين اميلي ؟

كذلك في بيتنا لم تستطعْ الخادمُ الصَّغيرةُ صبراً، فلمّا آنستْ منَّا غفلةً، انسلت كالشَّعرةِ من الجبينِ، ملبّيةً داعي الحيّ الذي أَخذت تتجاوب فيه هذه المرَّةَ، ويا لَلعجبِ، أَصداءُ العيدِ، دون أَن يرتدي حلَّتَه البهيجةَ الزِّي والأَلوان.

وعادت اميلي وفي عينيها الخامدتين بارقةُ ظفرٍ لم نعهدها فيهما من قبل، لقد جاءتنا بالخبرِ اليقينِ، وهتفت قائلةً : « ابن الجيران أَخذ الشّهادةَ » !

ثمّ ما لبِثت أَن أَعادت هذه الكلمةَ السّحريّةَ « الشّهادة » وقد انطفأَ في عينيها بريقُ الظّفَرِ، ولم يَبقَ فيهما إلاّ الرمادُ من تلك الدّهشةِ الأَصليةِ في نفسها المتسائلة عن ذلك الشّيء الذي لا تعرفه، فليست تفهم كيف يُعَيِّدُونَ من أَجله كهذا العيد.

ما أَدرانا يا أُختي ؟ لعلّ أَبا مصطفى جارنا الأُمّي، أَراد في عصر العلم هذا أَن يثأَر من الأُمِّيَّةِ فلم يجد إلاَّ هذا... ورجعتُ مساء إلى البيت : الموسيقى في جنينة أَبي مصطفى لا تَرِيمُ،

والحيّ كله في عيد لا يحولُ... قيل لي إنَّ العزفَ والفرحَ لم ينقطعا النهارَ بِطُولِه، ما خلا فتراتٍ قصيرةً... لكن ما كدت أَجلس حتَّى سمعت « الجوقةَ » تختم بالنَّشِيد اللّبناني، فيصفّق الحاضرون، كما يحدث في جميع الحفلاتِ التي تحترمُ ذاتَها.

عمر فـاخوري
« أديب في السّوق »

13 ـ العرس في القرية

في يوم مشرق من أيام الربيع خرج شابان من بيت سعيد ، وقد لبس كل منهما سروالا حريرا أبيض تحت سترة كحيلة من الجوخ ووضع وراء أذنه خصلة من الحبق العطرى ، وفتل شاربيه فتلا محكما تاركا لهما عقفتين تلامسان طرف الأنف والقى على كتفيه كوفية حريرية كلما مشى تحركت أطرافها المحبوكة الضاربة برفق أعلى السروال وتمنطق بزنار أحمر عريض شك في وسطه تحت السترة خنجرا طويلا بشكل يخفيه ويظهره في آن واحد ، ولبس حذاء أصفر لماعا خصيصا لمثل هذه المناسبة وراحا يطوفان ببيوت القرية يدعوان الى عرس سعيد وهما كلما بلغا منزلا صفق أحدهما بكفيه وتنحنح ونادى : « وين رحتو ! » فيطل عليهما من في البيت من الرجال . واذا كان الرجال غائبين أطلت امرأة متلثمة من فتحة الباب . فيردد الشابان معا العبارة المأثورة التي لا تتغير : « كل ايامكم فرح ، الليلة عرس سعيد عامر على ابنة عمه خيزران . » ويظلان في طوافهما حتى يأتيا على بيوت القرية جميعا ، لا ينسيان واحدا منها ، الا أن يكون أهل العريس قد أبلغوهما وجوب مقاطعة أحد البيوت لأن صاحبه خصم سياسي أو لأنه لم يدع أهل العريس الى عرس ابنه يوم زوجه منذ عشرين سنة ، أو لم يرسل اليهم نعي من ماتوا من أهله .

وعندما اجتمعت القرية في دار العريس عقد الشبان حلقة حول ثلاثة أجران حجرية مختلفة الحجم والثقل وضعت في باحة الدار . فاما الأول فهو أخفها وأسهلها حملا ، يرفعه أضعف الشبان فوق رأسه ، وأما الثاني فأثقل من الأول ، يجرب فريق من الشبان رفعه ، فينجح بعضهم ويخفق الكثيرون . وأما الثالث فجرن ثقيل لا يجسر على التعرض له من شباب القرية الا اثنان : العريس ومعروف بركات . ولما انتظمت حلقة الشبان بدأوا يتبارزون في رفع هذه الأثقال ، فلعبوا بالجرنين الخفيفين لعبا حتى اذا انتهوا الى الثالث وقفوا مترددين ، ثم افسحوا المجال لمعروف بركات ، فتقدم بخطوات هادئة متزنة وعلى ثغره ابتسامة الزهو والفخر وخلع سترته ورمى بها الى شقيقه الصغير ، لكنه عاد عن عزمه وقال : « والله لا أتقدم العريس والله يا سعيد ، اليوم يومك . » فضحك الفتيان فرحين وصفقوا مرحبين بشيخ شباب القرية وسعيد لا يدنو من الجرن بل يدعو بدوره معروفا الى « القيمة » مفيضا عليه عبارات الاطراء : « انت له يامعروف ، انت شيخنا جميعا . فكيف أتقدم عليك . » ولم ير معروف بدا من الاقدام مخافة أن يرمى بالخوف ، فاقبل على الجرن قائلا : « يا عون الله ! » ثم نتفه بيمناه نتفة قوية ورفعه فوق رأسه ويده ترجف قوية جبّارة ، وقد برزت عضلات ساعده مفتولة جميلة . وظل الجرن هنيهة يرتعش فوق رأسه والشبان يصفقون حتى اذا القاه حفر في الأرض حفرة أثارت الغبار من حوله فمسح معروف العرق المتصبب من جبينه . وكان أول من هنأه

العريس اذ تقدم منه وقبله على شاربه فقبله معروف فى كتفه وأشار الى الجرن بقوله : « هو فى انتظارك يا سعيد ».

وكان سعيد لشهور خلت ، قبل أن يهجر البرية والعرزال ، يلهو بهذا الجرن لهوا ، وكاد لا يحس عناء فى رفعه مرة ومرتين وثلاثا ، حتى أنه وضع للشباب معجزة حين زفعه مرة بيسراه • فتقدم سعيد من الجرن وأعاده الى وضع صالح ، ثم بصق فى يده اليمنى وفركها باليسرى ، وأثبت يمناه على قبضة الجرن ، وهو عود متين أنزل فى فتحته • وكانت عيون الشبان تتبعه وهم صامتون ينظرون الى البطل، وقد تحداه فى الخفاء خصم عنيد • وما هى الا لحظة حتى أخذت يد سعيد الجرن بقوة وعنف ، ولكنه لم يبلغ به أعلى زناره ، حتى وقفت اليد المرتجفة وقد خانتها العضلات، وعبثا حاول الفتى رفعه فوق رأسه ، فان قوته تمردت عليه ، وكان الجرن تأمر مع معروف على اهانته فى يوم عرسه ، فعادت يد سعيد به الى الأرض ، وتحفز الشاب هنيهة ، وانحنى عليه ثانية وقد لمعت فى عينيه شرارات العزيمة والحقد ، واحمرت جبهته ، ورفع الجرن رفعة أراها جبارة حاسمة ، فكانت فاشلة كالمحاولة الأولى • فأرخى الجرن من يده وقد ثارت نفسه ثورة عنيفة ، وود لو تبتلعه الأرض فى تلك اللحظة وتريحه من نظرات الفتيان المحدقين به •

لم يصدم سعيد فى حياته مثل هذه الصدمة فى يوم عرسه ، فقد تهدمت زعامته على شباب القرية ، هذه الزعامة التى بناها على مئات المعارك فى ميادين الفتوة والبطولة ، والتى شهدتها البرية كما شهدتها القرية ، وردد أخبارها الفتيان من أقاصى الشوفين ، الى مصب البارود ، وآخرها صراعه مع الافعى ، فأحس احساسا غامضا أن تبعة هذه الصدمة تقع على رأس خيزران وحدها ، فهى التى أرادته على حياة القرية الذليلة ، وهى التى انتزعته انتزاعا من دنياه القوية الجبارة • وكان تلك اللحظة الرهيبة التى وقف فيها سعيد بين ماضيه المجيد وحاضره المذل ، وانتهت بانخفاقه المخيف بين هزء معروف وسخرية الفتيان الصامتة ، أثارت فى نفسه عواطف مكبوحة ، فهو قد هجر البرية مكرها ومرت عليه شهور وخيالها لا يبرح خاطره وها هو ينحط فى نظر أترابه لأنه خفر عهد الارض • ترى أيخبىء له الغد مفاجات أكثر حزا فى نفسه ، وهل قضى عليه أن يصبح مضغة فى أفواه الناس بعد ان كان ذكر اسمه يثير الاعجاب فى نفوس الشبان ، وفى نفس معروف قبلهم جميعا ؟...

... مضت سنة على زواج سعيد ، ونفسه عرضة لعذاب خفى ، ظلت خيزران فى عزلة عنه • وانقضى الشتاء فعادت الحياة الى الارض ، ولبست الهضاب من زهر الخزام رداء أزرق فواحا • وأقبل الربيع فى موكب من الازهار كان يدا سحرية جاءت به بين ليلة وضحاها ، ورق الهواء ، وأصبحت الشمس ترسل أشعتها المنعشة من الصباح الى المساء لا تحجبها غيمة• فخرج القرويون الى الحقول يسوقون مواشيهم ويتركونها ترعى « الربيع » ، وكان سعيد فى جملة الخارجين •

هل كان سعيد يقصد الى مكان معين من البرية حين ترك المنزل فى الصباح ؟ لو سألت سعيدا نفسه لما استطاع الجواب ، ولكنه خرج فقادته رجلاه الى السنديانة التى كان يقوم فيها عرزاله ، فوقف مبهوتا حائرا أمام « اطلال » العرازل · ما أقوى هذا الشتاء الذى مر عليه !

لقد عبث الشتاء بجدران العرزال ، وكسرت الريح أحد أغصان السنديانة ، وهو الغصن الذى كان يخشى عليه سعيد عوادى الزمان ، لقد بدا هذا العرزال كهيكل عظمى بعد أن جردته العواصف من أوراقه ، ولكن الفتى لم يتردد ولم يتوازن بل أخذ من وسطه فاسه وراح يقطع ويبنى ، حتى اذا مالت الشمس الى المغيب ، كان كل شىء فى مكانه ، الا الفراش ، ولكن ما لسعيد وللفراش ، فالألواح الخشبية لا تزال على حالها ، وقد امتصت شمس آذار الرطوبة التى كانت عالقة بها ، وهذه الألواح تفضل فى نظره أى فراش حشى بالقطن أو بالصوف ·

وها هو الليل ! ليل هادىء عميق ، لا يسمع فيه من حين الى حين الا عواء بنات آوى ، هدير سيارة مسرعة على طريق الدير ، وقد جثم سعيد على باب عرزاله ينظر الى الليل وهو يلف الكائنات لفا ·

وكأن الليل فى ذلك المساء يقوم بعمله متماهلا ، فها هو يطوى سفوح الجبال فى ردائه الأزرق ، ثم يبلغ الهضاب فيمتصها امتصاصا ، ولا يبقى فى نظر سعيد من الجبال الا أرزة عالية ، ضخمة ، فى جبل الباروك توكأت على السماء بأغصانها السوداء · ثم هاهى القرى والمزارع المنتشرة هنا وهناك تغرق ، بدورها ، فى العتمة ويظل الليل يتسلق الجبال حتى يصل الى القمة فيتنفس ثم تصفع وجه سعيد هبة باردة ، من نسيم الجبل فينتبه ويرى نفسه جالسا على باب العرزال والظلمة محدقة به ، فيقوم دون أن يفكر ، ويدخل العرزال كأنه مسير بقوة خفية ، ويحس لاول مرة ، منذ شهور ، انه يأوى الى بيته ·

خليل تقى الدين

«عشر قصص »

1 - هذه هي المدرسة الشعبية

النّظام، الدّيموقراطية، الوطنيّة، صفاتٌ رأيتها مطبوعةً لا في لوحة داخلَ إطار تزين الجدار... بل في أعمال طبيب سويسري للأسنان، دخلت عيادته، وهو رجل مشهور في مِهْنَتِهِ... مرتفعُ الأَجرِ كثير الزُّوار، لا يظفر طالبه بموعد قبل أسبوع أو عشرة أيام... فما وجدت في بهوه غير مُمَرِّضَةٍ... وما أبصرتُ في قاعة انتظاره أحدا ينتظر... أين زبائن هذا الطبيب ؟. إنّهم يَأتون في مواعيد محدودة ، ومن تخلّفَ أُلْغِيَ ميعادُه، فَمَنْ يأتِ يجِدْ سلفهُ في حجرةِ العلاج ينتظرُ حتّى يخرُجَ فَيَحُلَّ مَحَلَّهُ.. وهكذا دواليكَ... قَلَّما جَمَعَتْ قاعةُ الانتظار زَائِرَينِ ... هذا هو النِّظام... وإنَّ من بين زبائن الطَّبيب وزراء وسفراء وأصحاب ملايين فما استطاع واحد منهم أن يمتاز بلحظة أو لفتة أو إشارة أو تحيّة على الآخرين... هذه هي الدّيموقراطية... وأدهشني ما رأيت في قاعة الانتظار من صحف مصورة ومجلات ملوَّنة كلُّها دعايه للسّياحة في سويسرا « وطنه » ،تظهر روعةَ مشاتيها في الجبال والسّهول المغطّاة بالجليد، ومحاسن مصايفها في

المروج والأعالي المكسوةّ بالسّندس الأخضر... هذه هي الوطنية...

حادثت الرّجل فيما لاحظتُ عليه من هذه الصِّفاتِ الثّلاث.. فقال بعد تـأمّل... وكأنّهُ لم يفطن إلى ما عنده من مزايا :

ـ أعتقد أنّ هذا راجع إلى ما تلقّيْنَاهُ من تربية في منشـإِ حياتنا، وأعمقُ هذه التّربية أثرا في نفس شعبنا : الخدمة العسكرية الإجباريّة .ففي سويسرا يُفرضُ على كلِّ مواطن مهما يكن علمه أو أُسرته أو ثروته، أن يؤدِّيَ الخدمة العسكريّة الإجباريةَ... وهي أحيانًا قد لا تتجاوز ثلاثة أشهر للفرد الواحد، ولكن تصوّر الفائدة التي يجنيها كل فرد من الأُمّةِ بعـد هـذه الشّهور الثّلاثة... إنّه سيتعلّم النّظام والخضوع للقوانين والطّاعة للصّالح العامّ.. وسيعرف الدّيموقراطية الصّحيحة. لأنّ ابن الوزير يزامل ابن الحقير،... وابن الطبقات الموسرة يؤاكل ابـن الطّبقات الفقيرة... وسيؤمن بالوطنية لأنّ المدافعَ عن الوطن ليس فئةً من الشّعْبِ ولا طائفة من الأُمّةِ... ولكن الجميع تُوضعُ على أكتافهم البندقية بلا استثناء.

توفيق الحكيم

2 ـ انشاء الدواوين عند العرب

كان عُمَرُ أَوَّلَ من دَوَّنَ الدَّوَاوِين من العرب في الإسلام، وكان السَّبب في ذلك أَنّ أَبا هريرةَ قدم عليه من البحرين ومعه مالٌ فلقي عُمَرَ، فقال لهُ عُمَرُ : « ماذا جِئْتَ به ؟ قال خمسمائة أَلف درهم. فقال عمر : أَتدري ما تقول ؟ قال : نعم مائة أَلف درهم ومائة أَلف درهم، ومائة أَلف درهم، ومائة أَلف درهم ومائة أَلف درهم. فقال عمر : أَطيب هو ؟ قال :« لا أَدري ». فصعد عمر المنبر فحمد الله وأَثنى عليه ثمّ قال : « أَيّها النّاس ! قد جاءنا مال كثير، فإنْ شئتم كلناه كيلا، وإن شئتم أَن نعدَّ عدًّا ». فقام إليه رجل فقال : « يا أَمير المؤمنين لقد رأَيت هؤلاء الأَعاجم يدوّنون ديوانا لهم. قال دوِّنوا الدَّواوين. » وكان بالمدينة بعضُ مرازبة الفرس، فلمّا رأَى حيرة عمر قال له : يا أَمير المؤمنين ! إنّ للأَكاسرة شيئا يسمونه ديوانا، جميع دخلهم وخرجهم مضبوطٌ فيه لا يشذّ منه شيء. وأَهل العطاء مرتَّبون فيه مراتب لا يتطرَّقُ عليها خَلَلٌ، فتنبَّه عمر وقال : صِفْهُ لي، فوصفه المرزبان،

فدوّن الدَّواوين وفرض العطاء. وقد قيل إن عمرَ استشار المسلمين في تدوين الديّوانِ فقال علي بن أَبي طالب : « تقسمُ كلَّ سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تَمْسِكْ منهُ شيئًا » وقال عثمان ابن عفّان : « أَرى ما لا كثيرا يسع النَّاس، وإن لم يحصوا حتَّى يعرفَ من أخذ ممن لم يأخذ خَشْيَةَ أَنْ يَنْتَشِرَ الأَمرُ » فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : « قد جئت الشّام فرأَيت ملوكها قد دوَّنوا ديوانا وجنّدوا جندًا، فدوِّنَ ديوانا وجنِّد جندا » فأَخذ بقوله، فدعا عُقيل بن أَبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من نسابِ قريش فقال لهم : « اكتبوا النّاس على منازلهم » فبدؤوا ببني هاشم، ثمّ أَتبعوهم أَبا بكر وقومه، ثم عُمَرَ وقومَه على الخلافة فلمّا نظر إليه عمر قال : « وددت والله انه هكذا، ولكن ابدؤوا بقرابة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الأَقرب فالأَقرب، حتَّى تَضَعُوا عُمَرَ حيث وَضَعَهُ الله » .

حسن ابراهيم حسن

(عن تاريخ الاسلام) .

1 ـ متى استعبدتم الناس

قال أَنسٌ : بَيْنَمَا أَميرُ المؤمنين عُمَرُ بنُ الخطَّابِ قاعدٌ إذْ جَاءَهُ رَجُلٌ من أَهْلِ مِصْرَ فقَالَ : يَا أَمير المؤمنين هذَا مَقَامُ العَائذ بِك. فقال عمرُ :لقد عُذْتَ بِمُجِيب. فما شأنُكَ ؟ قال :سابقتُ عَلَى فَرَسِي ابْنًا لعَمْرِو بنِ العَاصِ ـ وهو يَوْمَئِذ أَمِيرٌ على مِصْرَ ـ فجعل يُقَنِّعُنِي بِسَوْطِه ويَقُولُ : أَنَا ٱبنُ الأَكرمينَ ! فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرًا أَباهُ فخشِيَ أَن آتيكَ، فَحَبَسَنِي فِي السِّجْنِ،فانفلتُّ منهُ وَأَتيتُكَ.

فكتب عمرُ بن الخطّاب إلى عمرِو بن العاصِ : إذا أَتاك كِتابِي هذا ٱشْهدِ الموسِمَ أَنت وولدك فلانٌ، وقال للمصريِّ : أَقِمْ حتَّىياتيكَ. فقدم عمرٌو فشهدَ الحجَّ. فلمّا قَضَى عُمَرُ الحَجَّ وهو قاعدٌ مع النَّاس وعَمْرٌو بنُ العاصِ وابنه إلى جانبه، قَام المصريُّ، فَرَمَى إليه عُمَرُ بالدِّرَّةِ .

قال أَنسٌ : ولقد ضربه ونحنُ نشتهي أَن يضربهُ، فلَم ينزع

حتَّى أَحببنا أَن ينزع من كثر ما ضربه، وعمَر يقول : أَضرِبُ ٱبنَ الأَكرمينَ ! ثمَّ قال المصرىّ : قد استوفيتُ واشْتَفَيْتُ، قال عُمَرُ : ضَعْهَا على صَلْعة عمْرو. فقال يا أَمير المؤمنين قد ضربت الذي ضربني. فقال عُمر : أَمَا والله لو فَعَلْتَ لَمَا مَنَعَكَ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الذي تَنْزِعُ. ثُمَّ قَالَ : يَا عَمْرو، متَى اسْتَعْبَدتُّمْ النَّاسَ وقد ولدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا.

(قصص العرب)

2 ـ قاض يستقيل

نُقِلَ أَنَّ عَاقِبَةَ بنَ يَزِيدَ القَاضِيَ كانَ يَلِي القَضَاءَ بِبَغْدَادَ للمَهْدِيِّ، فَجَاءَ فِي بَعْضِ الأَيَّام وَقْتَ الظُّهْرِ للمَهْدِيِّ وَهْوَ خَال، فاستَأْذَنَ عليه. فلمَّا دخَلَ استأْذنَهُ فِيمَنْ يُسَلِّمُ إليه القِمَطْرَ الذي فيه قَضَايَا مجلس الحكم. واستعفَاهُ من القضاء، وطلب منه أَن يقيلهُ مِنْ ولايتِهِ. فظَنَّ المهديُّ أَن بعضَ الولاَّة قد عارضَه في حكمه ؟ فقال له. « إن كان عارضك أحدٌ نُنكرْ عليه. » فقال القاضي لم يكن شيء من ذلك. قال : « فما سببُ استعْفَائك من القضاء ؟ » قال : « يا أمير المؤمنين. تَقَدَّمَ لي خَصْمَان مُنْذُ شَهْرٍ فِي قَضِيَّة مشكلَة، وكُلٌّ يَدَّعِي بَيِّنَةً وشُهُودًا ويُدْلِي بِحُجَج تَحْتَاجُ إلى تَأَمُّلٍ وتَلَبُّث، فَرَدَدتُ الخُصُومَ رَجَاءَ أَنْ يَصْطَلِحُوا وأَنْ يَظْهَرَ الفَصْلُ بَيْنَهُمَا فَسَمِعَ أَحَدُهُمَا أَنِّي أُحِبُّ الرُّطَبَ، فَعَمَدَ ـ فِي وَقْتِنَا هَذَ وَهْوَ أَوَّلُ أَوْقَاتِ الرُّطَبِ ـ فَجَمَعَ رُطَبًا لا يَتَهَيَّأُ الآنَ جَمْعُ مثله لأَمير المؤمنينَ. وما رَأَيْتُ أَحسنَ منْهُ، ورَشَا بَوَّابِي وَأَمَرْتُ بِرَدِّ الطَّبَقِ فَرُدَّ عَلَيْهِ. فَلمَّا كَانَ الْيَوْمُ تَقَدَّمَ الخَصْمَانِ إِلَيَّ، فَمَا تَسَاوَيَا فِي عَيْنَيَّ وَلاَ قَلْبِي، فهَذَا يَا أَمِيرَ المؤمنينَ. ولمْ أَقبلْ، فكَيْفَ يَكُونُ حَالِي لَوْ قَبِلْتُ. ولا آمَنُ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ حِيلةٌ فِي دِينِي، وَقَدْ فَسَدَ النَّاسُ. فَأَقِلْنِي، يَاأَمِيرَ أَقالك الله، وأعفِنِي عفا الله عنكَ. »

عن قصص العرب

3 ـ في فناء المحكمة

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام . ولَمَّا حَلَّ يَوْمُ الجلسة رافقت الباشا إلى المحكمة فوجدنا في ساحتها أقواما ذوي وجوهٍ مُكْفَهِرَّة . وأَلوان مصفرَّة، وأَنفاس مقطوعة، وأَكفٌّ مرفوعة . وشاهدنا باطلاً يُذكرُ وحقًّا ينكرُ وشاكيًا يتوعَّدُ وجانيا يَتَوَدَّدُ . وشاهدًا يَتَرَدَّدُ وجُنْدِيًّا يَتَهَدَّدُ، وحاجبا يستبدُّ ومحاميًا يستعدُّ . وأُمًّا تنوح وطفلا يصيح وفتاة تتلهَّفُ وشيخا يتأَفَّفُ وسمعنا أَلفاظا متناقضة، وأَقوالا متعارضة ورأينا المحامين عن الخصمينِ يَشْحَذُ كُلٌّ مِنْهُمَا لسانَهُ ويَقْدَحُ جَنَانَهُ استعدادًا للنِّزال في ميادين القتال، وتَأَهُّبًا للدِّفَاعِ في مواقِفِ النِّزَاعِ ليخْرُجَ كلاهُمَا بغَنيمة البراءَ في الحكم ورفع التُّهمةِ والجرمِ . فانْزويت بصاحبي ومُحَامِينا بجَانِبِي يَذْكُرُ لَنَا أُصُولاً مَرْعِيَّةً وَمَسَائِلَ فَرْعِيَّةً وظروفًا وأَحوالا وشروحًا وأَقْوَالا وموادَّ وفقرَات،في الجُنَح والمخالفات، ثمَّ يَتَصَفَّحُ مَحَاضِرَهُ وَيُقَلِّبُ دَفَاتِرَهُ وَيُقْسِمُ لنَا بوَكِيد الأَيْمَانِ أَنَّ البَاشَا منْ تُهْمَتِهِ فِي أَمَانٍ، وأَنَا أُجِيبُ صَاحِبِي عَنْ كُلِّ سُؤَال بمَا تَقْتَضِيهِ الحَالُ ولما سَأَلَنِي عَنْ هَذِهِ الملحمة قلتُ له هي المحكمة .

الويلحي

« حديث عيسى بن هشام »

4 ـ جنان ولسان

قالَ أَحْمَدُ بنُ أَبِي داوُدَ. ما رأينا رجلا نَزَلَ بِهِ الموْتُ فمَا شغله ذلك ولا أَذهله عما كان يُحِبُّ أَن يفعل إلاَّ تَمِيمَ بنَ جميل فإنَّهُ كان تُغُلِّبَ على شاطِيءِ الفرات وأَوفى به الرّسولُ بَابَ أَمير المؤمنينَ المعتصمَ في يومِ الموكبِ حين يجلس للعامّة ودخل عليه فلمّا مَثُلَ بينَ يَديهِ دَعَا بالنَّطع والسَّيْفِ فأُحْضِرَا فجَعَلَ تَمِيمٌ بنُ جَمِيل ينظرُ إليهما ولا يقول شيئا وجعل المعتصِمُ يُصَعِّدُ فيهِ النَّظَرَ وَيُصَوِّبُهُ وكانَ جَسِيمًا وَسِيمًا ورأى أَن يستنطقَهُ لِيَنْظُر أَين جنانُهُ ولسَانُهُ من منظرِهِ فقالَ : يَا تَمِيمُ إن كانَ لك عذرٌ فأتِ به أَو حجَّةٌ فأدْلِ بها فقال : أَمَّا إذ أَذِنَ لي أَميرُ المؤمنينَ فإنِّي أَقُولُ :

الحمدلله الذي أَحسن كل شيء خَلَقَهُ. يا أَميرَ المؤمنينَ إنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الأَلْسنةَ وتُصْدِعُ الأَفئدَةَ ولَقَدْ عَظُمَتِ الجَرِيرَةُ وَكبُرَ الذَّنْبُ وساءَ الظَّنُّ ولم يبقَ إلاَّ عَفْوكَ أَو انْتِقَامُكَ وأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَقْرَبُهُمَا مِنْكَ وأَسْرَعُهُمَا إِلَيْكَ أَوْلاَهُمَا بِامتِنَانِكَ، وأَشْبَهُهُمَا بِخَلاَئِقِكَ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُول :

أَرى المـوت بين السّيف والنّطع كَامِنًا
يُـلاَحِظُنِي مِـن حيثُمـا أَتَـلَفَّـت

وأكبر ظَنِّي أَنَّكَ اليَوْمَ قَاتِلِي
وأَيُّ امرىءٍ ممَّا قضى الله يُفْلِتُ؟

ومن ذا الذي يُدْلي بعُذْرٍ وحجَّة
وَسَيْفُ المَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ ؟

يَعِزُّ عَلَى الأَوْسِ بنِ تَغْلَبَ مَوقِفٌ
يَسُلُّ عَلَيَّ السَّيْفَ فيه وأَسْكُتُ

وما جَزَعِي منْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنَّنِي
لأَعْلَمُ أَنَّ الموْتَ شَيْءٌ مُؤَقَّتُ

ولَكِنَّ خَلفِي صِبْيَةً قَدْ تَرَكْتُهُم
وأَكبادُهُم من حسرة تَتَفَتَّت

كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْعَى إليهِمُ
وقد خَمَشُوا تلك الوُجُوهَ وَصَوَّتُوا

فإنْ عِشْتُ عَاشُوا حافِضينَ بِغِبْطَةٍ
أَذُودُ الرَّدَى عنهُم وإنْ مِتُّ مُوِّتُوا

فكم قائل لا يبعد الله روحه
وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فتبسم المعتصم وقال : كادَ وَاللهِ يا تميمُ أن يسبِقَ السَّيْفُ العَذَلَ اذهبْ فقد غَفَرْتُ لك الصَّبْوَة وَتَرَكْتُكَ لِلصِّبْيَةِ .

ابن عبدربه

5 ـ الامام العادل

« من رسالة للحسن البصري متوجها بها الى عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة »

أعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الله جَعَلَ الإمَامَ العَادِلَ قَوَامَ كُلِّ مَائِلٍ، وقصد كل حائر، وصَلاحَ كلِّ فاسِد، وقُوَّةَ كُلِّ ضَعِيف ونَصَفَةَ كُلِّ مُظْلُوم، ومفْزَعَ كُلِّ مَلْهُوفٍ.

والإمام العَدْلُ، يا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، كالرَّاعِي الشَّفِيقِ على إبِلِهِ، الرَّفِيقِ، الذي يَرْتَاد لها أَطْيَبَ المرْعَى، وَيَذُودُهَا عَنْ مَرَاتِعِ المهْلَكَةِ، يَحْمِيهَا منَ السِّبَاعِ، وَيَكْنُفُهَا مِنْ أَذَى الحَرِّ وَالقَرِّ.

والإمَامُ العَدْلُ يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ، كَالأَب الحانِي على ولده: يَسْعَى لَهُمْ صغَارًا وَيُعَلِّمُهُمْ كِبَارًا، يَكسِبُ لهُم فِي حياته، ويدَّخِرُ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ.

والإمام العدل يا أَمِير المؤمنين، كالأُمِّ الشَّفِيقةِ البَرَّةِ الرَّفِيقَةِ بوَلَدِهَا، حَمَلَتْهُ كَرْهًا، وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا، وَرَبَّتْهُ طِفْلاً، تسهرُ بِسَهَرِهِ، وتسكنُ بِسُكُونِهِ، تُرْضِعُهُ تَارَةً، وَتَفْطِمُهُ أُخرى، وتَفْرَحُ بعافِيَتِه، وَتَغْتَمُّ بِشِكَايَتِه.

والإمام العدل، يا أمير المؤمنين، وصيُّ اليتامى، وخازنُ المساكينِ، يُربِّي صَغيرَهُمْ، ويَمُونُ كَبيرَهُمْ.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين، كالقلب بين الجوانح، تَصْلُحُ الجوانحُ بصلاحه وتَفْسُدُ بِفسادِهِ.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين، هو القائمُ بين الله وبين عباده، يسمع كلام اللهِ ويسمعهم، وينظُرُ إلى الله ويُريهم، وينقادُ إلى الله ويقودهم، فلا تَكنْ، يا أمير المؤمنين، فيما ملَّكَك الله كعبدٍ ائْتَمَنَهُ سَيِّدُهُ، واسْتَحْفَظَهُ مَالَهُ وَعِيَالَهُ، فَبَدَّدَ المال، وَشَرَّدَ العيال، فأفقر أَهلهُ، وَفَرَّقَ مَاله.

الحسن البصري

6 ـ انا بالله ثم بالقاضي

أَتَتْ امْرَأَةٌ يَوْمًا شَرِيكَ بن عَبْدِ الله قاضِيَ الكوفةِ وهو في مجْلِسِ الحكم فقالت : أَنا بالله ثمّ بالقاضي ! قال : من ظلمكِ ؟ قالَتْ الأَميرُ موسى بنُ عيسى عَمُّ أَمير المؤمنين : كان لي بستانٌ على شاطيء الفرات فيه نخلٌ وَرِثْتُهُ عَنْ أَبِي وَقَاسَمْتُ إِخْوَتِي وبَنَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ حَائِطًا وَجَعَلْتُ فِيهِ رَجُلاً فارِسِيًّا يَحْفَظُ النَّخْلَ وَيَقُومُ بِهِ فَاشْتَرَى الأَمِيرُ مُوسى بنُ عِيسَى من جَمِيعِ إِخْوَتِي وسَاوَمَنِي وَرَغَّبَنِي فَلَمْ أَبِعْهُ . فلمّا كانت هذه اللَّيلة بَعَثَ بِخَمْسمائة غُلام ، فاقْتَلَعُوا الحائطَ فَأَصْبَحْتُ لا أَعْرِفُ منْ نخْلِي شَيْئًا واخْتَلَطَ بِنَخْلِ إِخْوَتِي .

فكتب له شريكٌ بالحضورِ وقال : يا غُلامُ ، خُذْ هَذا وامْضِ إلى بابِهِ حَتَّى يَحْضُرَ مَعَكَ . فَذَهَبَ الغلامُ إلى موسى ودخلَ عَلَيْهِ وقال : يَدْعُوكَ القَاضِي وَهَذَا خَتْمُهُ .

فخرج معه إلى مجلس الحكم ، وجلس في مجلس القضاء، وجاءَت المرأَةُ المتظلِّمَةُ فقالَ شَرِيكٌ : هَذَا خصمك قد حضَر، ثمَّ

التفتَ إلى موسى وقال : ما تقولُ فيما تدَّعيه هذه المرأَة ؟ قال : صَدَقَتْ ! قالَ : تَرُدُّ مَا أَخَذْتَ مِنْهَا وَتَبْنِي حَائِطًا سَرِيعًا كمَا كان. قال : أَفعَلُ ذلك، قال لها : أَبَقِي لك عليه دعوى ؟ قالتْ : لا وَبَارَكَ اللهُ عَليك وجـازاك خيرا . وقـامت من مجلسه شاكرة فلمّا فرغ شريكٌ قامَ وأَخذ بيد موسى وأَجْلسهُ فى مجلسه وقالَ : السّلامُ عليك أَيُّهَا الأَمِيرُ، أَتأمُرُ بشيءٍ ؟ فقال : بأَيِّ شيءٍ آمُرُ؟ وضحك فقالَ لَهُ شَرِيك : أَيُّهَا الأَمِيرُ، ذاك الفعْلُ حَقُّ الشَّرعِ وهذا القولُ الآن حقُّ الأَدبِ !

العقد الفريد

عدل عمر

حدث عبد الله بن العباس عن أبيه قال :

تنكر عمر بن الخطاب ليلة فسار وأنا وراءه ، وجعل يجول بين خيام الأعراب ويتأملها الى أن أتينا على جميعها ، فنظرنا واذا هناك خيمة وفيها امرأة عجوز حولها صبية يعولون عليها ويبكون ، وأمامها أثافي ، عليها قدر تحتها النار تشتعل ، وهي تقول للصبية « رويدا رويدا بني قليلا وينضج الطعام فتأكلون » . جعل عمر يتأمل العجوز تارة وينظر الى الأولاد أخرى . فطال الوقوف ، فقلت له : « يا أمير المؤمنين، ما الذي يوقفك ؟ سر بنا » فقال : « والله لا أبرح حتى أراها قد صبت للصبية فأكلوا واكتفوا » فوقفنا وطال الوقوف جدا والصبية لا يزالون يصرخون ويبكون والعجوز تقول لهم مقالتها . فقال لي عمر : « ادخل بنا عندها لنسألها » . فدخل وقال لها : « السلام عليك ياخالة . ما بال هؤلاء الصبية يتصارخون ويبكون ؟ » فقالت له : « لما هم فيه من الجوع . » فقال لها : « ولم لم تعطيهم مما في القدر ؟ » فقالت له : « وماذا في القدر لاطعمهم ! ليس هو الا علالة فقط الى أن يضجروا من العويل فيغلبهم النوم . » فتقدم عمر الى القدر ونظرها ، فاذا فيها حصباء وعليها الماء يغلي فتعجب من ذلك وقال لها : « ما المراد بذلك ؟ » فقالت : « أوهمهم أن فيها شيئا يطبخ فيؤكل » . فقال لها عمر : « لم تعرضي أمرك على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فيجعل لك شيئا من بيت المال ؟ » فقالت : « لا حيا الله عمر ، ونكس أعلامه ، فانه قد ظلمني » فلما سمع عمر مقالتها ارتاع من ذلك وقال لها : « يا خالة بماذا ظلمك ؟ » قالت له : « نعم والله ظلمنا ! ان الراعي الحر يجب عليه أن يفتش عن احتياجات رعيته » . قال لها عمر : « صدقت يا خالة ، ولكن على الصبية والساعة آتيك » . ثم خرج وخرجت معه ، وكان قد بقي من الليل ثلثه الأخير . فمشينا ، الى ان انتهينا الى بيت الذخيرة . فنظر يمينا وشمالا ، وعمد الى كيس من الدقيق يحتوي على مائة رطل وينيف . فقال لي « يا عباس حمله على كتفي ، واحمل أنت هاتيك جرة السمن » . ثم سار وأسرع الى أن وصلنا خيمة العجوز . فعند ذلك وضع كيس الدقيق عن كتفيه ، ووضعت جرة السمن أمامه . فتقدم هو بذاته وأخذ القدر ، ووضع فيها السمن وجعل بجانبه الدقيق . ثم نظر فاذا النار قد كادت تطفأ، فقام وجاء بقليل من الحطب ، وكان أخضر ، فوضع منه في النار ، ووضع القدر على الأثافي ، وجعل ينكس رأسه الى الارض ، وينفخ بفمه تحت القدر الى أن طاب الطعام فطلب من العجوز اناء ، وجعل يصب الطبيخ ، وينفخه بفمه ليبرده ، ويلقم الصغار ولم يزل يفعل هكذا معهم واحدا بعد واحد ، حتى شبعوا وقاموا يلعبون ويضحكون، الى أن غلب عليهم النوم فناموا . فالتفت عمر عند ذلك الى العجوز وقال لها : « يا خالة أنا من قرابة أمير المؤمنين وساذكر له حالك . فاتيني غدا صباحا في دار الامارة وارجي خيرا .

ولما كان الصباح اتت العجوز ، فاستغفرها وجعل لها ولصبيتها راتبا من بيت المال تستوفيه شهرا فشهرا .

« اللاتليسي »

8 ـ المتشـــرد

... تقدم الى فى جلسة اليـوم متهم ، كانت تهمته أن رجـال البوليس فى المدينة وجدوه ينـام ليلا فى مصلى على حـافة الترعة ، فايقظوه اذ رأواه ـ على حـد تعبيرهم ـ من « الأغراب » وسألوه : من اين أقبل والى أين يريد أن يمضى · فقال : انه من بلدة الزقازيق ، وانه ضاقت بـه سبل العيش هناك ، فخرج يضرب ، فى الارض ، يسعى فى مناكبها ، لعله يوفق الى عمل يعيش منه ، وانه دخل المدينة مع الليل ، فلم يجد ما يأوى اليه ، فاعتزم أن يقضى ليلته فى بيت الله حتى اذا طلـع النهار عاود سعيه فى طلب الرزق ·

وقد لا يعلم القارىء أن تعليمات الشرطة تقضى بوجوب التحرى عن أمثال هذا الغريب لعله مجرم هارب فر من جريمة ارتكبها أو مجرم مقبل على جـريمة اعتزم ارتكابها · ولذلك فان رجال البوليس استاقوا هذا الرجـل الى المخفر حيث أودع السجن ريثما تنتهى عملية التحرى · وأخذت بصمات يديه وأرسلت الى قلم تحقيق الشخصية · وجاء الرد بالبرق أن صاحب هذه البصمات سبق أن أنذرته الشرطة بوصف كونه متشردا ليست له صناعة أو وسيلة مشروعة للتعيش · ولما كان هذا الانذار يقتضى أن يتخذ المذكور لنفسه عملا يرتزق منه فى مدى عشرين يـوما من تاريخ توجيه الانذار اليه ، والاحـق عليه العقاب باعتباره عـاد الى التشرد بـرغم انـذاره ، فقد رأى رجال الشرطة أن الحالة التى بين أيديهم تستوجب المحاكمة ·· وقيدت الواقعة « جنحة عود للتشرد » وقدمت للجلسة ·

ومما يجدر ذكره أن القانون يعاقب أمثال هذا المتهم بالحبس ثم بعد انقضاء الحبس يوضعه تحت مراقبة الشرطة ···

وعرضت القضية فسألت الرجل :

ـ هل كنت خاليا من العمل وقت أن ضبطتك الشرطة ؟

ـ نعـم ! ···

ـ وهل طالت مدة خلوك من العمل قبل ذلك ؟

ـ نعـم ! ···

ـ وهل لم تجد عملا فى هذه المدينة ؟

ـ لم يمهلونى أبحث فأجد ، لأنى أدخلت السجن ليلة دخلتها !

ـ ولماذا تركت البلدة التى كنت فيها ؟

ـ كنت أعمل فى مقهى ، ساءت حال صاحبه فأغلقه ...فتعطلت ، فقصدت الى غيره وعرضت نفسى على أصحابه ورضيت أن يكون أجرى ما يكفينى لطعام يومى فلم أجد من يستخدمنى حتى بهذا الأجر ! وضاعت منى فى سبيل هذا البحث أيام حتى جعت وساءت حالى فقصدت الى محطة السكة الحديدية وقلت لعلى أجد ما أحمله من متاع بعض المسافرين فأتقاضى عنه أجرا آكل به ، واستقام أمرى على هذه الحال أياما ، ولكن فاجأنى رجل الشرطة ذات يوم وأنا فى عملى ، فاستاقنى الى المخفر لأنى أشتغل « حمالا بلا رخصة » وحكم على القاضى بغرامة جسيمة لم أجدها معى ،فحبسونى أياما عديدة بمعدل يوم واحد عن كل عشرة قروش ...

وخرجت من السجن بعد ذلك أعاود البحث عن أى عمل فلم أجد وأدركنى الجوع فبسطت يدى الى الناس أستطعمهم حتى يبعث الله بالفرج . فضبطنى الجندى « متلبسا بجريمة التسول فى الطريق العام » وبعثونى مرة أخرى الى القاضى فأمر هذه المرة بحبسى خمسة عشر يوما .

وخرجت من السجن هذه المرة أيضا أعاود البحث عن العمل فعطف على تاجر من تجار البصل ، سلمنى غرارة مملوءة ، وسلمنى عربة صغيرة أضع عليها بضاعتى، وأخذت أجوب الطرقات ببضاعتى ... وأنا أتغنى بأوصافها ، شامخ الانف ، مرفوع الرأس ، لأنى لا أجد لأحد على من سبيل . غير أن الشرطة لاحقتنى وسألتنى عن « رخصتى » فافضيت اليها بحقيقة حالى فلم تستمع الى وقادتنى الى المخفر مرة أخرى حيث قدمت الى المحكمة بتهمة أنى « بائع متجول بغير رخصة » وحكم على القاضى هذه المرة بغرامة تحولت كالمعتاد الى حبس فضقت ذرعا ببلدى وبرجال الشرطة فيها، وقلت أبحث عن رزقى فى غيرها . فجؤوا بى اليك ...

استمعت الى قصة الرجل ، وأنا لا أجد فى كلامه ما يؤاخذ عليه ولست أدرى كيف وثب الى ذهنى هذا الخاطر :

ترى ، لو كان الحاضرون بقاعة الجلسة كلهم من ذوى الاعمال ، ثم تعطلوا جميعا كما تعطل هذا المتهم ، ثم وجهت الشرطة الى كل واحد منهم انذارا بالبحث عن عمل فى مدى عشرين يوما...ترى ، كم منهم كانوا يعودون الى هذه القاعة وهم فى قفص الاتهام ؟...

الا ان كثيرا من القوانين ليحتاج الى القاضى الذى يعرف كيف يتفادى أحيانا كثيرة من تطبيقها لا الى القاضى الذى يعرف كيف يطبقها !...

حسن جلال

٩ ـ محمد بن الملك الزيات والمظلوم

حَدّث هارون بن محمّد بن عبد الملك قال : جلس أبي يوما للمظالم، فلَمَّا انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له :أَلكَ حاجة ؟ قال : نعم، تُدْنِينِي منْكَ فَإِنِّي مظلوم فأَدناه وقال : إنِّي مظلوم وقد أَعوزني الإنصاف. قال : ومن ظلمك ؟ قال أنت ولست أَصلُ إليك فأَذْكُرَ حَاجَتِي. قال ومن يَحْجُبُكَ عَنِّي ؟ وقد ترى مَجْلسي مبذولا. قال : يحجُبُنِي عنك هَيْبَتِي لك، وطُول لسانك وفصَاحتُك واطّراد حجتك. قال : ففيم ظلمتك ؟ قال: ضَيْعَتِي الفلانية أَخذها وكيلُك غَصْبًا بغيرِ ثَمَنٍ.فإذا وجب عليها خراج أَديته باسمي لئلا يَثْبُتَ لك اسم في ملكها، فيبْطُلَ مِلْكِي، فوكيلك يأخذ غلَّتها وأَنا أُؤَدِّي خراجَها ؟ وهذا ممَّا لم يُسمع في الظُّلم مِثْلهُ. فقال محمَّد : هذا قول تحتاجُ عليه إلى بيِّنَة وشُهُودٍ وأَشياءَ. قال له الرَّجُلُ : أيؤمنني الوزير مِن غَضَبِه حتَّى أُجيب ؟ قال : قد أَمَّنْتُك. قال : البيّنة همُ الشُّهودُ وإذا شهِدوا فليس يُحْتاج معهم إلى شيء، فما معنى قولك بيِّنةٌ

وشُهُودٌ وأَشياء ؟ « إيش » هذه الأَشياء إلاَّ العِيُّ والتَّغَطْرس ؟ فضَحِكَ وقال : صَدَقْتَ والبَلاَءُ مُوَكَّلٌ بالمنطقِ، وإنِّي لا أَرى فيك مُصطنعا ، ثمَّ وقَّع له بِرَدِّ ضَيْعَتِهِ وبِأَنْ يُطْلِقَ له كُرَّ حِنْطَةٍ وكُر شَعِيرٍ ومائةَ دينارٍ يستعين بها على عِمارةِ ضَيْعَتِهِ وصيَّرَهُ من أَصحابه وٱصْطَنَعَهُ .

(الأَغـــاني)

1 ـ رجل الدولة

لايُسْتَطَاعُ السُّلطانُ إلاَّ بالوُزَرَاء والأَعْوَان، ولا تنفعُ الوزراءُ إلاَّ بالمَوَدَّة والنَّصيحة. ولا المَوَدَّةُ إلاَّ مع الرَّأي والعفاف. وأَعْمالُ السُّلْطان كَثيرَةٌ. وقَلَّمَا تُسْتَجْمَعُ الْخِصَالُ المحْمودَةُ عِنْدَ أَحَد وَإِنَّمَا الوجْهُ فِي ذلك والسَّبيل إليه الذي يستقيم به العملُ أَن يكون صاحب السُّلطان عالمًا بأُمورِ من يريدُ الاستعانة به، وما عند كلِّ رجل من الرَّأي والغَنَاء وما فيه من العُيُوب. فإذا استقرَّ ذلك عنده عَنْ علْمه وعلم من يَأْتَمنُ. وَجَّهَ لكُلِّ عَمَلٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الرَّأي والنَّجْدَة والأَمانَة ما يُحْتَاجُ إليه فيه، وأَنَّ ما فيه منَ العُيوب لا يُضِرُّ بذلك. ويتحفَّظ من أَن يُوَجِّهَ أَحدًا وَجْهًا لاَ يَحْتَاجُ فيه الى مُرُوءَة إن كانت عندهُ، ولا يأمنُ من عُيُوبِه وما يُكْرَهُ منْهُ.

ثُمَّ على الملوك بعدَ ذلك، تَعَهُّدُ عُمَّالِهِمْ وَتَفَقُّدُ أُمُورِهِمْ حَتَّى لا يخفى عَلَيْهِمْ إحْسَانُ مُحْسِنٍ ولا إساءَةُ مُسيءٍ.

ثمَّ عليهمْ بعد ذلك أنلا يتركوا مُحْسنًا بِغَيْرِ جَزَاءٍ ولا يقرُّوا مسيئًا ولا عاجزًا على الإساءَة والعَجْزِ. فإنَّهُمْ إنْ تَرَكُوا ذلك تَهَاوَنَ المحْسِنُ واجْتَرَأَ المسيءُ وَفَسَدَ الأَمْرُ وضاعَ العمل.

ابن المقفّع
(الأدب الصّغير)

2 ـ عمر بن الخطاب يحاسب نفسه

قال الأَحنف بنُ قيس : قَدمنا على عمر بن الخطَّاب بفتْحٍ عظيم نُبَشِّرُهُ به فقال : أَين نَزَلْتُمْ ؟ قلنا : في مكان كذا !

فقام معنا حتَّى انتهينَا إلى مُناخِ ركابنا وقد أَضعَفَها الكَلالُ وجهدَهَا السَّيْرُ فقالَ : هلا اتَّقَيْتُم الله في ركابكم هذه ! أَما علمتم أَنّ لها عليكم حقًّا ؟ هلا أَرحتموها فأَكلتْ منْ نباتِ الأَرض ! فقلنا : يا أَمير المؤمنين إنَّا قدمنا بفتحٍ عظيم فأَحببنا التَّسرُّعَ إليك وإلى المسلمين بما يسرُّهُمْ . فانصرف راجعا ونحن معه .

فأَتى رجل فقال : يا أَمير المؤمنين إنّ فلانًا ظلمني فأَعدنى عليْهِ فرفع في السَّماء درّته وضرب بها رأسه وقال : تَدَعُونَ عُمَرَ حَتَّى إِذَا شُغِلَ في أُمور المسلمين أَتيتموهُ وقلتم : أَعْدِني أَعْدِنِي ! فانْصرفَ الرَّجُلُ يَتَذَمَّرُ فقال عُمَرُ : عَلَيَّ بالرَّجُلِ ! فَجِيءَ به فأَلْقى إِليْهِ المخْفَقَةَ فقال : اقتَصَّ قالَ : بل أَدَعُهُ لله ولك.

قال : ليس كذلك بل تدعه إمَّا لله وإرادةِ ما عنده وإمَّا تَدَعه لي !
قال : أَدعه لله . قال : انصرف.

ثمّ جاءَ حتَّى دَخَلَ منزله ونحن معه فصلَّى ركعتين خفيفتين ثمَّ جلس فقال لنفسه : يا ابن الخصاب كنتَ وضيعًا فرفعك الله وكنتَ ضالاً فهداك الله وكنت ذليلا فأَعزَّك الله ثمَّ حملك على رقاب النَّاس فجاءَ رجلٌ يستعديك على من ظلمه فضربته ماذا تقول لربك غدًا ؟ فجعل يُعاتِبُ نفسَه مُعاتَبَةً فظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ خير أَهل الأَرض .

3 ـ الجمهورية

الجمهوريةُ في أسمى معانيها ترمي إلى أن يكونَ النَّاسُ سواءً لا فضل لأحد على أحدٍ إلاّ بالعمل الصّالح وأن يُقَالَ لِلمُحْسِنِ أحسنتَ وللمُسيءِ أسأتَ وأن تُقَدَّرَ النّاسُ بالكَفَاءات لا بالرُّتَبِ.

وهي تَتَطَلَّبُ مَطَالِبَ عسيرَةً لا عَهْدَ لنا بها، تتطلّب. انتباهَ الوعي القوْمِيّ حتَّى يميِّزَ جيِّدًا بينَ الحسن والسَّيِّء وتتطلّب تغيير العلاقَةِ بين الحاكِم والمحْكُوم : لقد كان المحكومُ ينظُرُ إلى الحاكِم كما ينظرُ الطَّيْرُ إلى صائده، وينظرُ الحاكمُ إلى المحكوم كما ينظر الصَّائِدُ إلى الطَّيْرِ والمستغِلّ إلى الغَلّة.

والجمهوريةُ تتطلّبُ أن يزول كل ذلك وتحُلَّ محلَّهُ نَظرةُ الأَخِ إلى الأَخِ، وتَتَطَلَّبُ أن يُؤَدِّي كلٌّ واجبَه في أمانة وإخلاص وأن ينظُرَ الحاكِمُ إلى أنّ الوظيفةَ تكليفٌ لا تشريفٌ وأنّه عِبْءٌ ثَقِيلٌ عليه يتمنَّى لو حَمَل عبئَها غيره واستراح. وأن

يكْدِنَ من تنَبُّهِ الوعْيِ القوميِّ ما يستطيعُ معه الرَّجل الصَّغيرْ أن يقولَ للرَّجُلِ الكبيرِ أسأتَ أو أحسنتَ في أدب ولباقَةٍ .

إنّ الجمهوريَّةَ حُرِّيَّةٌ ولكِنّها حُرِّيَّةٌ مُقَيَّدَةٌ بالعَمَلِ للمصْلَحَةِ لا فوضَى يفعل الانسان فيها ما يشاءُ .

ومنْ أَهَمِّ فَضْلِ الجُمْهُورِيَّة أَنَّ رئيسها يعتقدُ أَنَّهُ من الشَّعْبِ وأَنَّ بقاءَهُ رهنٌ برِضَا الشَّعبِ . فالجمهوريَّةُ تحتاجُ إلى سَنَد قوِيٍّ متينٍ .. تحتاجُ إلى مساعدة من الصَّحافَة تقِفُ موقفَ المحامِي النَّزِيهِ والقاضِي العَدْلِ فتُخَطِّئُ ما رأَتْ من الخَطَإِ وتُؤَيِّدُ بِشجاعةٍ ما ترى من صواب وتَنْقُدُ في قُوَّةٍ ونزاهةٍ .

كما تحتاجُ إلى مَعُونَة رِجال الفكر والقَلَم يُوَجِّهُونَ رجال الحُكْمِ فِي الجُمْهُورِيَّةِ الوِجْهَةَ الصَّحِيحَةَ ويخذُلون تصَرُّفَاتِهَا السقيمة .

(أحمد أمين)

4 - صحبة اولى الامر

... وإذا صَحِبَ أَحَدُكُمْ الرَّجُلَ من أُولى الأَمرِ فليستشفَّ خلائقَهُ كما يستَشِفُّ الثَّوْبَ يَشْتَرِيه لنفسه. فَإِذَا عَرَفَ حَسَنَهَا وقبيحَها، أعانه على ما يوافقُهُ من الحُسْنِ واحْتَالَ لصرفه عَمَّا لا يوافقُهُ من القبيحِ. بِأَلْطَفِ حِيلَة وأَحْسَنِ مُدَارَاة ورِفْقَة. فقَد عَرَفْتُمْ أَنَّ سَائِسَ البهيمة، إذا كان حاذقًا بسِيَاسَتِهَا، التمس معرفَةَ أَخلاقِهَا، فإن كانت رَمُوحًا اتّقَاهَا من قِبَلِ رجْلِهَا. وإن كانت جمُوحا لم يُهِجْهَا إذَا ركِبَهَا وإذا كانت شموسًا تَوقَّاها من ناحية يدها، وإن خاف منها عَضَاضًا تَوَقّاها من ناحيَةِ رأْسِهَا، وإن كانت حرُونًا لم يُلاَحِّها وَتَتَبَّعَ هَوَاهَا فِي طَرِيقِهَا. وإن استَمَرَّتْ عَطَفَهَا. فيَسْلَسُ له قِيَادُهَا، ومن هَذَا الوصف منْ سَائِس البهيمَة، ورِفْقِ سياسَته دَليلٌ وأَدبٌ لمَنْ سَاسَ النَّاس وعَامَلَهُمْ وخَدَمَهُم وصَحِبَهُمْ. والكَاتِبُ بِفَضْلِ رَأْيِه، وشرف صناعَته. ولطيف حيلته ومُعاملَته لمن يُحاوِرُهُ ويُنَاظِرُه، ويَفْهَمُ عنه ويخَافُ سَطْوَتَهُ أَوْلَى بالرِّفقِ بِصَاحِبِه، ومُدَاراته وتَقْوِيم أَوْدِهِ من سائس البهيمة التي لا تحيرُ جَوَابًا، ولا تَعْرِفُ خَطَأً ولا صوابًا إلاَّ بِقَدْرِ ما يُصَيِّرُهَا إلَيْهِ سائِسُهَا أَو صاحِبُهَا الرَّا كِبُ.

عبد الحميد الكاتب

5 - من كتاب علي الى بعض عماله

أَمَّا بعدُ فإنّي كنتُ أَشركتك في أَمانتي وجَعَلْتُكَ شِعَاري وبِطانتي وَلَمْ يَكُنْ رجُلٌ في أَهْلي أَوثَقَ مِنْكَ في نفسي لمواساتي ومُؤَازَرَتي وأَداء الأَمَانَةَ إِلَيَّ فلمّا رأَيْتَ الزَّمانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قد كلِبَ والعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ وأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيتْ وهَذه الأُمَّة قد فتكت وشفرَتْ قَلَبْتَ لابنِ عَمِّك ظَهْرَ المجَنِّ ففارقْتَهُ مَعَ المفارقِينَ وخَذَلْته معَ الخَاذلينَ وخُنْتَهُ مَعَ الخائنِينَ فلا ابنَ عَمِّك آسَيْتَ ولا الأَمَانَةَ أَدَّيْتَ وكَأَنَّك لم تكُنْ اللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ وكَأَنَّك لم تكن على بيِّنَةً من ربِّك وكأنَّك إنّما كُنْتَ تكِيدُ هذه الأُمَّةَ عن دنْيَاهُمْ وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عنْ فَيْئِهِمْ فلمَّا أَمكَنَتْكَ الشِّدَّةُ في خِيانَة الأُمَّة أَسْرَعْتَ الكَرَّةَ وَعَاجلْتَ الوَثْبَةَ وَاخْتَطَفْتَ ما قَدَرتَ عليه من أَموالِهِمْ المصُونَة لأَراملِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ وَاخْتَطَفْتَ اختطافَ الذِّئْبِ الإِزَلِّ دامِيَةَ المِعْزَى الكسيرَةَ فحَمَلْتَهُ إلى الحِجَاز. رحِيبَ الصَّدْرِ تَحْمِلُهُ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ من أَخْذِه كَأَنَّك - لا أَبا لغَيْرِك - حَدَرْتَ إلى أَهْلك تُرَاثًا مِنْ أَبِيك وأُمِّكَ. فسُبْحَانَ الله ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالمعَادِ أَوَ مَا تَخَافُ نقَاشَ الحسَاب أَيُّهَا المعْدُودُ كَانَّ عنْدَنا من ذوِي الأَلْبَاب كيف تَسِيغُ شَرَابًا وطَعَامًا وأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَتَشْرَبُ حَرَامًا !

علي بن أَبي طالب

6 - المامون والفقير

أَشرفَ المأمونُ يومًا على قَصْرِهِ فرأَى رَجُلاً يَكْتُبُ بفحْمة على حائطِ قصرِه فقال المأمون لبعض خدمه. اذهبْ إلى ذلك الرَّجُل فانْظُرْ ما كتب وائْتِنِي بِهِ. فبادَرَ الخادِمُ إلى الرَّجُلِ مُسْرِعًا وَقَبَضَ عليه وقال له : ما كتبتَ ؟ فإذا هو قد كتَب هذا البيتَ :

يـــا قصرُ جُمِّعَ فيك الشُّؤْمُ واللُّـــؤمُ
مَتَى يُعَشِّشُ فِي أَركـــانِك البُـــومُ

ثمَّ إنَّ الخادِمَ قال لهُ : أَجِبْ أَمِيرَ المؤْمِنِينَ. فقالَ الرَّجُلُ سأَلتك بالله لا تذهبْ بي إليهِ. فقال الخادِمُ : لابُدّ من ذلك. ثمَّ ذهبَ بِهِ.

فلمَّا مَثُلَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ المؤْمِنِينَ وأُعْلِمَ بِما كَتَبَ قال له المأمونُ : وَيْلَك ما حَمَلَك على هَذَا ؟ فقال : يا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ إِنَّهُ لا يَخْفى عَلَيْكَ ما حَوَاهُ قَصْرُكَ هَذَا مِنْ خَزَائِنِ الأَمْوَالِ والحُلِّي وَالحُلَلِ والطَّعَام وَالشَّرَابِ والفُرُشِ والأَوَانِـي، والأَمْتِعَةِ

والجواري والخَدَم، وغيرِ ذلك ممَّا يَقْصُرُ عنهُ وصْفِي ويَعْجزُ عَنْهُ فَهْمِي. وإنِّي قَدْ مَرَرْتُ عَلَيْهِ الآنَ وأنا في غايةٍ من الجوع والفاقة، فوقَفْتُ مُفكِّرًا في أَمْرِي وقلتُ في نَفْسِي : هَذَا القَصْرُ عَامِرٌ عَالٍ، وأنا جَائعٌ، ولا فائدَةَ لي فيه، فلو كانَ خَرَابًا ومررت بِهِ لم أَعدَمْ رخامةً أو خشَبَةً أو مسمارًا أَبِيعُهُ وأَتَقَوَّتُ بِثَمَنِهِ أَوَمَا عَلِمَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ قولَ الشَّاعِرِ :

إذا لم يكن للمـــرْءِ في دولـــةِ امـرىءٍ
نَصِيـــبٌ ولا حـــظٌّ تَمَنَّـــى زَوَالَهَـا

وما ذاك من بغْـــض لهَـا غَيْرَ أَنَّـــهُ
يُبـــرَجِّي سِوَاهَـا فَهْوَ يَهْـــوَى انْتِقَالَهَـا

فقال المأمونُ يا غُلاَمُ أَعْطِهِ أَلْفَ دِرْهَم. ثُمَّ قَالَ : هي لك في كلِّ سنةٍ ما دام قصرنا عامرًا بأَهله مسرورًا بدولته.

(مجاني الأَدب)

7 - عمر بن عبد العزيز يحمل الناس على الحق

لَمَّا دُفِنَ سليمان وقامَ عُمَرُ بن عبد العزيز قُرِّبَتْ إليه المراكب، فقال : ما هَذِهِ ؟ فقالُوا : مَرَاكِبُ لَمْ تُرْكَبْ قطُّ يَرْكَبُهَاالخَلِيفَةُ أَوَّلَمَا يَلِي:فتَرَكَهَا وَخَرَجَ يلتمس بَغْلَتَهُ وقال: يا مُزَاحِمُ ضُمَّ هَذَه إلى بَيْتِ مَالِ المسلِمِينَ.

ونُصِبَتْ له سُرَادِقَاتٌ وحُجَرٌ لم يَجْلِسْ فِيهَا أَحَدٌ قَطُّ، كانت تُضْرَبُ لِلخَلِيفَةِ أَوَّلَ مَا يَلِي، فقال : ما هذِهِ ؟ فقالوا : سُرَادِقَاتٌ وحُجَرٌ لم يَجْلِسْ فيها أَحَدٌ قَطُّ يجلسُ فيها الخَلِيفَةَ أَوَّلَ مَا يَلِي. قال يا مُزَاحِمُ ضُمَّ هَذَا إلى أَموالِ المسلمِينَ، ثُمَّ رَكِبَ بَغْلَتَهُ، وانْصَرَفَ إلى الفُرُشِ والوِطَاءِ الذي لم يجلس عليْهِ أَحَد قَطُّ والذي يُفْرَشُ لِلخَلِيفَةِ أَوَّلَ مَا يكُون. فَجَعَلَ يَدْفَعُ ذلك برِجْلِهِ حَتَّى يُفْضِيَ إلى الحَصِيرِ، ثُمَّ قَال : يا مُزَاحِمُ ضُمَّ هذَا لأَمْوَالِ المسلِمين.

وبَاتَ عِيَالُ سُلَيْمَانَ يُفْرِغُونَ الأَدْهَانَ والطِّيبَ مِنْ هَذِهِ القَارُورَةِ إلى تلك القارورَةِ، ويَلْبَسُونَ مَا لَمْ يُلْبَسْ من الثِّيابِ

حتَّى تَتَكَسَّرَ . وكانَ الخَليفَةُ إذَا مَاتَ فَمَا لَبِسَ مِنَ الثِّيابِ أَوْ مَسَّ منَ الطِّيبِ كانَ لِوَلَدِه، ومَا لَمْ يَلْبَسْ مِنَ الثِّيَابِ وما لم يَمَسَّ مِنَ الطِّيبِ فَهُوَ لِلخَلِيفَةِ بَعْدَهُ .

فلمَّا أَصبحَ عُمَرُ قالَ لهُ أَهْلُ سليمَانَ : هذا لكَ وهَذَا لنا . قال : وما هذا ؟ وما هذا ؟ قالوا هذا مَا لبِسَ الخَليفة من الثِّيابِ ومَسَّ من الطِّيبِ وهُوَ لِوَلَدِه، وما لَمْ يَمَسَّ ولَمْ يَلْبَسْ فَهُوَ للخَليفة بَعْدَهُ وَهُوَلكَ .قال عمر:ما هذا لي، ولا لِسُلَيْمَان، ولا لَكُمْ، ولكِنْ يا مُزَاحِمُ ضُمَّ هَذَا إلى بَيْتِ مَالِ المسْلِمين .

واحْتَجَبَ عن النَّاسِ ثلاثا لا يَدْخُلُ عليه أَحد. ووجوهُ بني مَرْوَانَ وَبنِي أُمَيَّةَ وأَشْرَافُ الجُنُودِ وَالعرب والقواد ببابه.يَنْظُرُونَ ما يَخْرُجُ بِه عَلَيْهِمْ فجلس للنَّاسِ بَعْدَ ثلاثٍ وحَمَلَهُمْ على شريعة من الحقِّ فَعَرَفُوهَا، فَرَدَّ المظَالم وأَحيا الكتاب والسُّنَّةَ وسارَ بِالعَدْلِ ورَفَضَ الدُّنْيَا وزَهِدَ فِيها وتَجَرَّدَ لِإحياءِ أَمرِ الله عَزَّ وجَلَّ فلم يَزَلْ على ذلك حَتَّى قُبِضَ .

8 ـ عبث الامين بشؤون الدولة

عَزَمَ الأَمِينُ يومًا على الاصطباح، وأَحْضَرَ نُدَمَاءَهُ وَالمغَنِّينَ، وَصُفَّتِ المَوَائِدُ فلَمَّا ابتدأَ لِيأكُلَ، دَخَل عليه إسماعِيلُ بنُ صَبِيح، فقال : يا أَمِير المؤمنين. هذا هو اليومُ الذي وَعَدتَّنِي فيه أَن تَنْظُرَ فِي أَعْمَالِ الخراج والضِّياع وجَمَاعات العُمَّال، وقَدِ اجْتَمَعَت عَلَيَّ أَعمالٌ مُنْذُ سنة لم تَنْظُرْ في شَيْءٍ مِنْهَا. ولم تَأْمُرْ فِيهَا. وفي هذا دخولُ خَلَلٍ فِي الأَعْمَالِ. فقال له محمّد : إنَّ اصطِبَاحِي لا يَحُولُ بَينِي وَبَيْنَ النَّظَرِ. وفي مجلسي مَنْ لا أَنْقَبِضُ عَنْهُ مِنْ عَمِّي وَبَنِي عَمِّي. وإِخْوَتِي. وهُمْ أَهْلُ هَذِهِ النِّعْمَةِ التي يَجِبُ أَنْ تُحاطَ فأَحْضِرْ مَا تُرِيدُ عَرْضَهُ. فَأَعْرِضْهُ عَلَيَّ وأَنَا آكُلُ لأَتَقَدَّمَ إِلَيْكَ فِيه بِما تَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلى أَنْ يُرْفَعَ الطَّعَامُ. ثُمَّ أُتِمُّ النَّظَرَ فِيمَا يَبْقَى. ولا أَسْمَعُ سَمَاعًا أَو أُبْرِمَ الباقِيَ. وأَفْرُغَ مِنْهُ. فحضر كُتَّابُ الدَّاوَاوِينِ بِأَكثَرِما في دَوَاوِينِهِم. وأَقبَلَ إِسماعيلُ بنُ صَبِيح يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ وَمُحَمَّدٌ يَأْمُرُ وَيَنْهَى بِأَحْسَنِ أَمرٍ ونَهْيٍ وأَشَدِّهِ وربَّما شَاوَرَ مَنْ حَوْلَهُ في الشَّيء بَعْدَ الشَّيء وكُلَّمَا وَقَّعَ فِي

يء وُضِعَ بِالقُرْبِ من إسمَاعِيلَ بن صَبيح، وَرُفِعَتِ الْمَوَائِدِ ودعا بالنَّبِيذ، وكان لا يشرب في القَدَح أَقَلَّ من رطْل واحد في تَتْمِيم العمل، ثمّ دعا بِخَادِم لَه، فناجاه بشيء أَسرَّه إليه، فمضى ثمَّ عاد، فَلَمَّا رآهُ نَهَضَ واسْتَنْهَضَ سَلِيمَ بن عَلي، وإبْراهيم بن المهدي فما مشوا عشْر أَذرع حتَّى أَقْبل جماعة من النَّفَّاطِين فضَرَبُوا تلك الكُتُبَ والأَعمالَ بِالنَّارِ. وكان الفضل بنُ الرَّبيع حاضرا، فَلَحِقَ مُحَمَّدًاوقد شَقَّ ثَوْبَهُ وهْو يَقُول : الله ـ والله ـ أَعَدْلٌ أَن يرضى أَن يكونَ مُدَبِّرًا أُمُورَ أُمَّةِ نَبِيِّهِ محمّد صلى الله عليه وسلّم مَنْ هَذِهِ أَفْعَالُهُ !

ومحمّدٌ يَضْحَكُ، ولا يُنْكِرُ على الفضلِ قَوْلَهُ .

من كتاب الوزراء والكتّاب
« للجهشياري »

٩ - القبرة والفيل

زَعَمُوا أَنَّ قُبَّرَةً اتَّخَذَتْ أُدْحِيَّةً وَبَاضَتْ فِيهَا على طريق الفيل، وكان للفيلِ مشربٌ يتردَّدُ إِلَيْهِ. فمرَّ ذاتَ يوْم على عادته ليرد مورِده. فوطِىء عُشَّ القُبَّرَةِ. وهَشَّمَ بَيْضها. وَقَتَل فِراخها فلَمَّا نظرت ما ساءها، عَلِمَتْ أن الذي نَالَهَا منْ الفِيل لا من غيره. فطارت فوَقَعَتْ عَلى رأْسِهِ باكِيَةً. ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّهَا الملكُ لِمَ هَشَّمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ فِراخِي؟ وأنا في جِوَارِكَ؟ أَفَعَلْتَ هَذَا اسْتِعْغَارًا منك لأَمْرِي. واحْتِقَارًا لشأنِي؟ قال: هو الذي حَمَلَنِي على ذلك فتركتْهُ وانْصَرَفَتْ إلى جَمَاعة الطَّيْر، فشَكَتْ إِلَيْهِنَّ ما نالها من الفِيل فقطن لها: وما عسى أن نبلُغَ منه ونحنُ طُيُورٌ؟ فقالت للعقاعق والغِرْبَانِ: أُحِبُّ منكنَّ أن تَصِرْنَ معي إِلَيْه فتفقَأْنَ عَيْنَيْهِ. فإِنِّي أحتالُ لَهُ بَعْدَ ذَلك بِحِيلة أُخرى.

فأَجبنها إلى ذلك، وذهبن إلى الفيل، ولم يَزَلْنَ يَنْقُرْنَ عَيْنَيْهِ حَتَّى ذَهَبْنَ بِهِمَا، وبَقِيَ لا يَهْتَدِي إلى طَرِيق مَطْعَمِهِ

ومشربه الا ما يَقُمُّه مِنْ مَوْضِعِهِ. فلما علمت ذلك منه جاءت إلى غـدير فيه ضفادِعُ فشكت إِلَيهِنَّ ما نالها من الفيل فقلن لها : ما حيلتنا نحن في عِظَم الفِيل ؟ وأَنَّى نَبْلُغ مِنْهُ ؟ قالت : أُحبّ منكنّ أَن تَصِرْن معي إلى وَهدة قريبة منه فتنْقِقْنَ فيها وتضْجِجْنَ. فإِنَّهُ إذا سَمعَ أَصْوَاتَكُنَّ لم يَشُكَّ في الماءِ فيهوِي فيها. فأَجبنها إلى ذلك واجتمعن في الهاوية فسمع الفيل نقيق الضّفادع وقد أَجهده العطشُ فأَقبل حتَّى وقع في الوهدَةِ فارتطم فيها.

وجاءت القُبَّرَةُ تُرَفْرِفُ على رَأسِهِ، وقالت : أَيُّها الطّاغِي المغترُّ بقُوّتِه، المحتقِرُ لأَمْرِي، كيْف رأَيتَ عِظَمَ حِيلتي مع صِغَر جُثَّتِي عند عِظم جُثَّتِك وصِغَرِ هِمَّتِك ؟

(كليلة ودمنة)

10 ـ ارنب واسد

زعموا أَنَّ أَسدًا كان في أَرضٍ كثيرة المياه والعشب. وكان في تلك الأَرض من الوحوش في سَعَةِ المياه والمرعى شيء كثير. إلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذلك لخوفها من الأَسد. فاجتمعت وأتت إلى الأَسد فقالت له: إنّك لتصيب منَّا الدّابة بعد الجهد والنَّصَب، وقد رأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنا. فإن أَنت أَمّنتنا ولم تُخِفْنا فلك علينا في كلِّ يوْم دابَّةٌ نرسِلُ بِها إِلَيْك في وقت غَدَائِكَ. فرضِيَ الأَسد بِذلك، وصالح الوحوش عليه، ووفّين له به. ثمَّ إنّ أَرنبا أَصابتها القُرْعَة. وصارتْ غَدَاءَ الأَسد. فقالت للوحوش: إنْ أَنْتُنَّ رَفَقْتُنَّ بِي فيما لا يَضُرُّكُنَّ رجَوْتُ أَن أُرِيحكُنَّ من الأَسد: فقالت الوحوش: وما الذي تُكَلِّفِينَنَا من الأُمُورِ؟ قالت. تأمرْنَ الذي يَنْطَلِقَ بي إلى الأَسَدِ أَن يُمْهِلَنِي رَيْثَمَا أُبْطِيء عليه بَعْضَ الإِبطاء. فقلن لها: ذلك لك فانطلقت الأَرنب متباطِئَة حتَّى جاوزتِ الوقت الذي كان يتغدّى فيه الأَسد. ثمّ تَقدَّمت إِلَيه وحدها رويدًا. وقد جاع، فغضِبَ وقام من مكانه نحوها. فقال

لها من أين أقبلت ؟ قالت : أنا رسول الوحوش إليك، بعثنني ومعي أرنبٌ لك، فتبعني أسد في بعض تلك الطّريق فأخذها منّي. وقال : أنا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحش. فقلت : إن هـذا غداء المـلك أرسلني به الوحوش إليه، فلا تُغْضِبَنَّهُ، فسَبَّك وشتمك. فأقبلت مُسْرِعَةً لأُخبِرَك. فقال الأسد : انطلقي معي. فأريني موضعَ هذا الأسد. فانطلقت الأرنب إلى جُبٍّ فيه ماء غامرٌ صافٍ، فاطّلعت فيه وقالت : هذا المكانُ فاطّلع الأسد. فرأى ظلّه وظلّ الأرنب في الماءِ فلم يشكَّ في قولها، ووثب إليه ليقاتله. فَغَرِقَ فِي الجُبِّ. فانْقَلَبَتِ الأرنب إلى الوحوش فأعلمتهنَّ صنيعها بالأسد.

(كليلة ودمنة)

11 ـ اتيتك ناصحا

أَيُّهَا الملك إِنَّكَ في منازلِ آبائك وأَجدادِكَ من الجبابرةِ الذين أَسّسوا المُلْك قبلك، وشَيَّدُوا دورَك، وَبَنَوا القِـــلاع، والحُصُونَ، ومَهَّدُوا البلاد، وقادوا الجيوش، واستجاشوا العُـــدَّةَ، وطالت لهم المدّة. واسْتَكْثروا من السِّلاح والكُرَاعِ، وعاشوا الدّهُورَ، في الغِبْطَةِ والسُّرور. فلم يمنعهم ذلك من اكتساب جميل الذّكر. ولا قطعهم عَنْ اغتنام الشُّكْرِ ولاَ اسْتِعْمَالِ الإِحسان إِلى من خُوِّلُوهُ، والإِرفاق بمن وُلُّوه، وحُسْنِ السِّيرَةِ فيما تَقَلَّدُوهُ، مع عِظَم ما كَانُوا عَلَيْهِ من عزَّة الملك وسَكْرَةِ الاقْتِدَارِ. وإِنَّك أَيُّهَا الملكُ ـ السَّعِيدُ جَدُّهُ، الطَّالع كوكب سَعْده ـ قد ورثت أَرضَهُمْ، وديارهم وأَموالَهُم ومنازِلهم التي كانت عُدَّتَهم. فأَقمت فيما خُوِّلْتَ من الملك وورثتَ من الأَمْوالِ والجنودِ، فلم تقُمْ فى ذلك بحقِّ ما يجب عليك بل طغيتَ وبغيتَ، وعَتَوتَ، وَعَلَوْتَ على الرَّعِيَّةِ، وأَسأت السِّيرة، وعظمت منك البليَّةُ، وكان الأَولى والأَشبهُ بك أَن تسلك سبيلَ أَسلافك. وتَتَّبعَ آثار الملوكِ قَبْلَكَ،

وتَقْفُوَ محاسن ما أَبقوْه لك، وتُقْلِعَ عمّا عارُه لازم لك، وشَيْنُه واقعٌ بك. وتُحْسِنِ النَّظَر برعِيَّتِك، وتَسُنَّ لَهُمْ سُنَنَ الخَيْرِ الذي يبقي بعدك ذكرُهُ، ويعقبك فخرُه، ويكونُ ذلك أَبقى على السَّلامة، وأَدومَ على الاستقامة. فإنّ الجاهل المغترّ من استعمل في أُموره البَطر والأُمنيَّة والحازمَ اللَّبيب مَنْ ساس الملك بالمداراةِ والرِّفق. فانْظُرْ أَيُّها الملك ما أَلْقيتُ إِلَيْك، ولا يثقلن ذلك عليك. فلم أَتكلَّم بهذا ابتغاءَ عرض تُجازيني به، ولا التماس معروف تكافئُني عليه، ولكنّي أَتيتك ناصحًا مشفقا عليك.

(كليلة ودمنة)

12 ـ مخابرة بين ملك وجاسوسه

كَانَ لِلْمُعْتَضِدِ بِاللهِ العَبَّادِيِّ، صاحبِ إشْبِيلِيَّةَ. عَيْنٌ بِقَرْمُونَةَ يَكْتُبُ إليه بأَخبار البربرِ .فأَراد أَن يَكْتُبَ إليه كتابا في بعضِ أَمره، فاستدعى رَجُلاً من بادية إشْبِيلِيَّةَ. شَدِيدَ البَلَهِ، كَثِيرَ الغَفْلَةِ، وقال له : « أَخْلعْ ثيابَك » وأَلْبسَهُ جُبَّةً جعل في جيبها كِتَابًا، وخاط عليْهِ، وقال لهُ : آخرج إلى قرمونةَ. فإذا وصلت بقُرْبِهَا فاجمع حزمة حطبٍ وادخُلْ بها البَلَدَ، وقِفْ حيثُ أَصحابُ الحطبِ، ولا تَبِعْهَا إلاَّ لِمَنْ يشتريها منْك بخَمْسَةِ دَرَاهِمَ. وكان قد قَرَّرَ هَذَا كُلَّهُ مَعَ صَاحِبِهِ الذِي بِقَرْمُونَةَ فَخَرَجَ البَدَوِيُّ وَعَمِلَ كَمَا أَمَرَهُ المعْتَضِدُ، ووَقَفَ فِي مَوْقِفِ الحَطَّابينَ بِقَرْمُونَةَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّون عَلَيْهِ وَيَسُومُونَ مِنْهُ حِزْمَتَهُ، فإذَا قَالَ : لاَ أَبِيعُهَا إلاَّ بخَمْسَةِ دَرَاهِمَ،ضحك من يسمعُ هذا القولَ منه ومَرَّ عَنْهُ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلك إذْ جَنَّهُ اللَّيْلُ وَالنَّاسُ يَسْخَرُونَ مِنْهُ، فبعضهم يقول : هذا أَبْنُوسٌ، ويقول الآخر بل هو عودٌ هنْديٌّ، وما أَشبه هذا حتَّى مَرَّ صَاحِبُ المعتضد فاشْتَرَى منه

الحِزْمَةَ على أن يحْمِلَهَا له إلى البيت. فلما أَخَذَ البَدَوِيُّ الدّراهِم وهَمَّ بالانْصِرَاف، قال له: أَين تُريد في هذا الوقت وقد علمتَ خَوفَ الطَّرِيقِ فَبِتِ اللَّيْلَةَ عِنْدِي فَإِذَا أَصْبَحْتَ رَجَعْتَ إِلى مَنْزِلك ثمّ قَدَّمَ لَه طعاما، وسأله كأَنَّهُ لا يعرِفُه: من أَين أَنتَ، يا أَخِي. وما الذي جاءَ بك إلى هذا الموضع وقد عَلِمت كَيْدَ البربَرِ وشُؤْمَهم وَهَوَانَ الدِّمَاءِ عَلَيْهِمْ؟ - فقال: حَمَلَتْنِي الحاجَةُ، ولم يُظْهِر له أَنّ المعتضِد أَرسَلَهُ. فلم يَزلْ الرَّجُلُ يُحَادِثُهُ إلى أَن أَخَذَه النَّوْمُ، فقال له: تَجَرَّدْ مِنْ ثَوْبِكَ هَذَا، فَهُوَ أَهْنَأُ لِنَوْمِكَ وأَرْوَح لجِسْمِكَ - فتَجَرَّدَ الرَّجُلُ ونَامَ، وأَخذ صاحبُ المعتضِد الجُبَّةَ، ففتقَ جَيْبَهَا واسْتَخْرَجَ الكِتَابَ فقرأَه وكتب جوابَهُ وجَعَلَهُ في جَيْبِ الجُبَّةِ وَخَاطَ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ. فلمَّا أَصْبَحَ الرَّجُلُ لَبِسَ جُبَّتَهُ ورجعَ إلى إِشْبِيلِيَّةَ وقصد باب دار الإمارة، واسْتَأْذَنَ، فَأُدْخِلَ على المعتضِد، فقال له اخلع تلكَ الجُبَّةَ - وكَسَاهُ ثيابًا حسانًا فرح بِها البدوِيُّ، وخرج من عنده فرحا يَرَى أَنَّهُ قد خَلَعَ عَلَيْه، ولم يعلم فيم ذَهَبَ ولا بِمَا جَاءَ. وأَخَذَ المعْتَضِد الكِتابَ مِنْ جَيْبِ الجُبَّةِ، فقرأَهُ وتَمَّمَ ما أَراد من أَمْرِهِ.

1 ـ في حي القصبة

مررت أمام المظلّيّين في مدخل الحَيِّ العربيّ، ولكن لم تُخفْنِي عُيُونهمْ الزَّرْقَاءُ المليئَةُ بِالْقَسْوَةِ وَكَانَ مخلوف يَسِيرُ على بعدِ خطوات، فلمَّا بلغَ الحَيَّ العربيَّ أمره المظَلِّيون أن يرفعَ يديه وأن يستديرَ مُوَاجِهًا الجِدَارَ ثُمَّ رَأَيْتُهُمْ يُفَتِّشُونَهُ ثُمَّ طَلَبُوا منه الهُوِيَّةَ وسَجّلوا اسمهُ.

وبعد قليل رأيته يَضَعُ أَوراقَهُ الثُّبُوتِيَّةَ وَيُصْلِحُ هِنْدَامَهُ ويسير هادئًا مطمئنَّ البال. ثمّ جاءت اللّحظة الحاسمةُ ووجَدْتُ نفسيأَمامَ المظلّيين ورأيتُ رشّاشاتهم الصَّغِيرَةَ المَعَلَّقَةَ على أكتافهم العريضةِ ولمحت الوحْشِيَّةَ والقسوة تلمع في عيونهم الزّرقاء. ثمّ اتَّجهَ بَصَرِي إلى مخلوف ولَمْ أَعد أرى المظلّيّينَ والرّشاشاتِ المعلقةَ على أكتافهم ووجوهَهُمْ القَذِرَةَ : فقد كانت عيناي مُعَلَّقَتَيْنِ بمخْلوف وكُنْتُ أَحِسُّ أَنَّ جَمِيعَ كِيَانِي يَتَّجِهُ إليه في شوق وحرارة وانْتظَرْتُ الكَلِمَةَ الرَّهِيبة التي تأمُرني بالوقوفِ

ورَفْع اليَدَيْنِ ومواجهة الجِدَارِ ولَكنَّ الكلِمةَ الرّهيبة لم تأتِ ومرَرْتُ بِسلام ولحقتُ بمخلوف وكانَ ينتظرني في مُنْعَطَفِ الشّارع وكُنَّا قد اقتربنا آنذاك من مركز البوليس فقال مخلوف افتحي العُلْبَةَ يا زُهُورُ، نَاوِلِيني قُنْبُلَةً. اختبئي هنا وراءَ الجدار.

وبعد دقيقة واحِدةٍ دوَّى انفجارٌ رهيبٌ هزَّ أَركانَ المدينة، وسمعت زجاج المدينة يتساقط هنا.

ـ ناوليني القنبلة الثَّانِيةَ

كان ينوي أَنْ يرميَ القنبلةَ على نفس المركز، ولكنَّهُ أَبصر دورِيَّةً عسكريَّةً مقبلةً من شارع مجاور. واندفع نحوها حتّى صار بالقربِ منها ورمى القنبلةَ وسمعتُ دوِيًّا قوِيًّا أَعقبته طلقات مدفع رشاشٍ وخلالَ الطَّلقاتِ التِي لم تنقطعْ سمعت صوتًا قويًّا يصرخُ بافتخار وتحدٍّ: « تَحْيَا الجـزائِرُ »

حنفي بن عيسى

2 ـ وطنـــــي

ســـواد العـــين يا وطنِي فـــداك
وقلبي اليوم لا يـــوَدُّ سوى عُـــــــلاكَـا

نشـــأت على هـــواك فتًى وَفِيًّـــــا
وما عوَّدتَّنِـــي إلاَّ وفـــــــــاكـــــا

رضعت مع الحليبِ هَـــــواك صِـرْفا
فعزَّزَنِي وشَرَّفَنِـــــــــي هـــــواكـــا

ســأَبذُلُ مُـــهجَـتِي ودَمِـــي وقَلْـبِي
فـــدى شـــرف تسلســـل في دماكـــا

فما لِي في سواك حِمًـــــــى مَنِيـــعٌ
وهل يحمي بنيك ســـــــــوى حمـــاكا

لقد أَبقيت لي شرفي مصونًـــــــــــا
وليس يذود عـــــن شـرفِي ســـواكـــا

سـأنشر في الورَى ذِكْـراك حتَّى
يَفُـوحَ بِـكُـلِّ نـاحِـيَّـة شَـذاك

وأجعـل في الفُـؤَاد هَـواك دِينًا
وأَجْـرِى طبق مـا يهوى عـلاك

جَعَلْـتُك بعـدَ ربِّـي خَـيْـر رَبٍّ
وما ظلَّ الأُولى عَبَـدوا بَـهـاك

فكَـمْ أنجبت من مولًـى خطيرٍ
بنى للمجـد صَـرحًـا في ذُرَاكـا

وكَمْ أنبتَّ من بَطَـل كَمِـيٍّ
أَنالـك مـا تعـذَّرَ مـن مُنـاكـا

وكمْ نَشَّأْـت منْ حرٍّ أَبِـيٍّ
كَسَاكَ مِـنَ المفـاخِـرِ مـا كساكـا

عليك وَقَفْتُ ياوطَنِي، حَـيـاتِـي
ومـا أشهى المنيـةَ في رضـاكـا

الخوري بطرس البستاني

3 ـ تحن الى وطنها

هَوِىَ بَعْضُ خُلَفَاءِ بَنِي العَبَّاسِ أَعرابيةً فتزوّجَ بها، فلم يوافقها هواءُ المدُنِ؛ فلم تزَل تعتَلُّ وتتأَوَّهُ مع ما هيَ عليه من النَّعِيم والـرَّاحَةِ والأَمرِ والنَّهْيِ، فسأَلها عن شأنها فأَخبرتْهُ بِما تجد من الشَّوقِ إلى البراري وأَحاليب الرُّعاة وَوُرُودِ المياهِ التِي تَعَوَّدَتْ، فَبَنَى لها قصْرًا على رأسِ البَرِّيةِ بِشَاطِيءِ دِجْلَةَ وأَمَرَ بالأَغنام والرُّعاء أَن تسْرَحَ بين يديها وتتراءَى لَهَا، فلم يزدها ذلِكَ إلاَّ اشتياقًا ألى وطنهَا.

ثمّ مرَّ بها يوما في قصرهَا من حيثُ لا تَشْعَر بمكانه فسمعها تَنْتَحِبُ وتَبْكِي حتَّى ارْتَفَعَ صوتها وعلا نحيبها ثمّ قالت:

وَمَـــا ذَنْبُ أَعْـرَابِيَّـة قَذَفَتْ بهـــا
صُـرُوفُ النَّـــوَى مِنْ حَيْثُ لم تَكُ ظَنَّت

تَمَنَّتْ أَحـــالِيبَ الـــرُّعَاةِ وخَيمـــةً
بِنَجْد، فلـــم يُقْضَ لهَا مَـــا تَمَنَّـــت

إذَا ذَكَـــرَتْ مَاءَ العُـــذَيْبِ وَطِيبَهُ
وبَـــرْدَ حَصَـــاهُ ـ آخـر اللّيل ـ أَنَّتِ

لهَـــا أَنَّـــةٌ عنـــد العِشَاءِ وأَنَّـــةٌ
سحيرا، ولـــولا أَنَّـاتُهَـــا لَجُنَّـــتِ

فخرج عليها الخليفةُ وقال: قد قُضِيَ ما تَمَنَّيْتِ، فالْحقِي بأَهْلكِ من غيرِ فرَاق. فما مرَّ عَليها وقتٌ أَسَرُّ من ذلك، وسَرى ماءُ الحَيَاةِ في وجْهِهَا مِنْ حِينِهَا. والتحَقَتْ بِأَهْلِهَا بِجَمِيع ما ما كان عندها في قصرها، وَظَلَّ الخَلِيفةُ يزُورُهَا في أَهلها بَيْنَ الحِينِ والحين.

4 ـ ذاك حب الاوطان

ليس حُـبُّ الأَوْطَـــانِ في لُبْسِ خَزٍّ
واختيال تغَارُ منـــــه النِّســـاءُ

وانصرافٍ عـــن كـــلِّ عِلْـــمٍ وتَفْرِ
يقِ قـــلـــوب بهـــا يقومُ النَّمـــاء

وانْشِغَال عَـــن البـــلادَ بـأَهـــوا
ءِ نفـــوسٍ قد صـــدَّ عنهَـــا الحَيَـــاء

واتِّخـــاذِ المنـــاصِبِ الـغُـــرِّ أَسبَابَ
عِـــدَاء يُرْمَى بِهَـا الأَبْرِيَـــــاء

إنَّ حُبَّ الأَوْطَـــانِ عَـــدْلٌ وحِلْـــمٌ
وَثَبَـــاتٌ وَعِـــزَّةٌ ووَفَـــــاء

واصطِبـــارٌ على الزَّمَانِ وتَـــاليـــ
ـفُ قُلُـــوب وغَيْـــرَةٌ وإبَـــاء

وجهـــاد في كلِّ فَضْـــل وحَـــرّ
يَّـــةُ قـــوْل وأَنْفُسٌ شَمَّـــــاء

وقلـــوبٌ لا تنثَنِي في الذِي تَبْغِـــي
ولـــو حـــالَ فيه نـــارٌ ومـــاء

وأَكُـــفٌّ تَعَـاقَدَتْ تَكْتُـــبُ المجْـدَ
لـــوَ أَنَّ الحـــروفَ فيـــه دِمـــاء

ذَاك حُـــبُّ الأَوطـــانِ، ياأَيُّهَا النّا
سُ، وهـــذِي صِفـاتُـــه الغـــرّاء

كُلُّنـــا واحِـــدٌ لنـــا وطنٌ فـــر
دٌ، وان عـــدِّدَتْ بِنـــا الأَسمـــاء

إنّما نحنُ هيكَـــلٌ واختـــلافُ الـ
اســـم وَهْـــمٌ فكلّنَـــا أَعضـــاء

وسبيـــلُ العُـــلَى قَـــرِيبٌ هُوَ الأُلـ
ـفَةُ فِيهـــا المُنَى وفيهَـــا الـرّجَـاءُ

نجيب الحدّاد

5 ـ من الشهيد

كان لتَيْمُور لَنْكَ قَلْبٌ أَقْسَى منَ الحديد، وأَصْلَبُ مِنَ الجُلْمُودُ ؛ لا تَأخُذُه رأفةٌ ، ولا تلجُهُ رَحْمَةٌ. سُلِّطَ على مَمَالِك آسِيَا فَدَوَّخَهَا، وَصَادَ سَلاَطِينَهَا، وأَبَادَ البلاَدَ. وأَهْلَكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ، وأَزْهَقَ النُّفُوسَ، وَبَنَى القِلاعَ منَ الرُّؤُوسِ، وكان كَمَا حَدّث عن نفسِه « في مقدَمِهِ ثَلاَثَةُ أَشْيَاءَ : الخَرَابُ والقَحْطُ والوَبَـاءُ ».

ولمَّا فَتَحَ « حَلب » واسْتَوْلَى على قَلْعَتِهَا دعا عُلَمَاءَهَا وقُضَاتَهَا، فانْتَخَبُوا مِنْ بَيْنِهِم مَنْ يُجِيبُ عَنْهُم، وهُوَ ابْنُ الشِّحْنَةِ أَحَدُ العُلَمَاءِ المشهورين، وَكَانَ يَلَذُّ لتَيْمُورُ لَنْكَ مُجَالَسَةُ العُلَمَاءِ ورُؤْيَتُهُمْ ومُنَاقَشَتُهُمْ، ومَنْ يَزِلُّ مِنْهُمْ لاَ يَرْحَمُه. انْعَقَدَ المجْلِسُ وفيه تيمور لنك وأَمَامَهُ عَبْدُ الجَبَّارِ المعْتَزِلِيِّ الخُوَارِزْمِيُّ و العلماءُ ؛ فقال عبد الجبار : سُلْطَانُنَا يقول إِنَّهُ بِالأَمْسِ قُتِلَ مِنَّا وَقُتِلَ مِنْكُمْ فَمَنِ الشَّهِيدُ ؟ قَتِيلُنَا أَمْ قَتِيلُكُم ؟ فَوَجَمَ الجَمِيعُ وَقَالَ العُلَمَاءُ فِي أَنْفُسِهِمْ : هَذَا واللهِ ما بَلَغَنَا عَنْهُ مِنَ التَّعَنُّتِ. وأُحْرِجَ

ابْنُ الشِّحْنَةِ حَقًّا، أَيَقُولُ قَتِيلُكُمْ فَيُكْذِبُ نَفْسَهُ وَيُغْضِبُ رَبَّهُ أَوْ يقول قتيلُنَا فَسيفُ تيمور على رأسه ؟ ولكنّه كان داهيَةً مُلْهَمًا ؛ فقال : هذا سؤال سُئِلَ عَنْهُ الرَّسولُ صَلى اللهُ عليه وسلَّم وأَجاب عنهُ .

فَبُهِتَ الحَاضِرُونَ وظَنُّوا أَنَّ الشَّيْخَ أَدْرَكَهُ الخَبَلُ وغَضِبَ تيمور وَقَالَ : أَيَسْخَرُ مِنْ كَلاَمِي ؟ كيف سُئِلَ الرَّسُولُ وكيفَ أَجَابَ ؟ قالَ : جَاءَ أَعرابِيٌّ إلى الرَّسُولِ وقَالَ : إنَّ الرَّجُلَ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً ويُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ ليُرَى مكَانُهُ، فَأَيُّنَا فِي سَبِيلِ الله ؟

فقال : « من قاتل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُلْيَا فهوَ الشَّهِيدُ »

فسُرَّ تيمور لهذا الجوابِ وأُعجب بِدهاءِ الشَّيْخ ولُطْفِ بَدِيهتِهِ .

أَحمد أَمين

6 - من وحي 5 جويلية 1830

أَكبـــادُ مـــن.. ؟ هَذِي التي تَتفطَّـــرُ
ودمـــاءُ مَن.. ؟ هـــذِي التـــي تتقَطَّرُ

وقـــلـــوبُ مَـــن.. ؟ هذي التي أَنفاسها
فَوْقَ المـــذَابـــحِ للسَّـــمَاء تَعَطَّـــر

ورؤوسُ مـــن.. ؟ تلك التي تَرقَى إلى
حبـــلِ المَشانـــقِ طَلْقَـــةً تَتَبَخْتَـــرُ

ومـــن الذِي.. ؟ عَـــرْضَ الجـــزائر شبَّها
من كلِّ شـــاهِقَـــةٍ -، لَظًـــى تَتَسَعَّرُ

* * *

أَرضُ الجـــزائر والســـمـــاءُ تَحالفَـا
فاختـــطَّ حلفَهُمـــا النَّجِيعُ الأَحْمَـــرُ

إنّ الجـــزائـــرَ لم تَنَـــمْ عنْ ثـأرها
أَو تُنسِهـــا أَلَمَ المُـصـــابِ الأَعْصُـــر

هل جئتَ يا « يــوليــو » تُذَكِّرُنَا الأَسَى ؟!
عَهْدِي بِنَا طُــول المَــــدَى نَتَــــذَكَّــرُ

وَيْحَ الــــقوِيِّ مِنَ الضِّعَافِ إِذَا هُــــمُ
يــــومَ القِصَاصِ على الطُّغَــــاةِ تَنَمَّــرُوا

وإذا الجــزائر بالسِّلاحِ استُعْبِــــدَتْ
فمصيــــرُهــــا بسلاحِها يتقــــــــرَّرُ

إن كان « يــوليــو » في الشُّهُورِ كبابنــا
فشفِيعُ « يُــوليــو » في الشُّهُورِ « نُفَمْبَــرُ »

ابن تومرت
(جريدة المجاهد الجزائرية)

7 ـ شهداء السيجومي

هُنـــا في البُحيرةِ . . حيـــث ازدَرَيْتُـــم
مـــن القتْلِ والمعتَدِي والـــزَّمَـــنْ

وَ أنتـــم جميعـــا هنـــا تنشـــــدون
ليحـــيِ الـــزعيمُ. ليحـــيَ الـــوطـن!

أَرَدْنَـــا العُـــلاَ، لا نَـــهَـــابُ الـــرَّدَى
فـــإمَّـــا المـــرَامُ وإمَّـــــا الكَفَـــن

* * *

هُـــنـــا في البحيـــرة حيث سقطتـــم
وســـالتْ دمَـــاؤُكُمْ الغَـــالِيَّـــهْ

لتَنبُـــتَ حُرِّيَّةُ الأَبْـــرِيـــــاءِ
وتُورِقَ أَغْصـــانُهَـــا القَـــانيَـــه

وينتصِـــرُ الحَـــقُ في أَرضنـــا
ويَنْشُـــرُ أَعـــلامـــهُ الغَـــاليَـــه

هُنَا فِي البُحَيْـــرَةِ حَيْثُ اصطُفِيتُـــمْ
وَطِرْتُمْ إلى جَنَّةِ الخَالِدِيـــــــنْ

رَفَعنَـــا لوَاءَ الـــبِـــلاَدِ المفَـــدَّى
بِـــأَيدٍ حَدِيديَّةٍ لا تَلِـــــيـــــنْ

وَنَحْنُ نُغَنِّي نَشِيدًا بَدِيعًـــــــا
مَجِيـــدًا تَـــرَدَّدَ فـــي الـــعـــالَميـــنْ

* * *

نشيـــدًا يثـــور بـــأَعْمَـــاقِنَـــا
قَـــوِيًّـــا فَيُلْهِـــبُ مِنَّـــا الشِّفَـــاهْ

تَرَدَّدَ فِي الافُقِ مثْـــــلَ الـــرُّعـــودِ
يُنـــادي الشَّبَـــابَ لِمَجْـــدِ الحَيَـــاهْ

ومِنْ فَوقنا العَلَمُ المسْتَقِـــــــلُّ
يُرَفْـــرِفُ في مجـــدِهِ وعُـــــلاهْ

* * *

وظلَّت على العشْـــبِ أرواحُـــكُـــمْ
عصـــافيرَ تَـــرْمُقُنـــا من بعيـــدْ

يُـــدَاعِبُهَا الزَّهْـــرُ والأُقْحُـــــوَانُ
وتَـــرْقُصُ هَـــازِجَةً بالنَّشِيـــــــــــد

تُبَارِكُ لِلشَّعْـــــبِ ذَاكَ الثَّبَـــــاتَ
وتُبْصِـــــرُ عهـــدَ البلادِ السَّـــــعِيد

* * *

مَضيتـــــم ومـــــن بعدكـــم قـــد ثأرْنـــا
لأَرواحكم في مجَـــــالِ الكِفـــــــاح

وَسِـــــرْنَـــا إلى مجدِنَـــــا، والدِّمَـــاءُ
تُضَـــرِّجُ تلـــك الرُّبَـــــى والبِطَاح

إلى أَن تَحَطَّمَ بـــــأس الطُّغَـــــــاة
بـــأَبطالنَـــا وأَطَـــــلَّ الصَّبَـــــاح

محمّد العربي صمادح
« عن مجلة النّدوة »

8 ـ عبد الله بن الزبير وأمه

دخَلَ ابْنُ الزُّبَيْر على أُمِّه أَسماءَ بنتِ أَبي بَكْر في اليَوم الذي قُتِلَ فِيهِ وقَدْ رأَى من النَّاسِ ما رأَى من خذْلانِهِمْ فقال :

يا أُماهُ ! خَذَلَنِي النَّاسُ حَتَّى وَلَدِي وَأَهْلِي، فلمْ يبْقَ معي إلاَّ اليَسِيرُ ممَّنْ ليسَ لهُ من الدَّفْعِ أَكثرُ من صَبْرِ سَاعَةٍ، والقَوْمُ يُعْطُونَنِي ما أَرَدتُ مِنَ الدُّنْيَا، فما رأْيُك ؟ فقالت : أَنت والله يا بُنَيَّ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ. إن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ على حَقٍّ، وإِلَيْهِ تَدْعُو، فامضِ لهُ، فقد قُتِلَ عَلَيْهِ أَصحابُكَ ولا تُمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَلَعَّبُ بِهَا غِلمَانُ بَنِي أُمَيَّةَ .

وإنْ كنت إنَّما أَردتَّ الدُّنْيَا فَبِئْسَ العَبْدُ أَنْتَ، أَهلكتَ نفسك وأَهلكتَ من قُتِلَ مَعَكَ. وإن قلْتَ كُنتُ عَلى حَقٍّ، فَلمّا وَهَنَ أَصحابي ضَعُفْتُ فَهَذَا لَيْسَ فِعْلَ الأَحْرَارِ ولا أَهْلِ الدِّين. وكَمْ خُلُودُكَ فِي الدُّنْيَا؟القَتْلُ أَحْسَنُ ! واللهِ لَضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ في عِزٍّ أَحَبُّ إِلَيَّ من ضَرْبَة بِسَوْط فِي ذُلٍّ ! قَال : إِنِّي أَخافُ إن قَتَلُونِي أَن يُمَثِّلُوا بِي. قالت يا بنَيَّ إنّ الشَّاةَ لا يضُرُّهَا سَلْخُهَا

بَعْدَ ذَبْحِهَا. فدنا ٱبن الزُّبَيْرِ فقبَّلَ رأسَهَا، وقَال: هذا واللهِ رأيي، والذي قمتُ بِه داعِياً إلى يومي هذا ما ركنتُ إلى الدُّنيَا ولا أَحْبَبْتُ الحيَاةَ فِيهَا. ولكنِّي أَحبَبتُ أَن أَعْلَم رأْيَك فزِدتِّنِي بَصِيرَةً مَعَ بَصِيرَتِي.

ثمّ ودّعها وخرجَ ولم يلبثْ أَن قُتِلَ.

عن قصص العرب

9 ـ الى طغاة العالم

أَلا أَيُّهـــا الظَّالمُ المستَبِـــــــــدُّ
حَبِيبَ الظَّلامِ، عَـــدُوَّ الحَيَـــــــاهْ

سَخِرْتَ بِأَنَّاتِ شَعـــبٍ ضَعِيـــف
وكفُّـــك مخضُوبَةٌ مِـــنْ دِمَـــاه

وســـــرت تُشَـــوِّهُ سِحْرَ الـــوُجُـودِ
وتبـــذُر شـــوك الأَسى في رُبَـــاه

* * *

رُوَيْدَكَ ! لا يَخْـــدَعنْـــك الربيعُ
وَصَحْوُ الفضَاءِ، وضَـــــوءُ الـصَّبَـــاح

ففِي الأُفُقِ الـــرَّحْبِ دَـــوْلُ الظَّلامِ
وقَصـــفُ الـــرُّعُـــودِ، وعصْفُ الرِّياح

حَـــذَارِ ! فتَحـــتَ الرَّمَـادِ اللَّهِيبُ
و مَنْ يَبْذُرِ الشّوكَ يَجْنِ الجِـــــراح

تَـــأَمَّـــلْ ! هُنَـــالكَ . . . أَنَّى حَصَدتَّ
رُؤُوسَ الوَرَى ، وزُهُورَ الآمَـــــــــــلْ

وَرَوَّيتَ بالـــدَّم قلـبَ الـــتُّـــرَابِ
وأَشـــربته الـــدَّمـــعَ ، حَتَّى ثَمِـــل

سَيَجْرُفُكَ السَّيـــــلُ، سيلُ الدِّمَـــاءِ
ويأكلك العـــاصف المشتَعِـــــــل

(أَبو القاسم الشابي)

10 ـ خطبة ابي حمزة الشاري

خَطَبَ أَبو حمزةَ الشَّارِي. فصعد المنبر مُتَوكِّئًا على قَوْسٍ. ثمّ قال: يا أَهلَ مَكَّةَ، تعيِّرونني بأَصحابِي،تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شَبَابٌ، وهل كان أَصحاب رسول الله إلاَّ شبابٌ !؟ نعم شباب والله، مكتهلون في شبابهم، عَمِيَّةٌ عَنِ الشَّرِّ أَعْيُنهم، بطيئةٌ عن الباطلِ أَرجلُهم، قد نظر الله إليهم في آناء اللَّيْلِ مُتَثَنِّيَةً أَصلابُهُمْ بمثاني القرآن، إذا مرّ أَحدُهُمْ بآية فيها ذِكرُ الجَنَّةِ بَكَى شَوقًا إليها، وإذا مرَّ بآيةٍ فيها ذِكْرُ النَّارِ شَهَقَ كأَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ فى أُذُنَيْهِ. قد وصلوا كَلاَلَ ليلِهم بكلاَلِ نهارهم أَنْضاءُ عبادة، قد أَكلتْ الأَرضُ جِبَاهَهُمْ وأَيْدِيهُم ورُكَبَهُمْ، مصفَرَّةٌ أَلوانُهُمْ نَاحِلَةٌ أَجسامهم من كثرة الصِّيام وطولِ القيامِ، مستقلُّون لذلك في جَنْبِ الله مُوفُونَ بِعَهدِ الله، منجزونَ لعَهْدِ الله حَتَّى إذا رأَوا سهامَ العَدُوِّ قد فُوِّقَتْ، ورماحَهُمْ قَدْ أُشْرِعَتْ، وسيوفَهم قد انتُضِيَتْ وبَرَقَتْ الكَتِيبَةُ ورعدتْ بصواعقِ الموْتِ ـ استهانُوا بِوَعِيدِ الكتيبة لوعيد الله، فمضى الشَّابُّ مِنْهُمْ قُدُمًا حَتَّى تَخْتَلِفَ رِجْلاَهُ على

عُنُقِ فَرَسِهِ، قَدْ زُمِّلَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ بالدِّمَاءِ وَعُفِّرَ جَبِينهُ بالثَّرَى، وأَسرع إِليه سباعُ الأَرْضِ، وانْحَطَّتْ عَلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ. فكَمْ من مقلةٍ في منقار طائرٍ، طالما بكى صاحبها من خشيةِ الله، وكمْ من كفٍّ بانت في معصمها، طالما اعتمد عليها صاحبُهَا في سجودِهِ، وكم من خَدٍّ عَتِيقٍ وجَبِينٍ رَقِيقٍ قد فُلِقَ بِعُمدِ الحَدِيدِ! رحمةُ الله على تلك الأَبدانِ، وأَدخلَ أَروَاحَهَا في الجَنَانِ! ثم قال: النَّاسُ مِنَّا ونَحْنُ مِنْهُمْ، الا عَابِدَ وثَن، أَو كفرةَ أَهْلِ الكتابِ أَو إِمامًا جَائِرًا أَو شادًّا على عَضُدِهِ.

من صور الكفاح التونسي :

11 ـ حقيبتان

أخذ صالح بغلا كان مربوطا بالكوخ ، وتسلل مع رفيقيه رشيد وعبد المؤمن من القرية المختنقة ، واندسوا في الظلام ، واتجهوا صوب الجبل يتسلقونه ، متحرزين من الاعين ، سالكين طرقا وعرة ملتوية ، فصالح خبير بوعثاء هذه الارض ، ومنعرجاتها وجبالها ، ولكن عبد المؤمن لم يكن يعرفها جيدا ، فهو لم ينشأ بها ولم يدرج في احضانها ، فلقد وفد عليها ، واذ هو يؤدي عمله تاركا خلفه صخب المدينة ، فكانما ظفر بحقيقة الشعب المكافح في هذه القرية فأحبها وأحب في اهلها سلامة الطوية وصفاء الجوهر ، وسذاجة الاندفاع ، والصبر على الجهد والصمود في الكفاح فهو لم يتعود هذا السير القسي ، ولا تسلق شم الجبال ، لذلك كان يتعثر ، ويبذل جهدا ليلحق بصالح الذي أخذ يقفز قفزا ، ويحث الخطو حثا كانما كان يمشي في منبسط من الارض .

لقد كانت قطرات المطر تصفع وجهه ، والبرد يلذع جلده ، والريح تدوم في أذنيه فيحس بالاعياء والاختناق ، ولكنه كان يسير ... ويسير ... ويوغل في السير ... يحدوه الأمل ، ويدفعه الايمان ، انه يشق ذلك الديجور شقا متحسسا طريقه ، متبعا خطى صالح ، ماسكا من حين لآخر بذيل البغل خشية ان تنزلق به قدمه فيهوى في مكان سحيق .

... وأحس ـ فيما أحس ـ أنه ينحدر ، وأحس أنه كانما رفه عن نفسه ، والقى عنه ، فلا بد أنه اشرف على القمة وأخذ في النزول ، ولا بد أن يكون الانحدار أقل مشقة مما كان فيه من صعوده . وهمس صالح : أن قد قربنا ، ونظروا فاذا هم يبصرون من بعيد شبحا يتحرك في الظلام ، فلعله الحاج عمر ، ومن عسى ان يكون غيره في هذا الليل الأليل ؟ ومالوا اليه فاذا هو بعينه في عباءته البيضاء ، وعمامته التي شدها على فوديه ، وتقدم عبد المؤمن الى السيارة فانهد على مقعدها ، وتبعه رشيد فانتصب حذوه ، وانتصب الحاج عمر أمام المقود ، وجذب صالح الحقيبتين ودفعهما الى عبد المؤمن ، ثم ضبط على يده وودع ، وتحركت السيارة ... وانطلقت تنهب الارض ، انها عتيقة ... جدا ، فلعلها أول سيارة دخلت القرية ، يبدو ذلك من شكلها ، ومن نتوء أسلاكها ، ولكنها تمشي على كل حال ... تجري كما لو كانت جديدة ... انها تحدث دويا كهذا الدوي الذي يراس عبد المؤمن ، انه كالصدى البعيد يتردد في أذنيه : « حقيبتان ... ملئتا ذخيرة ... أعدتا ليوم عظيم ... حقيبتان ... »

وتجري السيارة ... ويتردد الصدى البعيد ... وتقف السيارة فجاة فينزل عبد المؤمن بحقيبته ، ولما يبدو وضح الفجر ، ويتبعه رشيد ... انه يكاتفه ، انه يمشي خلفه ، انه يتوارى عنه ... انه يعود خلفه ... ويشقان المدينة النائمة ... لا شيء في الأفق ... لا شيء ... انهما يقتربان من مكان معلوم ... انهما يقتربان ... ويدوي صوت في الفضاء : قف مكانك ! ، قف ولا تتحرك ، أنت قبض يدي ! . وتنبعث طلقة نار ... ثم تعود المدينة الى نومها ... لا شيء ... لا شيء ...

ويتنفس الصبح فاذا الناس يتهامسون بان ضابطا من ضباط الشرطة قد وجد قتيلا في حي من أحياء العاصمة .

محمد فرج الشاذلي

12 ـ جميلة بوحيرد

وأدركها من عيـونِ البُغَـــــاةِ
رجـــالٌ قلُـوبُهُمْ جَـــافِيَّـــه
أحاطوا بها في جـنُـون الغَبَـــاء
سبنـــاعًـــا مُقَحَّمَـةً ضاريَـــه
وظنُّـوا لباسهم شـــوكـــــةً
ولكنهـــا شـوكة فـانيـــــه
وشاؤوا فكـانوا قُساَة النَّكـــال
وما حسِبُـــوا أنَّهـا الـــدَّاهِيَـــه
وعذَّبَهَـــا القَيدُ، قيدُ الحديـــدِ
فكـــانت معذَّبـــةً راضيـــه
عنيفٌ من الشَّـــرِّ لاذُوا بـــــه
لتحطيم عـــزمتهـــا الماضيـــه
فما خدشُـــوا كبريـاءَ الصُّـــمُودِ
ولا قَلْقَلُوا الصَّخْـــرَةَ الـرَّاسِيـــه
وهيهـاتَ هيهـات أن يفعلـــوا
وفي قلبها القُـــوَّةُ العَاليَـــــه

وهل تقهَر اللُّبآتِ حـــــــرابُ
بـــأَيـــد مُـرعَّشَـــة وَاهِيـــه
لقد جهلُـــوا كُنْهَ ذَاك اليقيـــنِ
وقـــد جهلـوا، بَطَـرًا مـاهيَـــه
وألهاهم الشَّـــرُّ أَنْ يُبْصِـــــروا
وهـــل تُبصِـرُ الأُعينُ العَـــامِيـــه
وقامت جميلةُ من دونهـــــمْ
قيـــامَ المـــدجَّجَـــةِ الحـــاميَـه
تُـرِيهم سخـافةَ مَـا يفعـــلـونَ
بِبسمتها العذْبَةِ الـــــزَّارِيـــه
جميلـــةُ أَنتِ الوُجُـــودُ بِمـــا
تُـرِيدِينَ مختارةً رَاضيـــــــه
وأَنتِ الحيـــاةُ وأَكـوانُهـــــا
بمـــا فِيكِ من عـــزْمَةٍ مـــاضيه
وذاك الاله السَّـــخِيُّ السَّنَـــــا
يُبَارِكُ أَحـــــلامَكِ الـــزَّاكيَـــهْ

أحمد المختـــار الوزير
(الدِّيـــوان)

1 ـ ليلة الفزع

غابت الشَّمسُ مُصفَرَّةً مُحْمَرَّةً خَجِلَةً في موكبٍ من السُّحُبِ الدَّكناءِ وخرجَ منْ بَقِيِ في المدينةِ من العَمَلَةِ على العرباتِ والحميرِ إلى القرى المجاورةِ . وسادَ البحرَ صَمْتٌ مُخيفٌ أسودُ قاتمٌ مملوءٌ بالفواجعِ، وانْسَلَّ الحرَّاسُ بَيْنَ الأَزِقَّةِ الخاليةِ الموحشةِ وخرائبِ الدِّيارِ المهدَّمةِ، والأسواقِ الخاويةِ على عروشها، واستولى السُّكُونُ الموحِشُ على المدينةِ الجريحةِ الممزَّقةِ الأحشاءِ المفكَّكةِ الأوصالِ.

فهل ستأتي الطَّائِرَاتُ ؟ علمَ الله !

دقّت السّاعة التّاسعةُ فوجَبَت القُلُوبُ وَعَوَت الفزّاعةُ عُوَاءً مُتَواصلاً حَزِينًا باكيًا فيه أَنَّةٌ وتَوَجُّعٌ وفيه إنْذَارٌ بالوَيْلِ والثُّبُور ووارتْ الطِّفْلَةُ الصَّغيرةُ رأسها في حجر أُمِّها وبكتْ، واختبأَ الطِّفلُ بين رجليْ أبيه ونهضتْ العائلةُ مذعورةً وارتَدَتْ ما خَفَّ من الثِّيابِ وفتحت الأبوابَ وبادرتْ إلى الخنادقِ بين جَلَبَةِ الهاربين وذُهُولِ الخائفينَ وَعَوِيلِ البَاكينَ وأَدْعِيَةِ الدَّاعينَ وصُرَاخِ الصَّارِخِينَ وَلَمَعَتْ بروقُ الدِّفَاعِ الجَوِيِّ وولْوَلَتْ طَلَقَاتُهَا وتَطايرِ شرارُهَا، واندفعت ألسنُ نارها واشتعلت في الجوِّ أَشِعَّةُ الرَّصَاصِ الرَّاسِمِ فكانت مشتبكةً من نورٍ مختلِفِ الألوانِ

متقاطع الخُطُوط، وسُمِعَتْ فِي البَعِيدِ وَنْوَنَةُ الطَّائِرَاتِ صَمَّاءَ فِي الأَوَّلِ تَـزْدَادُ قُوَّةً بَيْنَ الآوِنَةِ والآوِنَةِ.

وارْتَجَّ الهَوَاءُ والأَرضُ من طلقاتِ المدافع وأَزِيزِ الرَّصاصِ ودوِيِّ المحرِّكَاتِ وانْفِجَارِ القنابلِ وتجاوَبَتِ الأَصدِيَةُ، وارتَجَفَت القُلُوبُ وارْتَعَدَتِ الفرَائِصُ وَشَحَبَتْ الوُجُوهُ واقْشَعَرَّتِ الجُلُودُ من الذُّعْرِ الكَبِيرِ، ووجَمَ النَّاسُ وُجُومًا وحاولت العيونُ أَن تتلاقى في الظَّلامِ أَو فِي نورِ برقِ المدافع لتتساءَلَ وَتتحادثَ في صمت فاجع وتقاسم الجوَّ النّورُ القاتِلُ الدَّامِي والدَّوِيُّ الأَصَمُّ، والجَلَبَةُ المفْزِعَةُ.

وفجأَةً انحدرَ سربٌ مِنَ الطَّائِرَاتِ إلى المدِينَةِ فأَرسَلَ عَلَيْهَا وابِلاً مِنَ القَنَابِلِ ارتجَفَتْ لها الأَرْضُ والجوُّ والأَفْئِدَةُ وَتَصَاعَدَتْ منها أَعمِدَةٌ من النَّارِ والدُّخَانِ والغُبَارِ والأَحجـارِ وتساقطت السّقوفُ والجُدُرانُ كأَنَّهَا قُصُورٌ مِنَ الوَرَقِ فِي ضَوْضَاءَ تُفْزِعُ الأَسماعَ وَتُمَزِّقُ القُلُوبَ. ولم تبقَ إلا أَكامٌ من النَّارِ والدُّخَانِ والحَدِيدِ المندلِع والخشَبِ المحترَقِ والحجرِ الملتَهِبِ، وسادَ الصَّمْتُ من جديدٍ إلاَّ مِنْ أَنين المحتضَرِينَ وَعَوِيلِ الجَرْحَى ونَحِيبِ البَقِيةِ من السَّاكنينَ.

عثمان الكعاك

2 ـ الحـرب العظمى

لاَ هُمَّ إنَّ الغَرْبَ أَصبحَ شُعْلَـةً ... من هولها أُمُّ الصَّـوَاعِقِ تَفْرَقُ

العِلمُ يُذْكِي نَـارَهَا، وتُثِيرُهَـا ... مَدَنِيَّةٌ خَرْقَـاءُ لا تَتَرَفَّـقُ

ولقد حسبتُ العلمَ فيناَ نِعْمَةً ... تأسو الضَّعِيفَ ورحمةً تتدفّـق

فـإذا بنِعمتهِ بلاءٌ مرهِـقٌ ... واذا برحمته قضـاءٌ مُطْبَـق

عَجَزَ الرُّمَاةُ عَنِ الرُّمَاةِ فَأَرسَلُوا ... كِسْفًا يَمُوجُ بِهَا دُخَان يخْنُق

تتعوَّذُ الآفاقُ منه وتنثنِـي ... عنه الرِّياحُ ويتَّقِيهِ الفَيْلَـقُ

وتنَابَلُوا بالكِيميـاءِ فأسرَفُـوا ... وتساجلوا بالكهرباءِ فأَغْرَقُـوا

وتنازلوافي الجوِّ حين بَدَا لَهـم ... أَنَّ البَسِيطَةَ عنْ مَدَاهُمْ أَضيَق

نفسوا على الحِيتَانِ واسع ملْكِها ... فتفَنَّنُوا في سلْبِهِ وتَـأَنَّقُـوا

ملكُـوا مسابِحِهَا عليها بعدمَـا ... غلَبُوا النُّسورَ على الجواء وحلَّقُوا

إن كان عهدُ العلمِ هذا شأنُه ... فِينَا، فعهدُ الجَاهلِيَّةِ أَرْفَـق

حافظ ابراهيم

3 - هـــــول الحـــــرب

في الصّباح الباكر شدَدْنَا الرِّحال إلى جَبْهَة الحربِ، وكانت السَّماءُ مُتَّشِحَة بضبابها الكثيف تنشُر منه على الأَرْضِ رَذَاذًا ناصعَ البياض.

لم نَجْتَزْ بعض الطَّرِيقِ حَتَّى بدأنا نسمع المدافع تُلعلعُ في تلك الأَرجاء، وكنّا كلّما سرنا، قُدُمًا، يزدادُ القَصْفُ هولا وتتضاعف الأَصداء المنبعثةُ من جوانب الأَوديَةِ والجِبَال زَئِيرا ودَوِيًّا.

وصلنا قبل الظَّهِيرةِ إلى المصحِّ النَّقَّالِ الذي يرافق الجيش وكان يبعد عن ساحة القتالِ بضعة أَميال، ويقوم بجانبِ قرْيَة لم تُبْقِ الحَرْبُ منها غيرَ الانقاضِ.

فبقينا نحن المتطوّعين في الصَّلِيبِ الأَحْمَرِ هناك، أَمَّا الجُنُودُ الذين كانوا برفقتنا فتابعوا سيرهم إلى الجبهة.

لم نشهد هول الموقعة من المستشفى، لأَنَّهَا كانتْ مُسْتَعِرَةً خَلْفَ الجَبَلِ الذي كان يحجبُهَا عن أَنظارنا. فلم نُبْصِرْ غَيْرَ

معركة الجَوِّ وما كان يُفَجَّرُ مِنْهَا على الأَرْضِ أَطنانًا من القذائِفِ وصواريخ النَّارِ..

فكنا نرى الطَّائرات المحترقةَ المتأَججةبأَفضع الصَّواعق تهوي في تلك البقاعِ كأَنّها أَشلاءُ نجوم هاويَّة. فَتَخَالُ الشّمسَ انصهرت والأَرضَ زُلزِلت والسَّماءَ استحالتْ إلى غازٍ مُحرِقٍ وجحيم مبيد. كيف لا، والمعركة في ذُروتها كانت أَشدّ هولاً من أَساطير معارك الجِنِّ وتَخَرُّصَاتِ جَوَامِحِ الخيال.

فالبراكين المتفجِّرةُ من القلاع الطَّائِرةِ المتشابِكَةِ في الفضاء، ولعلعةُ المدافع المتواصلة الأَزير، المنطلقة من الجانبينِ المتحاربين، كانتَ تدكُّ الجِبال دكًّا وتنشُرُ أَعمدةَ النَّارِ هابطَةً صاعِدَةً من أَطباق الجو إلى أَغوار الأَرْضِ، ومن أَغوارِ الأَرْضِ إلى أَطباق الجو.

توفيق الشّرتوني
(دموع الوفـــاء)

4 - حـروب طـاحنات

كلَّ يومٍ نبأةٌ تَطْرُقُنَـــــا ... بعجيب من أعاجيب العِبَـــر

أُمم تفنـى، وأركـــانٌ تَهِي ... وعروشٌ تَتَهَـاوَى وَسُـــرر

وجُيُوشٌ بِجُيُوش تلتقـــي ... كسيولٍ دَفقَت في مُنحَـــدَر

ورجالٌ تَتَبَـــارَى للـــرَّدَى ... لا تُبَالي غَـابَ عَنْهَا أم حضَر؟

من رآها في وَغَاهَـا خَـالَهـا ... صِبْيَةً خَفَّتْ إلى لعبِ الأُكَـر

وحـروبٌ طاحناتٌ كلَّمَـــا ... أُطفِئَتْ شَبَّ لَظَاهَـا واسْتَعر

ضَجَّتِ الأفلاكُ من أهوالهـــا ... واستعـاذَ الشَّمْسُ منها والقمر

في الثَّرى في الجوِّ في شُمِّ الذُّرى ... في عبابِ البَحرِ في مجرى النهر

أسرفتْ في الخَلْقِ حتَّى أوشَكُوا ... أن يَبِيدُوا قبل ميعادِ البشَـر

حافظ ابراهيم

5 ـ الحـرب وجرحـاها

عرفَ الإنسانُ مضَارَّ الحَرْب ولم يَجْتَنِبْهَا... يَجْنِي على نفسه الحربَ وهي بلِيَّةٌ حتَّى إذا بلغت مبلغها بادر إلى تَخْفِيف مضَارِّهَا... يَحْمِلُ على ابنِ نَوْعِهِ مُقَاتِلاً ثُمَّ يَدْعُو إلى إعَانَتِهِ فهْوَ يَجْلِبُ الدَّاءَ ويطلُبُ الدَّواءَ، ويَجْرَحُ باليَمِينِ ويُضَمِّدُ باليَسَار فلو رأيتَهُ وَهْوَ فِي سَاحَةِ القِتَالِ يطلبُ قِرْنًا يُصَاوِلُهُ وفَارِسًا يُنَازِلُهُ وبطَلاً يُقَاتِلُهُ، لأَنْكَرْتَهُ وَهْوَ فِي دِيَارِ السِّلْمِ يَطْلُبُ ذا مُرُوءَة يُسَاعِد مَنْ جَرَحَهُ وَيُنْهِضُ مَنْ طَرَحَهُ ! فهو في جِهَة يُنَادِي : « الإنسانيَّةَ الإنسَانِيَّةَ » وفِي جِهَةٍ ينادِي : « الحربَ الحربَ » ! وما أَدراكَ ما الحَرْبُ !

هي باعِثُ الهَوْلِ والكرْبِ أَوَّلُهَا شَكْوَى وأَوسَطُهَا نَجْوَى وآخِرُهَا بَلْوَى... فهو مُعْتَرَكٌ أَوْمَضَتْ فِيهِ بُـرُوقُ المرْهَفَـات ولَعْلَعَتْ رُعُودُ المدَافِعِ فتَلَقَّتْهَا غيوثُ الكُرَاتِ، وسَكِرَتِ السُّيُوفُ بِخَمْرٍ مِنَ الدَّمِ فَعَرْبَدَتْ فِي الرُّؤُوسِ، وعقَدَ العِثْيرُ لِلَكِ الموتِ سُرَادِقًا مُطَنَّبًا بِالقَنَا، والخَيْلُ سَاغِبَةٌ تُقْبِلُ ثِقَالاً وتَعُودُ خِفَافًا

وكَأَنَّهَا وقَدْ أَعْيَاهَا الفَارِسُ حَيًّا قَدْ غَضِبَتْ عَلى الإِنْسَانِ فَدَاسَتْ هَامَتَهُ انتِقَامًا فارْتَعَدَ الرَّعْدِيدُ، وثَبَتَ الصِّنْدِيدُ، ونَادَى مُنَادِي الحَرْبِ : « مَنْ فَرَّ من الموت وقَعَ، ومن كان ينوي أَهله فلا رجع » !

طريحٌ على الأَرْضِ جَرِيحٌ ذو كَبِد حَرّى يَسْتَجِيرُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ وفوقَ الكَبِدِ الأُخْرَى... يذكُر والدة تَأَلَّمتْ به جَنِينًـــا وأَرضعتْه طفلا وربَّتْهُ يافعًا وسَهِرَتْ عَلَيْهِ حَالمًـا، ووالِدًا وَاسَاهُ فِي كآبته، وسلاَّهُ فِي حُزْنِهِ، وتَوَجَّعَ لَهُ فِي مصابِهِ، ثمَّ تَنْجَلِي له الدُّنيا بزَخْرَفَتها وزينتها فيرى مُرَّ عذَابِهَا حُلْوًا وَكَدَرَمشاربها صفوًا. فهذا هو الإِنسان الجريحُ بِسلاحِ الإِنسان المطلوبةِ مُسَاعدتُهُ مِن الإِنسان.

6 - خـــــراب البصـــــرة

دخلوها كأنَّهُم قطعُ اللَّيـــلِ ... إذا راح مُدْلَهِمَّ الـظـــلام
أيُّ هَوْلٍ رَأَوْا بهم أيُّ هـــولٍ ... حَقَّ؟ مِنْـهُ يَشِيبُ رَاسُ الغلام
إذا رموهم بِنَارهم مِنْ يميـن ... وشِمال من خلفهم وأَمَـــام
كَمْ أَغَصُّوا مِنْ شَارِب بِشَراب ... كمْ أَغَصُّوا مِنْ طاعِم بِطَعَـام
صَبَّحُوهُمْ فَكَابَدَ القَوْمُ مِنْهُـمْ ... طولَ يَوْم كأَنَّهُ أَلْفُ عـام
ما تَذَكَّرْتُ ما أَتى الزَّنْجُ إلاَّ ... أُضْرِمَ القلب أَيَّـمَـا إضْـرام
عرِّجا صاحِبَيَّ بالبصرة الزّهراء ... تـعْرِيجَ مُـدْنَـفٍ ذِى سقَام
فاسْأَلاها - ولا جوابَ لديهـا ... لِسؤال - ومن لها بالكلام ؟
أَيْنَ ضَوْضَاءُ ذَلِكَ الخَلْقِ فيهـا ... أَيْنَ أَسْواقُهَا ذواتُ الزِّحَـام ؟
أين تلك القصورُ والدُّورُ فيها ... أَين ذاك البنيانُ ذُو الإحكَامِ ؟
بُدِّلَتْ تِلْكُمُ القُصُورُ تِـــلالا ... مِنْ رَمَادٍ ومن تراب رُكَـام ،
وَخَلَتْ مِنْ حُلُولِهَا فَهِيَ قَفْـرٌ ... لاَ تَرَى العَيْنُ بَيْنَ تِلْكَ الأَكام،
غير أَيْدٍ و أَرْجُل بائِنَـــات ... نُبِذَتْ بَيْنَهنّ أَفْلاقُ هـــام
وَوُجُوهٍ قد رَمَّلَتْهَا دمَـــاء ... بِأَبِي تِلْكُمُ الوُجُوهُ الدَّوَامِـي
وُطِئَتْ بِالهَـوَانِ والذُّلِّ قَسْـرًا بعد طُـولِ التَّبْجِيلِ والإِعْظَـام
فَتَرَاها تَسْفِي الرِّيَـاحُ عَلَيْهَـا ... جاريات بِهَبْوَةٍ وَقَتَـام
خَـاشِعاتٍ، كأَنَّهـا باكِيَـاتٌ ... بَادِياتُ الثُّغُورِ، لاَ لابْتِسام ..

ابن الرُّومِي

7 ـ دهـاء الاسكندر

لَما بلغ لِمَلِك الهِنْدِ إقْبَالُ ذِي القَرْنَيْنِ نَحْوَهُ تَـأَهَّبَ لمحاربتِه، واستعدَّ لمجاذبته، وضَمَّ إليْهِ أَطرافَه وجدَّ في التَّأَلُّبِ عليه وجمع له العُدَّةَ فِي أَسرع مدة ، من الفيلة المعدةِ للحُرُوب، والسِّباع المضَارَّةِ بالوثوبِ، معالمسَرَّجَةِ، والسُّيُوفِ القواطع والحِرابِ اللَّوامع، فلمّا قرب ذو القَرنَيْنِ من فورِ الهِنْدِي وبلغه ما قدْ أَعَدَّ له من الخيلِ التي كأَنَّها قِطَعُ اللَّيْلِ، ممّا لم يَلقَه بِمثله أَحدٌ من الملوك الذين كانوا في الأَقاليم، تخوّف ذو القرنين من تقصير يقَعُ به، إن عجَّلَ المبارَزَةِ ، وكان ذو القرنين رجلاً ذا حيل ومكايد، مع حسن تدبير وتجربة . وكانَ ذو القرنين لا يمرُّ بمدينة إلاَّ أَخَذَ الصُّنَّاعَ المشهورين من صنَّاعها بالحذق من كلِّ صنفٍ، فنتَجَتْ له هِمَّتُهُ ودلَّته فطنَتُهُ أَن يتقَدَّمَ إلى الصُّنَّاع الذين معه أَن يصنعـوا خيلا من نُحاس، مُجَوَّفَةً عَلَيْهَا تَمَاثِيلُ مِنَ الرِّجَالِ على بِكَر تَجْرِي إذا دفعت مرت سراعا، وأَمر إذا فرغوا منها أَن تحشى أَجوافها بالنَّفْط والكبريت، وتُلَبَّس وتقَدَّمَ أَمامَ الصَّفِّ فى القلْبِ.

ووقت ما يلتقي الجمعان تُضْرَمُ فيها النِّيرانُ، فإنَّ الفيلةَ إذا لَفَّتِ خراطيمَها على الفرسان، وهي حاميَةٌ، ولَّتْ هارِبةً، وأَوعزَ إلى الصُّنَّاع باالتَّشْمِيرِ والانكماشِ والفراغِ منها. فجَدُّوا فى ذلك وعجَّلُوا، وقربَ أَيضا وقْتُ المنَجِّمين فأَعاد ذو القرنَين رُسُلَه إلى فورٍ يدعوهُ إلى طاعته والإذعانِ لدولتِه، فأَجاب جواب مُصِرٍّ على مخالفته، مقيم على مُحاربَتِهِ.

فلمّا رأَى ذو القرنين عزيمتَه سار إليه بأُهبته، وقدَّم فور الفيلةَ أَمامه. ودفعتِ الرِّجالُ تلك الخيلَ وتماثيلَ الفرسان. فأَقبلت الفيلةُ نحوها، ولَفَّتْ خراطيمها عليها. فلمَّا أَحسَّت بالحرارةِ أَلقتْ من كانَ عَلَيْهَا وداستهم تحتَ أَرجلها ومضت مهرْوِلة لا تَلْوى على شيء، ولا تمُرُّ بأَحد إلا وطِئَتْهُ وتقطّع فور وجمعه. وتبِعهم أَصحابُ الاسكندرِ وأَثْخَنُوا فيهم الجِـــرَاحَ. فاستولى الاسكندر على بلادهم وملَّكَ عليهم رَجُلاً من ثقاتِه.

ابن المقفَّع

8 ـ من نصيحة عمر بن الخطاب
الى سعد بن ابي وقاص

... إذا وَطِئْتَ أَرْضَ العَدُوِّ فأَذْكِ العُيُونَ بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهُم، وليكن عندَكَ من العرب أو من أَهلِ الأَرض مَنْ تَطْمَئِنُّ إلى نُصْحِه وصِدْقِه ؛ فانَّ الكذوب لا ينفعك خَبَرُه وإن صدَّقَكَ فِي بعضِه، والغاش عين عليك وليس عينا لك، وليكنْ منك عند دُنُوِّك من أَرضِ العدوِّ أن تُكْثِرَ الطلائعَ وتَبُثَّ السَّرَايا بينك وبينهم ، فتقطع السّرايا أمدادهم ومرَافقهم وتتبع الطَّلائعُ عَوْرَاتِهِم، وانتقِ للطَّلائعِ أَهْلَ الرَّأْيِ والبأْسِ من أَصحابِك وتخيَّر لهم سَوَابِقَ الخيل فان لَقُوا عَدُوًّا كان أَوَّل ما تلقاهم القُوَّةُ من رأيك، واجْعَلْ أمرَ السَّرَايا إلى أَهل الجِهاد والصَّبْرِ على الجلاد، لا تَخُصَّ بِهَا أَحدًا بِهَوًى فيضِيعَ من رأْيك وأَمرِك أَكثرُ ممَّا حابَيْتَ بهِ أَهلَ خاصَّتِك، ولا تبعَثَنَّ طليعةً ولا سريَّة في وجه تتخوَّف عليها فيه غلبةً أَو ضيعة ونِكايَة، فإذا عـاينت العدوّ فاضمُمْ إليك أَقاصِيك وظلائعك وسراياك،

واجمع اليك مَكِيدَتَكَ وقُوَّتَك، ثم لا تُعاجلْهُمْ المَناجَزَةَ ما لم يستكرِهك قِتالٌ حتّى تُبصر عَوْرَةَ عَدُوِّكَ ومقاتلته وتعرفَ الأَرض كلَّها كمعرِفَةِ أَهلِها بها فتصنعَ بعدوّك كصُنْعه بك، ثمَّ أَذكِ أَحراسك على عسكرك وتَيَقَّظْ من البَيَاتِ جُهْدَكَ ولا تُؤْتى بأَسير ليس له عقدٌ إلا ضربت عُنُقَه لترهب بذلك عدوَّ الله وعدوَّك، والله وليُّ أَمرك ومن معك، ووليُّ النَّصْرِ لكم على عدوّكم والله المستعان.

عن ابن عبد ربّه (العقد الفريد)

٩ ـ علي بن ابي طالب يقاتل الخوارج

... رجع علي فعبَّأَ أصحابَه فجعل على الميْمَنَة حجرَ ابن عدي، وعلى الميسرةِ شيث بنِ ربعي وعلى الخَيْلِ أبا أيُّوبَ الأنْصارى وعلى الرجالة أبا قتادة، وعلى أهْلِ المدينة قَيْس ابن سعد بن عبادة، ووقف هو في القلبِ في مُضَر. ثمَّ رَفَعَ لهم رايَةَ أمان مع أبِي أيُّوب الأنصارِي، فناداهُمْ أبو أيوب : من جاء منكم إلى هذهِ الرَّايَةِ فهوَ آمِنٌ، ومن دخل المصْرَ فهو آمنٌ، ومن انصرف إلى العِراقِ ومن خرجَ مِنْ هَذِهِ الجَمَاعةِ فهو آمِنٌ، فإنه لا حاجةَ لنا فى سفك دمائكم. وقدَّم الخيلَ دون الرَّجَالَةِ وَصَفَّ النَّاسَ صَفَّيْن وراءَ الخيل، وصفَّ الرّماةَ صفًّا أمام صَفٍّ، وقال لأصحابِه : كُفُّوا عنهم حتَّى يَبْدَؤُوكُمْ، وأقْبَلَتِ الخوارجُ حتّى إذا دَنَوْا من النّاس نادَوْا : لا حُكْمَ إلاَّ لِلّهِ، ثمَّ نَادَوْا : الرَّواحَ، الرَّواحَ إلى الجَنَّةِ !! وشَدُّوا على أصحابِ عليّ شِدَّةَ رجل واحدٍ ؛ والخيلُ أمام الرِّجال، فاستقبلت الرّماةُ وجوهَهُم بالنّبل فخَمدوا. قال الثَّعْلَبِي : لقد رأيت الخوارجَ حين استقبلتْهم الرِّماحُ والنُّبلُ كأنَّهُمْ معزٌ تَقَت المطر بقُرُونِها. ثمَّ عَطَفَت الخيلُ عليهم من الميمنة

والميسرة ونهض علي في القَلَب بالسُّيوف والرِّماح، فلا والله ما لبثوا فواقًا، حتّى صرعهم الله، كأَنَّما قيل لهم مُوتُوا فماتُوا. وأَخذ علي ما كان في عسكرهم من كلِّ شيء، فأَما السِّلاحُ والدَّوابُ فَقَسَمَهُ علي بَيْنَنَا وأَمَّا المتاعُ والعَبِيد والإِماء فإِنَّهُ حين قَدِمَ الكوفةَ ردَّهُ على أَهلِهِ.

ابن قتيبة

« الامامة والسياسة »

للمطالعة

مبارزة بين بطلين

لما حصر الرشيد أهل هرقلة وغمهم ، وألح بالمجانيق والسهام والعرادات فتح الباب ، فاذا برجل من أهلها كأكمل الرجال قد خرج فى أكمل السلاح فنادى : قد طالت مواقعتكم ايانا ، فليبرز الى منكم رجلان ، ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلا ...

فاختار المسلمون رجلا منهم يعرف بابن الجزرى وكان معروفا فى الثغر بالبأس والنجدة ، فقال الرشيد أتخرج ؟ قال : نعم وأستعين الله . فقال : أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا بفرسى أوثق ، ورمحى بيدى أشد ، ولكنى قبلت السيف والترس . فلبس سلاحه . واستدناه الرشيد فودعه واستتبعه الدعاء . وخرج معه عشرون رجلا من المطوعة . فلما انقض فى الوادى قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا واحدا : انما كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلا ولكن لا بأس . فنادوه : ليس يخرج اليك منا الا رجل واحد . فلما فصل منهم الجزرى تأمله الرومى وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن حتى ظنوا أنه لم يبق فى الحصن أحد الا أشرف . فقال الرومى : أتصدقنى عما أستخبرك ، قال : نعم . فقال : أنت ـ بالله ـ ابن الجزرى . قال : اللهم نعم ، فكفر له . ثم أخذ فى شأنهما فاطعنا حتى طال الأمر بينهما ، وكاد الفرسان أن يقوما ، وليس يخدش واحد منهما صاحبه . ثم تحاجزا بشىء ، فزج كل واحد منهما برمحه وأصلت سيفه فتجالدا مليا واشتد الحر عليهما وتبلد الفرسان وجعل ابن الجزرى يضرب الرومى الضربة التى يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الرومى ، وكان ترسه حديدا فيسمع لذلك صوت منكر . ويضربه الرومى ضرب معذر لأن ترس ابن الجزرى كان درقة فكان العلج يخاف أن يعض بالسيف فيعطب . فلما يئس من وصول كل واحد منهما الى صاحبه انهزم ابن الجزرى . فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئبوا مثلها قط . وعطعط الروم اختيالا وتطاولا وانما كانت هزيمته خيلة منه ، فاتبعه العلج وتمكن منه ابن الجزرى فرماه بوهق فوقع فى عنقه ، وما أخطاه ، وركض فاستلبه عن فرسه ، ثم عطف عليه ، فما وصل الى الارض حيا حتى فارقه رأسه . فكبر المسلمون أعلى تكبير وانخذل الروم وبادروا الباب يغلقونه . واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد ، اجعلوا النار فى المجانيق وارموها ، فليس عند القوم دفع . ففعلوا وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة واضرموا فيها النار ورموا بها السور ، فكانت النار تلصق به ، وتأخذ الحجارة وقد تصدع فتهافت . فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مستأمنين ومستقبلين فقال الشاعر المكى :

هوت هرقلة لما ان رأت عجبا
حوائما ترتمى بالنفط والنار
كان نيراننا فى جنب قلعتهم
مصبغات على أرسان قصار

الاغانى

1 - صـــــوت الطبيعـــــة

لقد رأيت مرةً بينما كنت أسير خلف دارِ الاوبرا صِبْيَة من لَمامي أعقاب السَّجايرِ يَرْتَعُونَ وَيَلْعَبُونَ. فوقفتُ من ناحية لأَنْظُرَ إلى مرحِهم وأَضحَكَ من هذِ السَّذَاجَةِ الرَّثَّة اللاَّعِبَةِ . . .وبينما كانوا في شُغلهم إذ أَقبلَ عليهم صغيرٌ من مسَّاحِي الأَحذِيَّةِ ووضَع صندوقَ عُدَّتِه بِجانِبِ الجِدَارِ ونَسِيَ واجبَهُ من السَّعْيِ للرِّزقِ وأَخذ يلعَبُ هو الآخرُ مع نُظَرَائِهِ اللاَّعِبِينَ. وبعد قليلٍ أَقبل عـليهم صغيرٌ رُومِيٌّ ممَّنْ يتجُرون بالكَعْك والحَلْوَى فوضـع بجانب صندوقِ المسّاحِ سلَّةَ تجارتِه وحَيّى الصِّغارَ بابتسامة فحيَّوه بـأَحسنِ منها. ثمّ أَخذَ يُشاطِرُهُمْ أَصنافَ اللَّعِبِ من جَرْيٍ ووثبٍ. عندئذ أَيقنتُ أَنَّ للطَّبِيعَةِ حُكمًا أَقْوَى من حكم الأَجنـاسِ وأَوضاعِ الحياة وشُؤُونِها. إِنَّهُمْ صَبِيَّةٌ نسُوا أَنَّ ورَاءهُمْ أَعمالَهُمْ التي يكسبونَ منها أَقواتهم ونَسُـوا أَنَّهُم من أَجناسٍ ولغـاتٍ وديانات مختلفة. نسوا كلَّ ذلك فجمع الصِّبا وشُؤُونُ الصِّبَا فيما بينهم وعلى ذلك علاَ صَوْتُ الطَّبِيعَةِ على صَوْتِ الآراء الاجتِمَاعِيَّةِ التِي طالما كان من أَمرها أَن تفَرِّقَ بَيْنَ النَّاسِ وطالما كان من أَمرها أَن تدعوهم للتَّنَابُذ والشِّقَاق.

منصور فهمي

2 ـ قارب المنارة

كان اليوم كثير الضباب ، وكانت العاصفة شديدة فى البحر ، فتحطمت السفينة فى صخرة من الصخور وغرق من غرق من السفينة ، ونجا ممن وقفوا على الصخرة ، وتعلق بعض ركاب السفينة بالصخور طلبا للنجاة ، ولكن الامواج كانت شديدة ، حتى كادت تحمل من نجا من الركاب الى أعماق البحر فتقضى عليهم ، فهل يستطيع أحد أن ينقذ هؤلاء المساكين ، وهم على تلك الصخور النائية البعيدة فى البحر بين الحياة والموت . كان بالقرب من ذلك المكان الذى تحطمت فيه السفينة جزيرة بها منارة من المنارات فلحظت ابنة حارس المنارة شدة العاصفة ، وأخذت تصغى اليها طول الليل وقد اعتادت ابنة الحارس المعيشة فى المنارة طول حياتها .

وفى ظلام الليل أخذت تسمع عصف الرياح ، وشدة الامواج كلما سمعت صياحا شديدا عن بعد ، فلما ظهر نور الصباح استطاعت أن ترى بعض أجزاء تلك السفينة المحطمة عن بعد ، والمياه الصاخبة من حولها وورات الرجال المساكين وهم متعلقون بشراع السفينة الغارقة فقالت لابيها « يجب أن نعمل كل ما نستطيع يا أبى لانقاذ هؤلاء الرجال ونخرج اليهم فى الحال . »

فقال أبوها « انه لا فائدة يا بنيتى من ذلك ، فاننا لا نستطيع الوصول اليهم . » وقد كان أبوها رجلا هرما أدرك أثر تلك العاصفة . وعرف قوة تلك الامواج الشديدة فقالت الفتاة « اننا لا نستطيع أن نقف ونراهم يموتون أمامنا يا أبى . ومن الواجب أن نحاول انقاذهم مهما تكن الأمواج ومهما تكن العاصفة . »

لم يستطع الأب أن يمتنع أو يجيب بالنفى فان الواجب يقضى عليه أن يحاول انقاذهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وبعد بضع دقائق أعد الأب وابنته قارب المنارة وساروا نحو ركاب السفينة وأخذت الفتاة تجذف بمجذاف وابوها يجذف بمجذاف آخر ، وكان ذلك أمرا شاقا لأنه ضد ذلك التيار الجارف ، واتجه الاثنان نحو السفينة المحطمة عند تلك الصخور النائية ولصعوبة ذلك خيل اليهما أن من المحال الوصول الى الركاب المساكين ، وبعد محاولة عظيمة وتعب شديد اقتربا من الصخرة فوجدا أنفسهما فى هول شديد فقد أخذت الأمواج تعاكس القارب بشدتها حتى كادت تغرقه وتمزقه قطعة قطعة لكن بمهارة تلك الفتاة وشجاعتها ومثابرتها استطاع الاب وابنته التغلب على تلك الصعوبة والخروج من المأزق الحرج .

وبعد محاولات كثيرة وصل الأب وابنته الى السفينة المحطمة فصعد الأب اليها واستطاعت الفتاة بشجاعتها ان تحفظ القارب من الغرق او التحطيم فى حافات الصخور الشديدة . وبعد أن أنقذ الرجال عاد الاب الى مكانه فى القارب وأخذ يجدف هو وابنته حتى تمكنا من نقلهم جميعا الى المنارة ولما انتهت تلك الفتاة الشجاعة من دورها فى الملاحة أخذت تقوم بتمريضهم بكل عطف وشفقة وتعنى بشؤونهم فى المنارة حتى ذهبت العاصفة ، وعادت اليهم قواهم ، واستطاعوا العودة والرجوع الى بيوتهم ، شاكرين الى الفتاة شجاعتها ومهارتها ، وقيامها بهذا العمل النبيل ، وشاكرين للأب ما قام به نحوهم مع كبر سنه .

محمد عطية الابراشى

3 ـ رايت النـاس كالبنيـان

رأيت النَّاس كـــالبَنيـــان يسمـــو
بأَحجـــار تُسَيَّـعُ بِالسِّيـــــــــاع

فيمسك بعضه بعضـا فيقـــــــوى
ويمنـــــع جـــانبيـــه من التَّـــداعِي

كـــذاك النَّاسُ مـــن عَجَم وعُـــرب
جميعـــــا بين مـــــرعـــيٍّ وراع

قـــد اشتبكـت مصـالحهـم فَكُـلٌّ
نكُلٌّ فِـــي مجـــــال العيـــش ساع

ولـــــولا سَعْـــيُ بَعْضِهِـم لبَعْـــضٍ
لعاشوا عيش عادية السِّبَـــــــاع

إذا رب الحسام ثنـاه عَـــــجْـــزٌ
تـــدارك عجـــزه زبٌّ اليـــــراع

وإن قلـــــم الأَديـــب عراه زيـــغ
تـــلافـى زيغَـه سيفُ الشّـــجـاع

وإن صَـــفِـــرت يـــدٌ مـن رَيْـــع زرع
أُعيد ثـــراؤهـــا بيد صَنـــــاع

بذاك قضى اجتماع النَّـاس لمّـــا
أَن اعتصمـــوا بحبـــل الاجتمـــاع

يُسَانِدُ بَعْضُهُمْ فِي العَيْشِ بعضًـــــا
مُسانَدَةَ ارتِفَـــــاق وارْتِفَـــــاع

فتعلو فـــي ديـــارهـم المبـــاني
وتُخصـــبُ فـــي بـــلادهم المـراعي

وتستعلـــي الحيـاة بهـــم فتمسي
مـــن العـــيش الـــرّغـــيد على يفاع

وما مـدنية الأَقْـــــــوام إلاّ
تعـــاونهـــم عـــلى غُرِّ المســاعـــي

ولم يُصلَـــح فســـاد النَّـــاس إلاّ
بمَـــالٍ مـــن مكـــاسبهـم مُشـــاع

تشـــاد بـــه المـــلاجـئُ لليتـامى
وتُمتـــارُ المطـاعم للـــجـيـــاع

وتُبْنـــــى للعـــلـــــوم بـه مَبَـان

تفيـــض العلـم مؤتلـــــــق الشّعـاع

وإلاّ فالشَّقـــــاء لهـــم حليـــفٌ

ومـــا حِمْـــــلُ الشَّقـاء بِمُسْتَطَـــــاع

معروف الرّصافي

4 ـ عبد الله بن العباس والاعرابية

اشتهر العرب بالجود وملأت أخبار كرمهم الكتب ، وضربت به الأمثال حتى كاد يصبح العربى والكريم مترادفين ، ومن أخبارهم هذه الرواية الطريفة ، وبطلها امرأة بدوية ترتفع الى درجة عالية من البطولة والشرف .

كان عبد الله بن العباس من أجواد العرب . وكان منصرفا من الشام الى الحجاز فنزل منزلا فى الطريق ، وطلب من غلمانه طعاما . فلم يجدوا ، فقال لوكليه : « اذهب فى هذه البرية ، فلعلك تجد راعيا أو حيا عنده لبن أو طعام » . فمضى بالغلمان حتى رأوا عجوزا فى حى ، فقالوا لها : « أعندك طعام نبتاعه ؟ » فقالت : « أما البيع فلا . ولكن عندى مالى ولابنائى به حاجة » . قالوا : « فاين بنوك ؟ » قالت : فى رعى لهم وهذا أوان أوبتهم . » قالوا : « فما أعددت لهم ولك ؟ » قالت : « خبزة تحت ملتهم . » قالوا : « وما عندك غير هذا ؟ » قالت : « لا شىء » . قالوا : « فجودى لنا بشطرها » فقالت : « أما الشطر فلا أجود به وأما الكل فخذوه » . فقالوا لها : « تمنعين النصف ، وتجودين بالكل ؟ » قالت : « نعم لان اعطاء الشطر نقيصه ، واعطاء الكل كمال وفضيلة ، فأنا أمنع ما يضعنى وأمنح ما يرفعنى . » فأخذوها ، ولم تسألهم من هم ولا من أين جاءوا .

فلما وصلوا الى عبد الله ، وأخبروه بخبرها عجب من ذلك ، ثم قال لهم : « احملوها الى الساعة . » فرجعوا اليها ، وقالوا لها : « انطلقى معنا الى صاحبنا ، فانه يريد أن يراك » قالت : « ومن صاحبكم ؟ » قالوا : عبد الله بن العباس » قالت : « وأبيكم هذا هو الشرف العالى ، وذروته الرفيعة وماذا يريد منى ؟ » قالوا : « مكافأتك وبرك » فقالت : « أوه ! والله لو كان ما فعلت معروفا ما أخذت له بدلا ، فكيف وهو شىء يجب على الخلق أن يشارك فيه بعضهم بعضا ؟ ! فلم يزالوا بها حتى أخذوها . فلما وصلت اليه سلمت ، فرد عليها السلام ، وقرب مجلسها ثم قال لها : « ممن أنت ؟ » قالت : « من بنى كلب » . قال . « فكيف حالك ؟ » قالت : « أسهر اليسير وأنام أكثر الليل ، وأرى قرة العين فى بنى فلم يك من الدنيا شىء الا وجدته فيهم . » قال : « فما ادخرت لبنيك اذا حضروا ؟ » قالت : « ادخرت لهم ما قال حاتم طىء :

ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل . »

فازداد عبد الله منها تعجبا ، ثم قال لها : « لو جاء بنوك وهم جياع ، فما كنت تصنعين ؟ » قالت : « يا هذا ! عظمت عندك هذه الخبزة ، حتى أكثرت فيها مقالك ، وشغلت بها بالك فاله عن هذا فانه يفسد النفس . » فقال عبد الله لبعض غلمانه :

« انطلق الى خبائها ، فاذا أقبل بنوها فجيء بهم · » فقالت للغلام : « انطلق الى فناء البيت ، فانهم ثلاثة · فاذا رأيتهم ، تجد أحدهم دائم النظر نحو الارض ، عليه شعار الوقار ، فاذا تكلم أفصح ، وأذا طلب أنجح ، والآخر حديد النظر كثير الحذر ، أذا أوعد فعل ، وان ظلم قتل ، والآخر كأنه شعلة نار ، وكأنه يطلب بثار ، فذاك الموت المائت والداء الكابت · فاذا رأيت هـذه الصفة فيهم فقل لهم عنى : « لا تجلسوا حتى تأتونى · »

فانطلق الغلام ، فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمده حتى جاءوا ، فأدناهم عبد الله منه وقال : « انى لا اطلبكم وأمكم لمكروه ، وانما أحب أن أصلح من شأنكـم ، والـم شعثكم · » فقالوا : « ان هذا قل أن يكون الا عن سؤال ، أو مكافأة لفعل قديم · » قال : « ليس شيء من ذلك ، ولكن جاورتكم فى هذه الليلة ، فأحببت أن أضع بعض مالى فيكم · » قالوا : « يا هذا ! نحن فى خفض عيش ،وكفاف من الرزق ، فوجهه نحو من يستحقه · وان أردت النوال مبتدئا من غير سؤال فتقدم ، فمعروفك مشكور ، وبرك مقبول ، » فقال : نعم ، هو ذاك · » وأمر لهم بعشرة آلاف درهم وعشرين ناقة ·

ابن عبد ربـه

(العقد الفريد)

5 ـ أذهب بغير ذهب

رقد النّبي على فراش الموت. وطفق ينظر إلى ابنته فاطمة وهي تبْكِي على مقرُبَةٍ منهُ. بغير صوت... فتحامل على نفسه ثمّ همس :

ـ لا تبكي يا بُنَيَّة !... قُولي إنَّا لِلهِ وإنَّا إليه رَاجعُونَ. فإن لكل إنسان بها من كلّ مصيبة موعظة.

ـ ومنك يا رسول الله ؟...

قالتها فاطمة وهي تُكَفْكِفُ دمعها... فأَجاب النَّبِي :

ـ ومنِّي...

وكانت زوجة النَّبِي عائشة تُرَاقِبُهُ. جَامِدَةَ العِبْرَةِ. شَاحِبَةَ الوجهِ. مكلومةَ الفؤاد... فقالت لفاطمة هامسةً :

ـ إنَّه يُوعَك من الحُمَّى؟...

وفجأَةً نهض النّبيُّ قليلا وقال لزوجه :

ـ يا عائشة !... ما فعلت بذلك الذّهب ؟...

ـ أيُّ ذهب ؟...

ـ الدّنانير السّتة التي عندي...

ـ هي عندي...

لفظتها عائشةُ ،وقد خالجها بعضُ الدّهش لاهتمام النَّبِى بهذا المال، وهو على تلك الحال من الكربِ والشِّدَّةِ . . . ولكن النّبِى بادرَ يقول :

ـ ما ظنّ محمّد بربّه أن لو لقى الله وهذه عنده ! . . . أَنْفِقِيهَا كُلِّهَا صدقــة . . . إنَّ النَّبي لا يورث ! . . . ! . . . فعاهدته عائشة قائلة :

ـ سأُنْفِقُهَــا . . .

عندئذ بدت الرّاحة فى وجه النّبيّ . . . ورقد وهو يهمس . . . اللَّهُمَّ تَوَفَّنِى فقِيرًا ولا توفني غنيا واحشُرْنى فى زُمْرَةِ المساكينِ ! . . . الآن استرحتُ ! . . .

توفيق الحكيم

الفهرس

الرقم	الموضوع	الكاتب أو الكتاب	الصفحة

المحور الاول : الحياة الاجتماعية والاقتصادية

بدائية الانسان وتحضره

1	حياة الانسان الاول	جورج حنا	5
2	اعرابى فى عرس (للمطالعة)	ابو الفرج الاصبهاني وابن قتيبة	7
3	البدو اقرب الى الشجاعة من الحضر	ابن خلدون (المقدمة)	9
4	فى حياة البادية	الامير عبد القادر الجزائرى	10
5	فى بلاد التوارق (للمطالعة)	عن مجلة « صوت البحرين »	12

القرية والمدينة : احياء المدن ومرافقها

1	فى قريتى	عبد الرحمان فهمى	14
2	من مرافق المدينة	احمد امين	16
3	الحيرة	ابو فرج الاصبهانى	18
4	بغداد فى ايام الرشيد	جميل المدور	20
5	فى الشارع الخامس بنيورك	محمد تيمور	22
6	قرطبة فى القرن الخامس	على الجارم	25
7	تطوان المدينة البيضاء	امير الريحانى	27
8	فى البندقية	محمد حسين هيكل	30
9	من المدينة الى القرية	سلمى صائغ	32

الصناعة : الصناعات التقليدية ، الصناعات الآلية ، المواد الاولية

1	فضائل الارض	الجاحظ (البيان والتبيين)	34
2	فى منطقة الرور	محمد عبد الله عنان	36
3	ماركونى مخترع الاسلكى	مجلة الهلال	38
4	الحديد	مصطفى خريف	40
5	ثورة فى الصحراء	بنت الشاطىء	43
6	عصر الصناعة	احمد الزين	45
7	صناعة اهل الصين	ابن بطوطة	47

الرقم	الموضوع	الكاتب أو الكتاب	الصفحة
8	حذاقة أهل الصين	مجانى الادب	48
9	يوسف الكيمياوى	احمد امين	49
10	نجار	احمد امين	51
11	فى دكان حلاق	مارك توين	53
12	المذياع	محمود غنيم	55
13	الراديو	احمد امين	57
14	الاسطى عزرائيل (للمطالعة)	توفيق الحكيم	58

الفلاحة : الفلاحة التقليدية ، الفلاحة العصرية

1	اكتوبر فى الزمن السعيد	حسن الزيات	59
2	الفلاح	محمود محمد بكر هلال	61
3	ليالى الحصاد	احمد حسن الزيات	63
4	مرتا اليتيمة	جبران خليل جبران	65
5	المحراث	محمود غنيم	66
6	الشيخ عباس والفلاحون	جبران خليل جبران	68
7	يوم الحصاد	احمد المختار الوزير	70

المواصلات والاسفار والرحلات

1	فوق السحب	توفيق الحكيم	72
2	السيارة الملعونة	ابراهيم عبد القادر المازنى	74
3	فى القطار	الرصافى	77
4	فى مجاهل القفر	فؤاد افرام البستانى	79
5	على ظهر السفينة	طه حسين	81
6	السرعة	توفيق الحكيم	83
7	سفر عبد الله بن عبد المطلب	طه حسين	85
8	رحلة فى الليل (للمطالعة)	طه حسين	87
9	القطار الصاعد الى بغداد (للمطالعة)	محمود عبد الوهاب	89

المحور الثاني : الحياة المدنية

الصحة العامة : المستشفيات والمستوصفات ووسائل الاسعاف

1	جرح خطير	محمد عبد الحليم عبد الله	93
2	مريض الوهم	العقاد	95
3	الحمى	المتنبى	96
4	الغم يذيب الشحم		98

الرقم	الموضوع	الكاتب أو الكتاب	الصفحة
5	في انتظار الطبيب	محمد فرج الشاذلى	99
6	الاشعة المجهولة	خليل مطران	101
7	مستوصف القرية	الدكتور سعيد عبده	102
8	الذراع المحطمة (للمطالعة)	الدكتور جورج سانا	104
9	الممرضة	عادل انيس الطباع	106

تعمير اوقات الفراغ وتسلية النفس

1	ليلة بمائة	ابو الطاهر التجيبى	108
2	نهشة شديدة	الجاحظ	109
3	كانما غنيت للحيطان	الاغانى	111
4	المقامة القردية	بديع الزمان الهمذانى	113
5	لعب الشطرنج	من الف ليله وليلة	114
6	تجربة فاشلة	ابراهيم عبد القادر المازنى	115
7	ابان والاعرابى (للمطالعة)	النويرى	117
8	الشيخ البلبيسى (للمطالعة)	توفيق الحكيم	118

المعتقدات والاديان والتقاليد

1	ان للعالم خالقا	مجانى الادب (الجزء الثانى)	120
2	فى غار حراء	محمد حسين هيكل	122
3	الاسلام		124
4	اسلام ابى ذر	الزبيدى	125
5	على عرفات	على الطنطاوى	127
6	النفس فى الدنيا	الغزالى	129
7	الدين الحق والدين الصناعى	احمد امين	130
8	القرآن	محمد عبده	132
9	انت انت الله	منصور فهمى	133
10	ابليس ينتصر (للمطالعة)	توفيق الحكيم	135
11	اختلاف الازياء بالجزيرة العربية	أمين الريحانى	137
12	ابن الجيران ياخذ الشهادة	عمر فاخورى	138
13	العرس فى القرية (للمطالعة)	خليل تقى الدين	141

النظم والقوانين

1	هذه هى المدرسة الشعبية	توفيق الحكيم	144
2	انشاء الدواوين عند العرب	حسن ابراهيم حسن	146

الرقم	الموضوع	الكاتب أو الكتاب	الصفحة

القضاء والمحاكم

1	متى استعبدتم الناس	قصص العرب	148
2	قاض يستقيل	قصص العرب	150
3	فى فناء المحكمة	المويلحى	151
4	جنان ولسان	ابن عبد ربه	152
5	الامام العادل	الحسن البصرى	154
6	انا بالله ثم بالقاضي	العقد الفريد	156
7	عدل عمر (للمطالعة)	الاتليدى	158
8	المتشرد (للمطالعة)	حسن جلال	159
9	محمدبن عبدالملك الزيات والمظلوم	الاغانى	161

الدولة والحكومة

1	رجل الدولة	ابن المقفع	163
2	عمر بن الخطاب يحاسب نفسه		164
3	الجمهورية	احمد امين	166
4	صحبة اولى الامر	عبد الحميد الكاتب	168
5	من كتاب على الى بعض عماله	على بن ابى طالب	169
6	المامون والفقير	مجانى الادب	170
7	عمر بن عبد العزيز يحمل الناس على الحق		172
8	عبث الامين بشؤون الدولة	الجهشيارى	174
9	القبرة والفيل	كليلة ودمنة	176
10	ارنب واسد	كليلة ودمنة	178
11	اتيتك ناصحا	كليلة ودمنة	180
12	مخابرة بين ملك وجاسوسة		182

الوطن ، التضحية ، الكفاح ، الشهداء

1	فى حى القصبة	حنفى بن عيسى	184
2	وطنى	الخورى بطرس البستانى	186
3	تحن الى وطنها		188
4	ذاك حب الوطن	نجيب الحداد	190
5	من الشهيد ؟	احمد امين	192
6	من وحى ذكرى 5 جويلية 1830	ابن تومرت	194

الرقم	الموضوع	الكاتب أو الكتاب	الصفحة
7	شهداء السيجومى	محمد العربى صمادح	196
8	عبدالله بن الزبير وامه	عن قصص العرب	199
9	الى طغاة العالم	ابو القاسم الشابى	201
10	خطبة ابن حمزة الشارى		203
11	حقيبتان (للمطالعة)	محمد فرج الشادلى	205
12	جميلة بوحيرد	احمد المختار الوزير	206

الحـــرب والسلـــم

1	ليلة الفزع	عثمان الكعاك	208
2	الحرب العظمى	حافظ ابراهيم	210
3	هـول الحرب	توفيق الشرتونى	211
4	حروب طاحنات	حافظ ابراهيم	213
5	الحرب وجرحاها		215
6	خراب البصرة	ابن الـرومى	216
7	دعاء الاسكندر	ابن المقفع	217
8	من نصيحة عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص	عن ابن عبد ربه	219
9	على بن أبى طالب يقاتل الخوارج	ابن قتيبة	221
10	مبارزة بين بطلين (للمطالعة)	الاغانى	223

النـــزعـة الانسانيـة والتعـاون البشرى

1	صوت الطبيعة	منصور فهمى	224
2	قارب المنارة (للمطالعة)	محمد عطية الابراشى	225
3	رايت الناس كالبنيان	معروف الرصافى	226
4	عبد الله بن العباس والاعرابية (للمطالعة)	ابن عبد ربه	229
5	اذهب بغير ذهب	توفيق الحكيم	231

جميع الحقوق محفوظة

© S.T.D. - SOCIETE TUNISIENNE DE DIFFUSION
5, AVENUE DE CARTHAGE - TUNIS 1969